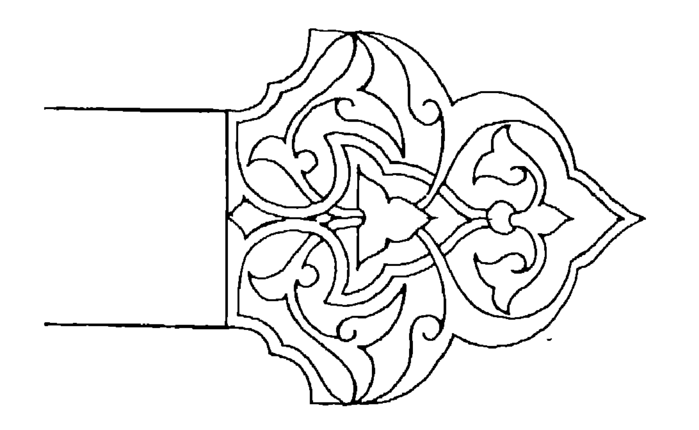


الذخائر ٤٩

الجزء الأول من

فتوح مصر والمغرب

لابن عبد الحكم

٢٥٧هـ : ٨٧١م

تحقيق

عبد المنعم عامر



الذخائر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

د. مصطفى الرزاز

المشرف العام

جمال الغيطانى

مدير التحرير

خيرى عبد الجواد

المراسلات : باسم مدير التحرير
على العنوان التالى : ١٦ أ شارع امين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى ١٢٥٦١

موكب النور

تحيا مصر هذه الأيام ذكريات مجيدة، انطبعت أثارُها، من قديم، فى نفوس أفرادها. ففى الوقت الذى تتأهب فيه للاحتفال بحلول الألفية الثالثة، لميلاد السيد المسيح، تعاصرنا الذكرى التاريخية العطرة بمرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام مصر، الأمر الذى يؤكد على الدوام أن مصر إنما تحتضن المسيحية والإسلام معاً، فى وحدة وطنية فريدة، تستحق التقدير والاحترام.

ولا يكاد يختلف إثنان حول مدى التأثير العميق الذى خلَّفه الإسلام فى ثقافة مصر وحضارتها، وما اسهمت به مصر، فى المقابل، لاثراء الوعى الإسلامى بين الشعوب العربية والإسلامية فى شتى مناحى العلم وضروبه.

ولا يسع الهيئة العامة لقصور الثقافة، فى هذه المناسبة الإسلامية الرفيعة، إلا أن تبادر بتقديم نخبةٍ منتقاةٍ من المؤلفات الثرية، القديمة والحديثة، التى نسعى من وراءها إلى تأكيد دور مصر التاريخى والريادى بين شعوب الأمة الإسلامية، منذ الفتح الإسلامى وحتي اللحظة الراهنة، وإلقاء الضوء على الانجاز الحضارى الكبير الذى أسهمت به مصر فى تعزيز الحضارة العربية الإسلامية، فى الوقت الذى نهدف فيه إلى ربط القارىء المعاصر بتاريخه الأصيل، وتراثه الفريد، وحضارته المجيدة.

والله الموفق

د. مصطفى الرزاز

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يعتبر تاريخ مصر فى الأعوام الثلاثين التى سبقت الفتح العربى فى سنة ٦٤١م من أكثر الحقب الزمنية غموضاً فى التاريخ المسطور ، فلا يكاد المؤرخون يجدون أمامهم مؤلفا كاملا تستقيم فيه الحقائق التاريخية الصحيحة ، وليس هناك من المصادر ذات القيمة إلا ذلك الشتات المفرق بين المخطوطات القبطية وبين أوراق البردى العربية ، وإلا هذا الذى تسجله تلك الكتب العربية التاريخية التى صنفها مؤلفوها بعد الفتح العربى لمصر بمدة طويلة ، وقد اعتمدوا فى تدوينها على رواية الحوادث التاريخية مما هو مكتوب فى المصادر الأولى التى رجعوا إليها ، وكانوا بها عارفين .

ورغم هذه الضآلة فإن المؤرخين من العرب ومن غيرهم ، يكادون يتفقون على أن حكومة مصر فى عهد «هرقل» الإمبراطور الرومانى لم يكن لها همّ إلا أن تعيد للحكم الرومانى كيانه ونظامه بعد أن جلا الفرس عن مصر ، وأن سلطان الرومان قد اشتد فى مصر ، وصار لجندهم مدائن حصينة فيما بين أسوان فى الجنوب والفرما فى الشمال ، ينتشرون منها فى البلاد إظهاراً لهيبة السلطان وجمعاً للأموال ، ويساعدهم فى ذلك أعيان الروم وتجار اليهود الذين كانوا ينافسون القبط منافسة شديدة .

وكانت أمور الدين فى مصر إذ ذاك تمثل أكبر خطر عند الناس من أمور السياسة ، فما كان الاختلاف والتحزب يدور بينهم حول الوطن وحقوقه ، وإنما كانت مناظراتهم العنيفة وخلافهم الشديد على خيالات صورية من فروق دينية دقيقة بين مذهب اليعاقبة ، وهم قبط مصر ، وبين مذهب الملكانيه الذى يعتنقه الإغريق والأور بيون من السكان . ويجمع المؤرخون على أن الحاكم الرومانى قد سار

فى سياسته على سنّة القضاء على مذهب اليعاقبة ، وما كان اليعاقبة يرضون إلا بأن يمحوا كل أثر من آثار مذهب الملكانية .

وقد اشتد اضطهاد القبط أيام ولاية المقوقس « قيرس » اشتدادا عظيما ، وافتتن كثير منهم عن دينه بسبب ما نالوه من الظلم وشدة العذاب ، فتحولوا من مذهبهم اليعقوبى إلى مذهب الملكانية ، ووجد البطريق القبطى « بنيامين » مشقة فى ذلك ، ورأى ألا ملجأ من العذاب إلا إلى الهرب ، فدبّر أمور الكنيسة قبل أن يغادر ولايتها ، وكان مقره إذ ذاك الإسكندرية ، وجمع إليه القسس والرعية ، وألقى فيهم خطابا يحضّهم فيه على أن يثبتوا على عقيدتهم حتى يأتيهم الموت ؛ وكتب إلى أساقفته ، يأمرهم بالهجرة إلى الجبال والصحارى ليتواروا فيها حتى يرفع الله عنهم غضبه ؛ وقد أنبأهم ، أن البلاد سيحل بها الوبال ، وأنهم سيلقون العسف والظلم عشر سنين ، ثم يرفع الله عنهم .

واستبد بالمقوقس طغيانه وجبروته ، فأمر بتعذيب أخ للبطريق بنيامين ، وكان تعذيبه له شديدا ، فقد جاء فى كتاب « تاريخ البطريق القبطى إسحق ، تأليف أميلنو » : أنه أوقدت المشاعل ، وسلطت نارها على جسده ، فصار الجسد يحترق حتى سال دهنه من جنبيه على الأرض ؛ ولما لم يتزعزع عن إيمانه أمر به المقوقس ، فخلعت أسنانه ، ثم وضع فى كيس مملوء من الرمل ، وحملوه فى البحر حتى صار على قيد سبع غلوات من الشاطىء ، وعرضوا عليه الحياة إذا هو رجع عن دينه وآمن بمذهب الملكانية ؛ ففعلوا ذلك ثلاث مرات ، وهو يرفض ؛ فرموا به فى البحر ، فمات غرقا .

ولم ينقطع سعى المقوقس وراء « بنيامين » ، وكان سعيه دون جدوى ؛ فقد كان البطريق متخفيا ، يتنقل من دير إلى دير ، وقد انخلعت عليه قلوب الناس القبط ، فكانوا يقيمون الصلاة من أجله ، ويدعون الله أن يحفظه من مكر الرومان ، وظل البطريق

مختفيا على هذا الحال حتى تم للعرب فتح مصر ، فآمنه عمرو بن العاص ، واستدعاه إليه ، وأمر له بأن يقابل بما يليق بمقامه من الترحاب والتكريم .

وقد كان « بنيامين » رجلا ذا هيئة جميلة ، تلوح عليه سيماء الوقار والجلال ، وكان عذب المنطق فى رزانة وتؤدة ، وقد تأثر به عمرو بن العاص ، وقال عنه لأصحابه : « إننى لم أر يوما فى بلد من البلاد التى فتحها الله علينا رجلا مثل هذا بين رجال الدين » .

ويروى بعض المؤرخين ، أن المصريين قد سعوا مرة إلى التخلص من « المقوقس قيرس » الحاكم الرومانى ، فاجتمع قوم منهم فى كنيسة « دفاشير » قرب « مريوط » ، وتآمروا على قتل هذا الظالم ؛ ولكن سعيهم باء بالفشل ، فقد سمع ضابط رومانى ، اسمه « أودقيانوس » بأمر الاجتماع ، وكان شديد العداوة للقبط ، فأرسل جندا من جند الرومان ، وأمرهم أن يذهبوا للمتآمرين فيقتلوهم ، وكان ما أمر ، فقتل الجنود بعضا منهم ، وجرحوا البعض الآخر بسهامهم دون أن يسمعوا منهم قولا ، وقضى على المؤامرة ، ونجا قيرس من القتل .

وكان الخلاف الطائفى فى الإسكندرية قائما على أشده ، وكانت العداوة بين طائفتى الملكانية واليعاقبة عداوة عنيفة ، لا تخمد لها نار ، ولا تهدأ مرة إلا لتعود أشد مما كانت إذا ما هبت عليها ريح من الفتنة ، ورأت الحكومة فى ذلك الوقت أن تفرق بين رئيسى المذهبين فى مقامهما ، حتى لا يبقى المتنافسان فى بلد واحد ، فازدادت الشدائد بالقبط ، وتوالت عليهم المصائب ، وما كان هناك أمل فى أن يعود السلام والوفاق بين الطائفتين المتنازعتين أبداً ، فاشتدت عداوة القبط للرومان ولسلطان الدولة الرومانية ، ولدينها جميعاً .

وكانت البلاد كلها تحت قبضة قيرس المتولى أمورها ، يصرفها كيفما شاء ، وكان جيش الرومان يحكم مصر حكماً عنيفاً صارماً ، وأضحت جوانب طرق الإسكندرية ،

عاصمة البلاد، تتجاوب بين الوقت والآخر بأصداء الكتائب البيزنطية التى تحتل المدينة ، وقد وضعت على أسوارها آلات الحرب .

وكانت الإسكندرية يومئذ بلداً من أشق بلدان العالم حكما، فسكانها أخلاط من الناس ، إغريق وقبط ، وسوريون ويهود ، وعرب وغرباء ، من جميع أنحاء البلاد، وهى ثلاثة أحياء ، حى المصريين، وحى اليهود، وحى الروم ، وتضمها كلها سبع قلاع حصينة، وسبعة خنادق ، ويخترق الاسكندرية طريقان، يمتد أولهما من شرق المدينة إلى آخر غربها ، ويشقها الثانى من شمالها إلى أقصى جنوبها ، ويلتقى الطريقان فى ميدان فسيح، تحيط به الحدائق ذات القصور المرمرية الجميلة؛ والمدينة فوق هذا من تحتها عدد عظيم من الصهاريج العجيبة ، طبقات بعضها فوق بعض ، وفى كل طبقة عدد عظيم من الحجرات الدفينة ، التى تستخدم فى خزن الماء الذى يصل إليها فى قنوات تجرى من الترعة الحلوة ، وقد كانت هذه الترعة تشق المدينة فى حى المصريين .

وكان جند الروم فى مسالح مصر ، فى الفرما ، وفى أتريب ، وفى نقيوس ، وفى حصن بابليون ، وفى الفيوم، وفى وأسوان يروحون ويغدون، ماثلين لإنفاذ أوامر قيرس المقوقس ، يعسفون بالقبط فى مصر السفلى وفى الصعيد ، وينزلون العقاب ، أشد العذاب على من يأبى منهم أن يتخلى عن عقيدته ، أو ينازع قيرس فى أمره ، ويجبرون الناس اليعاقبة على أن يقيموا كنائس الملكانية فى كل بلد من بلاد مصر .

* * *

وكان سكان مصر فى ذلك الوقت يضرعون إلى الله صباح مساء ، يطلبون منه النجاة والخلاص ، وبينما هم كذلك إذ طرقت أسماعهم أنباء الحركة العظيمة التى قادها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بلاد العرب، تحت لواء الإسلام ، فعنت وجوه القبط فى مصر إلى الله الواحد القهار ، يرجون منه أن يصير أمر بلادهم إلى أولئك العرب الذى هبوا من ديارهم يدعون إلى المحبة، والسلام، رسالة السماء .

ولم يمض على بدء الدعوة المحمدية إلا قليل حتى كان فتح العرب لمصر ، وما كان أعظم ابتهاج القبط بخلاصهم مما كانوا فيه ! فلقد خرجوا من عهد الظلم والعسف إلى عهود من السلام والاطمئنان ، أظلتهم بأمنها ، بعد أن أنقذهم العرب من اضطهاد الرومان و بطشهم ، فدخل منهم فى الإسلام طائفة كبيرة من أهل الرأى والعقل حباً فى الإسلام وكراهة للمسيحية الملكانية ، بعد ما كان من عصيان أهلها لتعاليم صاحبها ، وكان من القبط طائفة ثانية أسلمت طمعاً فى المساواة بالمسلمين الفاتحين ، فيكون لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم ؛ و بقيت فئة أخرى على دين المسيح فى أمن واطمئنان ، فى أمور دينهم ودنياهم . وقد اعتصم القبط والمسلمون فى مصر بحبل الله ، يستمطرون رحمته ، و يرجون الصلاح لأنفسهم فى الدنيا والآخرة على هديه .

* * *

و إن تاريخ فتح العرب لمصر لقصة مثيرة ، تصور معالمها تنازع الخير والشر على البقاء بين الإنسان ، وتسجل خطوطها فى مراسم التاريخ صفحات منيرة من الكفاح والفداء ، وقد عنى بتسجيلها المؤرخون من قبل ابن عبد الحكم على أنحاء فى مصنفاتهم ، وعلى نحو ما وصلت إليهم روايته من الأخبار ، وتتمثل هذه العناية فيما كتبه البلاذرى (٨٠٦-٨٩٢م) فى كتابه فتوح البلدان ، وهو كتاب عنى فيه مؤلفه بذكر الحروب والغزوات مرتبة حسب الأقطار والأقاليم ، وللكتاب أهمية كبرى ، نظراً لسعته وغزارة مادته ، وقد طبع هذا الكتاب فى الهند ، وله مختصر مطبوع فى القاهرة .

وقد سبق الواقدىُّ (٧٤٧ — ٨٢٣ م) البلاذرىَّ فى تدوين حوادث الفتح العربى فى كتابه « فتوح مصر » ، و يرى بعض المؤرخين المحققين ، أن الكتاب الأصلى للواقدى قد ضاع ، ولم يبق منه إلا المقتبسات الكثيرة ، والإشارات التى بقيت فى كتب المؤرخين ، وأن الكتاب المشهور المطبوع للواقدى ، منسوب إليه خطأ ، ولهؤلاء المحققين فى دعواهم أدلة كثيرة مقبولة.

وليس من شك فى أن المؤرخين السابقين لعصرى البلاذى والواقدى قد خلفوا كتباً تناولت الفتح العربى لمصر . ولكن هذه الكتب ظلت مجهولة ، ولا بد أنها قد ضاعت مثل ما ضاع غيرها من أمهات المصادر الخطية العربية .

ويعتبر كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم من أهم المصادر العربية الأولى التى تناولت تاريخ الفتح العربى لمصر ، فقد حوى الكتاب جملة من الحوادث التاريخية فى مجموعات متكاملة ، يتضام بعضها إلى بعض ، فتكون سلسلة متصلة الحلقات من التاريخ العربى فى مصر ، وقد مهد المؤلف لموضوع الكتاب ، فذكر جملة من الأخبار الخاصة بتاريخ مصر قبل الفتح العربى كما تخيلها من القصص الدينى ، وكما رويت له من القاصين ذوى الأخبار ، ولم يقتصر ابن عبد الحكم فى كتابه على ذكر ما يتعلق بفتح مصر بل استمر فى روايته التاريخية ، فتناول فتوح شمال إفريقية زمن عمرو بن العاص ، وزمن الولاة والقواد من بعده ، فجاء الكتاب بهذا كله وافيا لما يحتاجه المؤرخون من معلومات توضح حقائق الخلافات الكبيرة التى تضمنها روايات الكتب عن تفاصيل فتح مصر وشمالى إفريقية .

* * *

وابن عبد الحكم هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصرى ، أبو القاسم ، أقدم من وصلت إلينا مؤلفاته من مؤرخى مصر الإسلامية ، وقد اشتهر من بين إخوته بابن عبد الحكم ؛ ولد حوالى سنة ١٨٧ هجرية ، وتوفى فى الفسطاط عام ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) ، ودفن إلى جانب قبر أبيه بجوار قبر الإمام الشافعى مما يلى القبلة .

وكان أبوه عبد الله المتوفى سنة ٢١٤ هـ (٨٣٠ م) من الفقهاء المحدثين ، وقد ألف فى الفقه والحديث كتبا كثيرة ، وانتهت إليه رياسة الطائفة المالكية فى مصر بعد موت أشهب ، وروى عن الإمام مالك كتاب الموطأ سماعا ، وكان

من ذوى المال والرباع ، له جاه عظيم وقدر كبير ، وكان عمله أن يشترك مع القاضى فى تزكية الشهود وتجريحهم وهو أمر ذو خطر فى القضاء ؛ وكان أبناؤه الأربعة من مشاهير الرجال ، فقد كان محمود فقيها ، وكاتبا ، خلف أباه فى رياسة الطائفة المالكية بمصر ، واشتهر الابنان ، عبد الحكم ، وسعد بسعة العلم ، أما عبد الرحمن مؤلف هذا الكتاب فقد كان من أهل الحديث ، عالما بالتواريخ .

وقد جاء فى كتاب « الديباج المذهب فى معرفة أهل المذهب[1] » لقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى المدنى المالكى : « أن عبد الله بن عبد الحكم مولى « عمرة » امرأة من موالى عثمان بن عفان ، ويقال إنه مولى رافع مولى عثمان ؛ وكان عبد الله رجلا صالحا ، ثقة فقيها ، صدوقا ، عاقلا ، حكيما ، وكان صديقا للإمام الشافعى ، وعليه نزل الشافعى إذ جاء مصر ، فأكرم مثواه وبلغ الغاية فى بره ، وعنده مات ، وقد روى عبد الله عن الشافعى ، وكتب كتبه لنفسه ولابنه محمد ، وله فى هذا تآليف كثيرة .

وبلغ بنو عبد الحكم بمصر من الجاه والتقدم مالم يبلغه أحد ، وقد اشتهرت الأسرة فى مصر وفى خارجها بمعرفة علوم الحديث والفقه ، ومات الأب وعمره حوالى الستين عاما ، وبعد موته بثلاثة عشر عاما أصيبت الأسرة بنكبة عظمى أثناء المحنة التى جددها الخليفة العباسى ، الواثق بالله : فتنة خلق القرآن ، فقد رفض الأبناء الاعتراف بمذهب خلق القرآن ، كما رفضه غيرهم من المستمسكين بالأصول ، وكان جزاؤهم جميعا السجن والعذاب ، ومات من أبناء عبد الله ابنه عبد الحكم فى سجن يزيد التركى بعد عذابه بالسوط ، والتدخين عليه بالكبريت .

ومن قبل هذا الوقت صدمت الأسرة بكارثة أخرى عام ١٣٧ ﻫ انتهى معها نفوذها ، فقد حدث أن صادرت الحكومة جانبا كبيرا من أملاك على بن

---

(١) صحيفة ١٣٤ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٩ ﻫ .

عبد العزيز الجداوى الذى كان واليا وقائداً عسكريا على مصر ، وجاءت رسل الخليفة إلى مصر تطالب مالا لخزانة الدولة فلم يجدوا مالا ، وكان بنو عبد الله بن عبد الحكم قد تولوا الإدارة المؤقتة لأملاك عدد من رجالات مصر البارزين ، فاتخذت الإجراءات القضائية ضدهم ، وطالبتهم الدولة بدفع ١٫٤٠٤٫٠٠٠ دينار ، فلما أن عجزوا عن الدفع صادرت الحكومة اموالهم وأملاكهم ، وألقت بهم فى السجون مدة ، ثم قررت الإفراج منهم ، وأعيد للأسرة ما كانت تملكه قانونا ، غير أن شرف البيت وسمعته قد انتهيا[1] إلى حين .

والذى يهمنا من الأسرة وحديثها هو إلقاء ضوء على سيرة المؤلف عبد الرحمن ابن عبد الحكم فى بيئته الخاصة وفى حياته العامة ، كى يستنير به القارىء على استجلاء منهجه الفكرى وطريقته فى كتابه فتوح مصر ، هذا المصنّف التاريخى الذى ساير فيه ابن عبد الحكم المحدثين فى روايتهم الأسانيد ، مخالفا غيره من المؤرخين فيما اتبعوه من تصنيف ، أمثال البلاذرى المتوفى سنة ٢٦٩ هـ ، والطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وأبى حنيفه الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، فقد نهج ابن عبد الحكم نهجا فريدا فى كتابة التاريخ المفصل للإسلام من مصادره الكثيرة ، الشفوية والتحريرية .

ولا ريب فى أن هدف عبد الرحمن بن عبد الحكم كان جمع المعلومات من مصادرها المختلفة ، وترتيبها فى مجموعات كبيرة وفق أهميتها ، وكانت مصادر ابن عبد الحكم فى هذا تعتمد إلى حد كبير على الروايات الشفوية التى يتناقلها الرواة ، وقد كانوا كثرة كبيرة فى مصر ، وعلى المعلومات المكتوبة التى تكوّن الأصول الأولى للتاريخ الإسلامى ، وتتمثل هذه المعلومات فى مخطوطات يحيى بن عبد الله بن بكير ، وفيما كتبه الواقدى ، وابن لهيعة اللذين توفيا قبل مولد المؤلف .

---

(١) راجع كتاب الولاة والقضاة للكندى .

ولقد اتبع المؤلف فى كتابه بصفة عامة ذكر الرواية و إسنادها الكامل دون تعرض إلى مناقشة مصادرها الشفوية ، فإن المادة التاريخية التى اعتمد عليها ابن عبد الحكم كثيرة فى حجمها ، وهى مختلفة فى تفاصيل أنواعها، وقد شملت عدداً كبيراً من القصص الشائع والأساطير، و بعضها مكتوب ، و بعضها شفوى، و إن ما كتب منها لا يستند على تحقيق علمى ، وقد لعبت هذه الكتابات دورا هاما فى التدوين التاريخى القديم ، كما قامت الروايات الشفوية بتصوير التعبيرات المختلفة، والروايات التى كانت منتشرة فى نهاية القرن الثانى من الهجرة ، وقد تأثر ابن عبد الحكم بكل هذا ، فعنى بجمع المادة الكثيرة ، ولم يتبع طريقة النقد العلمى فى سلسلة الروايات ذات الأهمية الكبرى ، التى تستحق المتابعة لجمع الحقائق المطلوبة فى استكمال البحوث العلمية .

و يرى بعض المحققين أن غالب التواريخ التى وردت فى كتاب فتوح مصر مأخوذة مما كتبه الليث بن سعد، وما دونه يزيد بن أبى حبيب المتوفى سنة ١٢٨ هـ، وقد ذكرها ابن عبد الحكم فى كتابه كثيراً ، وسيجد القارئ فى الكتاب ، أن ابن عبد الحكم قد اعتمد على عثمان بن صالح المتوفى سنة ٢١٩هـ فى التأريخ للحوادث، كما اعتمد على ابن لهيعة فى ذكر الأحاديث، وقد تكرر ذكر اسمى يحيى بن أيوب المتوفى سنة ١٧٣ هـ، وخالد بن حميد المتوفى سنة ١٦٩هـ، كثيرا فى الكتاب رغم أن الرواية المنقولة عنهما والتى استخدمها المؤلف قد جمعها خالد بن نجيح ، وانتفع بها عثمان بن صالح ، وهو مصدر مصرى يستطيع أن يعطى من ذاكرته أكبر رواية تاريخية ، وقد كان له فضل كبير فى التأريخ لفتوح العرب فى شمالى إفريقية وأسبانيا .

وهناك مصادر أخرى معروفة فى الرواية اقتبس منها المؤلف جزءا كبيراً من مادته التاريخية ، وقد ذكر الكندى من هؤلاء ، أسعد بن موسى المتوفى سنة

٢١٣ هـ، وعبد الله بن صالح المتوفى سنة ٢٢٣هـ، وهو أمين سر الليث بن سعد ، والنضر بن عبد الجبار المتوفى سنة ٢١٩هـ، وقد كان أمين سر فى وقت ما .

ومن الرواة المعروفين الذين لم يذكرهم ابن عبد الحكم ويعتقد الكندى أنه قد رجع إلى مؤلفاتهم فى كتابه فتوح مصر عبدُ الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ، وسعيد بن أبى مريم المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، وسعيد بن كثير بن غفير المتوفى سنة ٢٢٦هـ ، وعبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ هـ .

وإذا كانت عناية ابن عبد الحكم بذكر الأسانيد قد شاعت فى كثير من أجزاء كتابه فإنه لم يذكرها كثيرا فى الفصل الخاص بالخطط، وذلك لأن المعلومات التى جمعها كانت من الروايات الشائعة بين أهل الفسطاط بالإضافة إلى المشاهد الخاصة التى لدى المؤلف ، وإن جانبا كثيرا من هذه المادة الهامة المفيدة كان معروفا أيام المؤلف عندما كانت الفسطاط مدينة محتفظة بمظاهر النصف الأول من القرن الثالث الهجرى .

ومما لا شك فيه أن الرواية والأسانيد التى بنى عليهما ابن عبد الحكم كتابه « فتوح مصر » قد سايرت إلى حد كبير الفن القصصى الذى كان يتبعه القاصون من العلماء فى المساجد والجامع ، وبخاصة بعد أن عنيت الدولة بهذا النوع من التحدث ،وجعلت للحكاية فى الأقطار الإسلامية وظائف رسمية ، يختار لها خبراء التاريخ من ذوى الدراية بأحوال العرب والمسلمين ، والذين تجرى عليهم الدولة رواتب سخية .

وقد كان لهذه الوظائف أثرها الكبير فى الحياة السياسية للدولة ، وفى المكانة الماشية ، والاجتماعية ، والحربية ، لبطون العرب وقبائلهم فى البلاد التى صاروا إليها فاتحين ، ولعبت القصة التاريخية دوراً هاما فى التمكين للحياة الثقافية ، ونشر الوعى القومى بين الناس ، وكان أثرها بين العرب والمسلمين كأثر الشعر فى العصر الجاهلى بين القبائل العربية ،

يرفع الشاعر به من يشاء ، ويحط به من قدر من يريد عن طريق الرواية وذيوع ما ثور الأقوال . ولا عجب بعد هذا أن يتحرى ابن عبد الحكم أسانيده فيما يرويه من أخبار عن الدور الذى قام به العرب فى نشر دعوتهم والتمكين لرسالتهم، حتى يكون كتابه فصل القول فيما يقصه العلماء على الناس فى المساجد والجوامع، وفقا لما اعتادته الآذان العربية فى سماع الروايات ، هذا إلى أن ابن عبد الحكم محدث قد غلبت عليه طريقة المحدثين ، فتتبع الرواية بأسانيدها ، وأعادها فى أشكالها التى حفظت بها فى ذواكر الناس تأكيداً لها ، وتعديلا لرواياتها ، وإن هذا المنهج ليظهر واضحا فيما ذكره ابن عبد الحكم عن عدد من الروايات غير الموثوق بها، التى يكثر حولها الجدل بين الناس ، وقد عرضها ابن عبد الحكم على هذه الأشكال المختلفة من الرواية فى حرص على بيان رواتها ، وأمانة منه فى النقل كما يحرص المؤلفون فى العصور الحديثة على بيان مصادر معلوماتهم من الكتب التى يرجعون إليها.

وإن كتاب « فتوح مصر والمغرب » لابن عبد الحكم أقدم مصدر من المصادر العربية فى تاريخ فتح المسلمين لمصر وشمال إفريقية ، وهو أهم بيان لعمارات العرب وخططهم فى الفسطاط والإسكندرية والجيزة ، وغيرها من البلاد المصرية .

* * *

وقد اهتم المؤرخون العرب القدامى بكتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم اهتماما كبيرا ، واعتبروه مصدراً أول لتواريخهم التى تناولوا فيها النشاط العربى فى البلاد التى خضعت لحكم العرب ، فى إفريقية ، وروى عن ابن عبد الحكم من جاء بعده من مؤرخى مصر الإسلامية ، كالكندى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، وابن زولاق المتوفى سنة ٣٥٧ هـ ، والقضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ ، وابن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ ، والمقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ . وأبى المحاسن المتوفى سنة

٨٧٤ ﻫ ، والسيوطى المتوفى سنة ٩١٠ ﻫ ، وابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠ ﻫ ؛ وقد اعتمد المؤرخون من الأوربيين على كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم اعتمادا واضحاً فيما دونوه فى كتبهم عن الزحف العربى ، وانتشار القومية العربية فى الأقطار والبلاد المختلفة فى آسيا الغربية وفى شمال إفريقية .

وتنقسم المادة التاريخية فى الكتاب إلى سبعة أجزاء :

١ — الجزء الأول ، ويبحث فى فضائل مصر ، وصفتها ، وتاريخها منذ القدم إلى دخول الإسلام فيها وفتح المسلمين لها ، ودور بنى إسرائيل فى تاريخها ، ونشأة مدينة الإسكندرية ، وذكر الصراع الفارسى والبيزنطى للسيطرة على مصر .

ويحوى هذا الجزء من الكتاب كثيراً من الأساطير التى لا ترقى إلى مرتبة الحقائق التاريخية ، بل إنها فى كثير من موضوعاتها تنزع إلى الميثولوجيا التى تتوارثها الأجيال . وتتناقلها الشفاه ، فتزداد بعدا عن الحقائق العلمية ومجافاة للتاريخ الصحيح ، وأمثلة هذا كثيرة فى الكتاب ، مثل حكاية أولاد نوح عليه السلام وأبنائهم ، وأسماء هؤلاء الأبناء الذين سميت بهم بلاد مصر وقراها ، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر والسحرة من أهلها ، وحديث الملكة العجوز «دلوكة» ، وتاريخ الفرس والروم فى مصر ، ونبأ ذى القرنين المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغير هذا من الروايات التى لا تحتمل نقدا علميا لكثرة ما فيها من خرافة واصطناع .

٢ — الجزء الثانى ، وفيه يعالج ابن عبد الحكم الفتح الإسلامى لمصر تحت قيادة عمرو بن العاص فى تفصيل صحيح ووضوح تام :

٣ — الجزء الثالث ، وله أهمية خاصة ، فقد عرض فيه ابن عبد الحكم الخطط والرباع التى أقامها الفاتحون فى الفسطاط. وفى الجيزة ، كما شرح النظام الضرائبى من الخراج والجــزية وما فرض على الإسكندرية من أخائذ[1] فى بسط مفيد لدارسى النواحى الاقتصادية والعمرانية للدول العربية فى مصر .

٤ — الجزء الرابع : وفيه يصف ابن عبد الحكم إدارة مصر تحت إمارة عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد ، ويذكر فتح الفيوم ، وبرقة ، وطرابلس بقيادة عمرو بن العاص ، والنوبة وشمال إفريقية بقيادة عبد الله بن سعد ، وثورة الإسكندرية ، وفتحها الثانى ، ومسائل أخرى مفصّلة تبين فضائل مصر تحت الحكم الإسلامى ، وهذا الجزء ينتهى بوفاة عمرو بن العاص .

٥ — الجزء الخامس ، وفيه بيان فتح شمال إفريقية وأسبانيا إلى سنة ١٠٢ هـ .

٦ — الجزء السادس ، وهو تاريخ مختصر لقضاة مصر حتى سنة ٢٤٦ هـ . قبل وفاة المؤلف بعشر سنوات .

٧ — الجزء السابع ، وهو أكبر الأجزاء وأوسعها ، ويشمل هذا الجزء مختارات عديدة من الأحاديث والروايات المنسوبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وفدوا على مصر ، وقد ذكر ابن عبد الحكم فى هذا الجزء اثنين وخمسين صحابيا ، بدأهم بعمرو بن العاص وابنه عبد الله .

وتقسيم الكتاب إلى هذه الأجزاء السبعة من عمل ابن عبد الحكم نفسه ، ولقد احتفظ بهذا التقسيم من بعده مَن خلفه ، ويدل على هذا اتفاق المخطوطات المتعددة للكتاب على تجزئة واحدة رغم تغاير أزمان نسخها ، واتفاق هذه المخطوطات أيضا على إيراد عنوان فصل « فتح بلاد النوبة » فى غير مكانه وقد حدث هذا إهمالا من المؤلف أو خطأ وقع فيه ناسخ المخطوطة الأولى .

---

(١) جمع أخذة وهى المأخوذ .

ويرجع اهتمام عبد الرحمن بن عبد الحكم بذكر قضاة مصر فى كتابه إلى صلة أسرته بهذا الفرع من الإدارة الإسلامية ، فقد كان والده يعمل مع القضاة كمميز للشهود ، وكان أخوته ، وبخاصة محمد ، من الفقهاء المعروفين ؛ وقد غلبت على ابن عبد الحكم صفة المحدثين ، رواة الحديث ، فأفرد الجزء السابع من كتابه لذكر الأحاديث التى حفظت فى مصر عن الصحابة الذين دخلوها ، وقد اختار لها نظاما خاصاً اتبعه فى كتابته ، وإن مصدره فى هذا يكاد يكون مقصوراً على ابن لهيعة الذى خلط فى آخر عمره ، وإن ما ذكره ابن عبد الحكم عن الرواة الآخرين فأمر مشكوك فيه وإن كان فى مجموعه ذا فائدة هامة فى دراسات أخرى .

وقد ذكر المؤلف أحاديث عدد غير قليل من هؤلاء الرواة فى الفصول السابقة من كتابه فى مناسبات عديدة ، وأشار فى كثير منها إلى ذلك فى هامش كتابه ، ولم يفته أن ينتقد أى خبير فى الأحاديث برواية ما ذكره عنه فى أساليب أخرى ، ولكن نقده هذا لا يمكن معه اعتبار ابن عبد الحكم ضمن المؤرخين ذوى القدرة العلمية فى معالجة حوادث التاريخ الذين تتوافر لديهم أساليب النقد العلمى ، وإن كان كتابه رغم هذا يعتبر نقطة البدء فى كتابة عدد من كتب تاريخ مصر التى لها أهميتها ، كما تدلنا طريقة جمع الكتاب على أن مؤلفه كان بارعا فى جمع الأخبار .

* * *

ولقد عنى المستشرقون عناية كثيرة بنشر كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وقد سبقت جهودهم فى هذا الصدد جهود المعنيين بنشر المخطوطات من العرب والمسلمين ، وتتمثل هذه العناية فيما نشره من بعض أجزاء الكتاب كل من إيفالد Ewald ، ودى سلين de Slane وكارل Karle ، وجونس Jonse ، ولافنت La Fuente ، وهنرى ماسيه H. Massé الذى طبع الجزء الأول من الكتاب فى سنة ١٩١٤ م .

وفى سنة ١٩٢٠ نشر المستشرق تشارلس . س . تورى Charles c. Torrey كتاب فتوح مصر بمدينة ليدن .

ويبدو أن خلو المكتبات العربية العامة والخاصة من النسخ الخطية للكتاب كان من أهم العوامل التى قعدت بالمؤرخين العرب عن معالجة هذا النص الهام ، وأن الاستعمار الثقافى الذى سيطر على مصر إبان الحكم العثمانى ، وفى عهد الحملة الفرنسية قد جهد فى نقل جملة من المخطوطات العربية الهامة إلى أوربا عقب انتهاء الحملة الفرنسية على مصر فى سنة ١٨٠١ م ، فقلّت المصادر العربية الأولى التى تهم الباحثين ، وقد كان من بينها هذا الكتاب الذى توجد منه نسخ خطيّة فى المكتبات الأوربية على النحو التالى :

ا — نسخة المتحف البريطانى بلندن ، المسجلة تحت رقم ٥٢٠ (شرقيات — ٦) وهى نسخة تخلو من تاريخ نسخها ، ولكنها تحمل كما ذكر « تورى » عدة براهين تدل على أنها قد كتبت فى أواخر القرن السادس الهجرى ، ومن هذه البراهين العبارة التى وردت فى نهاية المخطوطة ، وتشير إلى أنها قد قورنت على مخطوطة الحافظ محمد بن عمر بن يوسف الأنصارى ، الذى قام بقراءة المخطوطة كلها أمام الشيخ أبى القاسم هبة الله بن على بن مسعود بن ثابت الأنصارى المتوفى سنة ٥٩٨ هـ .

ب — مخطوطة مسجلة تحت رقم ١٨٨٦ بمكتبة باريس الأهلية ، وتاريخ نسخها كما هو واضح فى نهاية الجزء الأول منها « ثلاثة أيام قبل نهاية شهر ذى الحجة من عام ٥٨٥ هـ (١١٩٠ م) . وتمتاز هذه المخطوطة بكثرة التصويبات المكتوبة على هوامشها نتيجة للأخطاء العديدة التى وقع فيها الناسخ .

حـ — مخطوطة باريس الثانية ، وهى محفوظة بالمكتبة الأهلية تحت رقم ١٦٨٧ ، وتاريخ هذه المخطوطة يرجع إلى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) . وقد قام بنسخ هذه المخطوطة كما جاء فى نهايتها الناسخ أحمد بن محمد بن إبراهيم الأزهرى الحنفى ، ومتن هذه النسخة مملوء بالأخطاء التى تجعل بعض الكلام لا معنى له ، رغم أنها مكتوبة بخط جميل .

د — مخطوطة ليدن رقم ٩٦٢ المودعة خزانة مكتبة الأكاديمية ، وهي موصوفة وصفاً تاماً في فهرس المخطوطات العربية الخاص بمكتبة الأكاديمية المطبوع سنة ١٧٨٨ م ، وهذه المخطوطة ناقصة من الأول ، وتخلو من أسماء الرواة الذين نقل عنهم المؤلف ، وتحمل الصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة تاريخ نسخها وهو سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٦ م) .

هـ — مخطوطة أخرى في مكتبة جامعة جوتنجن ، وهي جزء من الكتاب منقول عن مخطوطتي المكتبة الأهلية بباريس .

وقد اعتمد المستشرق تورى Torrey في نشره كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم على مخطوطة المتحف البريطاني ، نظراً إلى أنها أقدم المخطوطات وأحسنها ؛ ويعتبر عمل «تورى» من الأعمال المتكاملة الأولى التي تعطى صورة واضحة عن جملة المخطوطات التي رجع إليها في نشره الكتاب ، وهي أربع النسخ الأولى ، فقد تضمنت هوامش كتابه الذى نشره الفوارق الموجودة بين هذه النسخ مما يمكن معه الاعتماد على بيانه الواضح في تكوين فكرة سليمة عن هذه المخطوطات .

* * *

ولقد حصل معهد المخطوطات العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية على ميكروفيلم Microfilm لكتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم » ، مأخوذ عن نسخة أخرى ، موجودة بمكتبة فاتح بالآستانة ، عليها وقف السلطان محمود خان، بخط درويش مصطفى مفتش أوقاف الحرمين ، وهذا الميكروفيلم يعتبر النسخة الوحيدة الموجودة في مصر .

ولما كان كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم هو المرجع الأول للمصادر العربية ، التي تسجل حركة نمو القومية العربية في إفريقية ، ويتضح منه مدى ارتكاز النشاط العربي لهذه القومية في مصر ، فقد حرصت على أنشر هذا

الميكروفيلم نشراً عملياً ، أعنى فيه بتوضيح ما يحتاج إليه رجال التاريخ والقراء ، من بيانات ومعلومات تظهر معالم الكتاب وتساعد على تبين دقائقه وإيضاح ما غمض من مصطلحاته ؛ وبخاصة وأن البيئة المصرية المعاصرة قد تأثرت إلى حد ما بكثير من المؤثرات السياسية والطبوغرافية ، فتغيرت أسماء بعض البلاد ، وزالت أماكن بعضها الآخر ، وأصبح الربط بين ماضى التاريخ العربى فى مصر وبين حاضره ضرورة من ضرورات توطيد الثقافة التاريخية القومية فى العقل العربى العام .

وإن المستشرقين الذين سبقوا فى نشر الكتاب أوائل هذا القرن لم يعنوا كثيراً — كشأنهم فيما يحققون من مخطوطات — بمعالجة الناحية الجغرافية التى يحتاج إليها دارس الكتاب التاريخى ، فقد كانت جهودهم كلها مقصورة على تدوين الفوارق الكتابية بين النسخ الخطية المختلفة . ولهذا فقد حرصت على أن أقوم بنشر الكتاب فى صورة جديدة ، فأقدمه للقارىء العربى ، فى سهولة ويسر ، حتى يستبين منه حقائق الحياة الأولى للعرب فى مصر ، ويجد فيه المغارس الأصلية للقومية العربية . فنستطيع جميعاً أن نقيم حياتنا فى عصر نهضتنا الحديثة على الأسس الهادفة لبناء القضايا العربية التى تقوم على أصل واحد من المحبة والسلام .

* * *

وإن هذه المصورة التى أقوم بنشرها تضيف إلى جملة مخطوطات كتاب فتوح مصر نسخة قد جهل أمرها المستشرقون ، وهى تعتبر أماً للنسخ التى سبقت معرفتها أو دراستها ، فقد دوّن فى أعلى صحيفة العنوان سماع ودعاء تاريخه سنة ٥٣١هـ ، وشملت هذه الصحيفة أيضاً سماعاً آخر للشيخ الأنصارى المتوفى سنة ٥٩٨هـ.

ومن خصائص هذه النسخة أنها مكتوبة بخط واحد بقلم النسخ المعتاد ، وقد اتبع ناسخها طريقة الإملاء القديمة التى تقوم على تسهيل الهمزات المتوسطة بعد الألفات ، وحذف ألف المد المتوسطة ، مثل الكلمات (بقراءة ، وثلاثين ، ومائة

ومعاوية) فإنها مكتوبة فى الأصل (بقراية ، وثلثين ، ومايه، ومعوية) ، وتمتاز هذه النسخة بأن الناسخ يعمد دائماً إلى اتباع النحت اللفظى فى كتابة الجمل الدعائية مثل جملتى (صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله عنه) فإنها مكتوبة فى الأصل (صلعم ، ورضه) .

وقد كتبت عناوين الفصول فى المصورة بحبر يخالف الحبر الذى كتب به المتن فى لونه ، وتحتوى هوامش الصفحات بعض الإضافات القليلة التى كتبت بأقلام أخرى ، ولعلها أقلام بعض القراء من أولئك الذين حازوا هذه المخطوطة ، وهذه الإضافات تكثر فى الجزء الخاص بالقضاء فى مصر .

واسم الكتاب كما هو واضح على صحيفة العنوان « كتاب فتوح مصر والمغرب » .

تأليف أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشى .
رواية أبى القاسم على بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدى عنه .
رواية أبى بكر محمد بن أحمد بن الفرج القماح عنه .
رواية أبى الحسن على بن منير بن أحمد الخلال عنه .
رواية أبى صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدينى إجازة عنه .
رواية أبى القاسم هبة الله على بن سعود البواصيرى عنه .

سماع لأبى الميمون عبد الوهاب بن عتيق بن هبة الله بن وردان المقرىء ، ولولده أبى القاسم ، هبة الله .

والذى تجب الإشارة إليه أن ابن قديد لم يكن تلميذاً لابن عبد الحكم ، ولم يثبت أنه قد نقل عنه رواية شفوية ، فلم تتعرض كتب التراجم لهذا بشىء فيها ، ولذا فإنه يبدو أن دور ابن قديد فى الرواية لا يعدو دور الناسخ لمخطوط ابن عبد الحكم وزيادته بعض الملحوظات فى الهوامش ، ويدل على هذا قول فى

الكتاب منسوب إلى عبد الرحمن بن عبد الحكم عن أبي الأسود النضر بن عبدالجبار ، يرجع وقته تاريخياً إلى سنة ٢٣٢هـ عندما كان ابن قديد فى الثامنة من عمره ، مما لا يستقيم معه أن يكون ابن قديد راوية فى مثل هذا العمر .

والمعقول فى رأيى أن يكون بعض مريدى ابن عبدالحكم الذين عاشوا فى جيله قد حازوا مخطوطة ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب وأخبارها ، وظلت هذه المخطوطة محفوظة عندهم بعد مأساة أسرة ابن عبد الحكم حتى حصل ابن قديد على نسخة منها بعد وفاة المؤلف . أوأنه ربما كانت النسخة التى حصل عليها ابن قديد من عمل واحد من تلاميذ ابن عبد الحكم ، ثم نقلت هذه النسخة إلى أبى بكر محمد بن أحمد بن الفرج القماح ، وهكذا تداول الرواة النقل جيلا بعد جيل . وقد لقيت المخطوطة عناية الناسخين ، فكان منها عدة مخطوطات شاعت فى البلاد العربية والإسلامية ، ثم نقلت ضمن الآثار الثقافية التى عنى الأوربيون بنقلها لمكتبات بلادهم .

وأياما كان الاختلاف بين النسخ فإنه لايعدو أن يكون خلافا شكلياً لايمس جوهر الكتاب ولا حوادث التاريخ التى ذكرها ابن عبد الحكم فى أصولها أو فى فروعها ، وما كان تعدد الروايات للخبر الواحد إلا توضيحا لفوارق لفظية قد تكون النقط ، مثل جريان وحرثان ، أو غيره مثل الذكر أو الركن ، والمطبوخ والمنضوج ، وغيرها مما يهتم به أمثال ابن عبدالحكم من المحدثين الرواة .

وهذه المحافظة على الرواية فى أشكالها تفسر لنا إلى حد بعيد ، كيف أن ابن عبد الحكم لم يحاول تنقية كتابه من بعض الروايات التى تضمنها الكتاب ، ومثل حديث أبى مريم عن العطّاف ، وحكاية جنس البربر من النساء ذوات الثدى الواحد ، وغيرها مما لا يدخل فى حكم المعقول ؛ ولعل ابن الحكم أراد أن يقدم للمؤرخين من بعده مواد مختلفة من الروايات ، يقومون بنقدها ودراستها ، ونشرها فى الأسلوب العلمى الصحيح .

وإنه ليهمنى استكمالا لفائدة الباحث فى كتاب «فتوح مصر لابن عبد الحكم» أن أضع أمام الدارس سجلا زمنيا لتسلسل الحوادث التاريخية الهامة فى أوقاتها، تستبين فيه أزمنتها، إذ أنها قد تاهت فى ذلك الخضم الزاخر من الروايات التى ساقها ابن عبد الحكم فى مصنّفه، وقد اكتفيت بذكر مايقابلها فى التاريخ الميلادى بعد مقارنتها بما جاء فى كتب التواريخ الأخرى التى عرضت لتسجيل الفتح العربى لمصر.

وها هى ذى:

(١) ١٢ من ديسمبر سنة ٦٣٦، تاريخ وصول جيش عمرو بن العاص إلى العريش.

(٢) ٣٠ من يناير سنة ٦٤٠، تاريخ فتح الفرما.

(٣) مايو سنة ٦٤٠، تاريخ غزو إقليم الفيوم.

(٤) ٦ من يونية سنة ٦٤٠، تاريخ وصول المدد العربى لعمرو بن العاص.

(٥) يوليه سنة ٦٤٠، تاريخ موقعة عين شمس.

(٦) سبتمبر سنه ٦٤٠، تاريخ بدء حصار حصن بابليون.

(٧) أكتوبر سنة ٦٤٠، تاريخ توقيع المعاهدة بين قيرس المقوقس وبين عمرو بن العاص، وهى التى رفضها هرقل.

(٨) ٦ من إبريل سنة ٦٤١، تاريخ تسليم حصن بابليون، وهو اليوم الذى يؤرخ به الفتح العربى لمصر، وقد ذكر الطبرى فى تاريخه، أن فتح الحصن كان فى شهر ربيع الثانى من سنة ٢٠ للهجرة (٢٠ مارس — ١٧ إبريل سنة ٦٥١ م

(٦) ١٣ من مايو سنة ٦٤١، تاريخ فتح نقيوس.

(١٠) يونية سنة ٦٤١ ، تاريخ بدء الهجوم على الإسكندرية .

(١١) ٨ من نوفمبر سنة ٦٤١ ، تاريخ تسليم مدينة الأسكندرية .

(١٢) ١٧ من سبتمبر سنة ٦٤٢ ، تاريخ إجلاء الروم عن الإسكندرية .

(١٣) أواخر سنة ٦٤٥ ، تاريخ ثورة الإسكندرية بقيادة منويل .

(١٤) صيف سنة ٦٤٦ ، تاريخ الفتح العربى الثانى للاسكندرية .

* * *

وإنه مما يستأهل الذكر فيما نحن بصدده من التسجيل ، أن كتاب ابن عبد الحكم مع وفايته فى تناول أخبار الفتح العربى ، فإنه قد أغفل تماما ذكر شىء ما عن مكتبة الإسكندرية التى لغط بعض المؤرخين المتأخرين فى كلامهم عنها ، فذكروا أن العرب قد أحرقوا هذه المكتبة العظيمة ، ولو أن شيئاً من هذا قد حدث فما كان هناك بدّ من أن يذكره ابن عبد الحكم ، وهو المؤرخ الذى لم يترك فى كتابه صغيرة أو كبيرة حول الفتح العربي إلا أحصاها وذكرها ، وإن كان فيها مساءة إلى الحكم العربى .

وتقوم قصة إحراق العرب لمكتبة الإسكندرية فى أصلها على مارواه أبو الفرج بن العبرى فى كتابه « مختصر تاريخ الدول » ، من أن رجلا من قسوس القبط اسمه « حنا الأجرومى » قد أخرج من عمله لما نسب إليه من زيغ فى عقيدته ، فاتصل بعمرو بن العاص ، ولقى عنده حظوة .

فلما أنس الرجل من عمرو قال له يوما .

— لقد رأيت المدينة كلها ، وختمت على ما فيها من التحف ، ولست أطلب إليك شيئاً مما تنتفع به ، بل شيئاً لا نفع له عندك .

فقال له عمرو :

— وماذا تعنى بقولك ؟_

فقال : أعنى بقولى ما فى خزانة الروم من كتب الحكمة .

فقال له عمرو : إن ذلك أمر ليس لى أن أقطع فيه رأيا دون إذن الخليفة .

ثم أرسل عمرو كتابا إلى عمر بن الخطاب يسأله فى الأمر .

فأجابه عمر قائلا : ... وأما ماذ كرت من أمر الكتب ، فإن كان ما جاء بها يوافق ما جاء فى كتاب الله فلا حاجة لنا به ، و إذا خالفه فلا أرب لنا فيه وأحرقها .

فلما جاء الكتاب إلى عمرو أمر بالكتب فوزعت على حمامات الإسكندرية لتوقد بها ؛ فمازالوا يوقدون بها ستة أشهر .

وهذه القصة الخيالية التى رواها أبو الفرج (١٢٢٦ - ١٢٨٦ م) تتمثل فيها سخافات مستبعدة ينكرها العقل ، وقد أنكرها فعلا عليه بعض المؤرخين المحققين من الأوروبيين ، فذكروا فى أقوالهم المؤيدة بالأسانيد والحقائق :

(١) أن « حنا الأجرومى » الذى تذكره القصة قد مات قبل غزوة العرب بزمن طويل ، وأنه كان من أهل الإسكندرية .

(٢) أن مكتبة الإسكندرية لو كانت لا تزال باقية عندما عقد المقوقس صلحه مع العرب على تسليم الإسكندرية لكان من المؤكد أن تنقل هذه الكتب إلى بلاد الروم ، فقد أبيح ذلك فى شرط الصلح الذى يسمح بنقل المتاع والأموال فى مدة الهدنة بين عقد الصلح وبين دخول العرب الإسكندرية ، وقدرها أحد عشر شهرا .

(٣) لو صح أن هذه المكتبة قد أتلفها العرب حقيقة لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم ، كان قريب العهد من الفتح العربى ، وهو « حنا النقيوسى » .

(٤) أن كتّاب القرنين الخامس والسادس الميلاديين لا يذكرون شيئا عن وجود هذه المكتبة ، وكذلك كتّاب أوائل القرن السابع ، وأن قصة إحراق العرب لمكتبة الإسكندرية لم تظهر إلا بعد نيّف وخمسمائة عام من وقت حدوثها المزعوم، فضلا عن أن أبا الفرج راوي القصة مؤرخ متهم ، فهو إسرائيلي الأصل ولد في أرمنية ، ثم تنصّر مسيحيا يعقوبيا ، وهو في كتابه « مختصر تاريخ الدول » يتناول الحوادث التاريخية من زاوية له فيها مآرب خاصة ، فيهمل منها ما يشاء ، ويبرز فيها ما يريد وفق هواه الذي يضل سبيله فيه ، فلا يعلم قوله السابق . من قوله اللاحق ، ولا يكاد يميز الصواب منهما ، كما تدل عليه هذه القصة ، قصة إحراق العرب مكتبة الإسكندرية التي انفرد بروايتها في كتابه «مختصر تاريخ الدول» مع أنه لم يذكرها في كتابه « تاريخ الكنائس » الذي كتبه باللغة السريانية ، وكتاب مختصر تاريخ الدول مأخوذ من كتاب تاريخ الكنائس . فلم يبق هناك أدنى شك في أن هذه الأدلة قاطعة بما ذهب إليه مؤرخو الغرب أمثال (رينودو . Renaueot ، وجبون . Gibbon من عدم تصديق قصة أبي الفرج ابن العبري التي لا تعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ؛ ليس لها أساس في التاريخ الصحيح ، والتي ينقضها تماما ما عرف عن العرب من عنايتهم الفائقة بالكتب القديمة التي وقعت في أيديهم ، فحفظوها وترجموا منها ، وأقاموا عليها الأكاديميات العلمية .

* * *

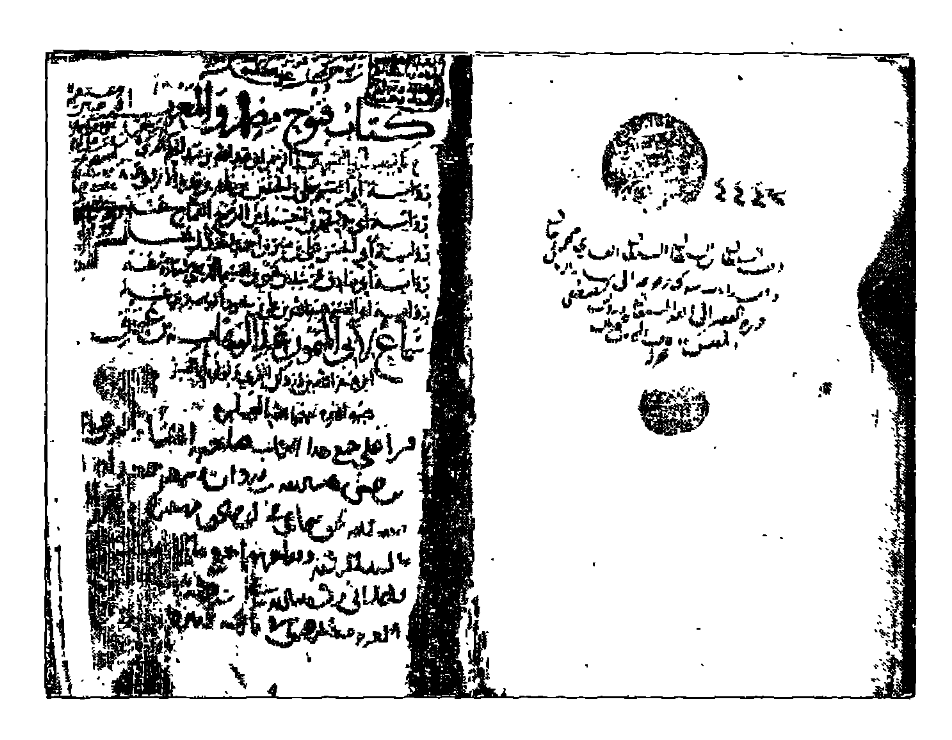
وبعد ، فإن كتاب «فتوح مصر والمغرب» لابن عبد الحكم من الكتب التي خلّفت في نفسي أثرا كبيرا ، يمتزج فيه الإعجاب والتقدير بالرغبة في أن تتملك المكتبة التاريخية كتابا مرجعا قيّما مثله ، وقد نشرته مُفردا القسم التاريخي منه في هـــذا الجزء الأول من الكتاب ، وزودته بالخرائط والصور الموضحة ،

وسيصدر الجزء الثاني منه متضمّنا القسمين الخاصين بالقضاء ، وبالمحدثين وأحاديثهم، التي رواها عنهم أهل مصر ، ومذيلا بالفهارس الفنية المختلفة لجملة الكتاب .

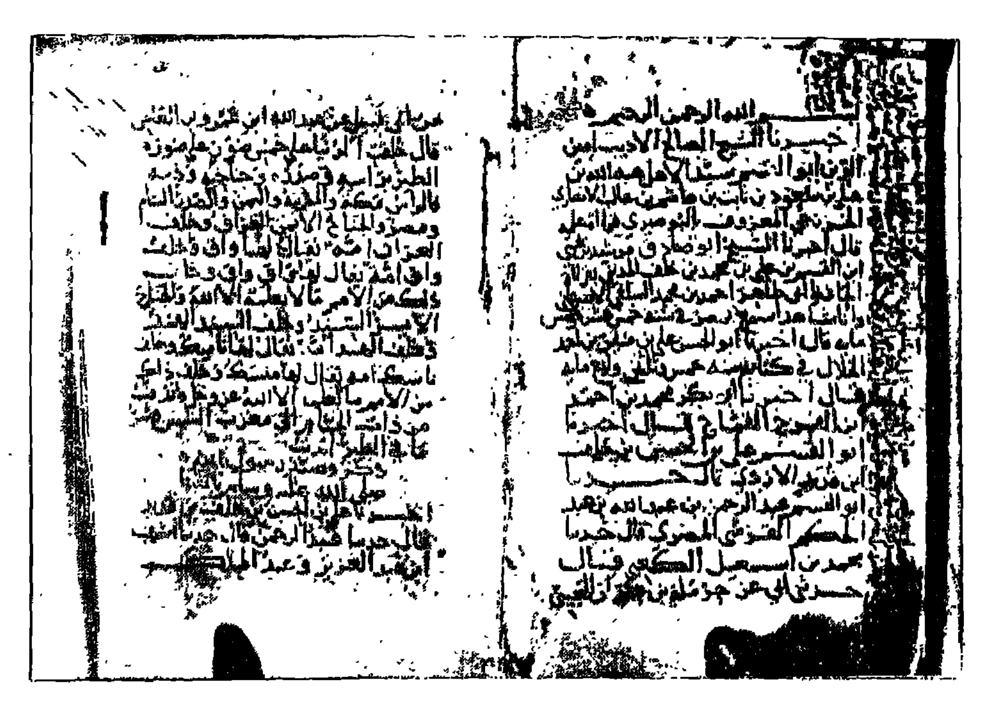
وإني أستمنح القارئ ارتضاءه أني لم أجد من الهنات المطبعية التي ندّت عن النظر أثناء مراجعة تجارب الطبع ما يستحق الإبراز في ثبت خاص ، فهي قريبة الإدراك ، سهلة الوضوح .

المعادي في مايو ١٩٦١

عبد المنعم عامر



صحيفة عنوان المخطوط



الصحيفتان الأولى والثانية من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الصالح الأديب أمين الدين أبوالقاسم سيّد الأهل ، هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصارى الخزرجى ، المعروف بالبوصيرى ، قراءة عليه قال :

أخبرنا الشيخ أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم بن على بن محمد بن خلف المدينى بقراءة الحافظ أبى طاهر ، أحمد بن محمد السلفى الأصبهانى وأنا شاهد أسمع بمصر فى سنة خمس عشرة وخمسمائة (هجرية) قال :

أخبرنا أبو الحسن على بن منيرّ بن أحمد الخلال فى كتابه سنة خمس وثلاثين وأربعمائة قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج القمّاح قال : أخبرنا أبو القاسم على بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدى قال ، حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشى المصرى قال : حدثنا محمد بن اسماعيل الكلبى قال : حدثنى أبى عن حرملة بن عمران التَجيبى عن أبى قَبيل عن عبدالله بن عمرو ابن العاص قال : خلقت الدنيا على صورة الطير برأسه وصدره وجناحه وذنبه ، فالرأس مكة والمدينة واليمن ، والصدر الشام ومصر ، والجناح الأيمن العراق ، وخلف العراق أمة يقال لها واق[1] ، وخلف واق أمة يقال لها واق واق ، وخلف

(١) جاء فى شرح القاموس أنها بلاد الصين ، وقد ورد ذكرها فى كثير من كتب المؤرخين العرب القدامى ، وكتب الرحالة العرب ، وليس لها ذكر فى التواريخ العلمية الصحيحة ولعل العرب أطلقوا اللفظ على بلاد مجهولة لهم ، سمعوا أن بها كثيرا من طيور الماء التى تسمى الوأقة .

وقد ورد ذكر بلاد الواق وواق الواق فى كتاب المسالك والممالك للاصطخرى ، ولكنه لم يبين موقعها على خرائطه المصورة التى يضمها كتابه المخطوط بدار الكتب .

ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله ، والجناح الأيسر السند [1] وخلف السند الهند ، وخلف الهند أمة يقال لها: ناسك [2] ، وخلف ناسك أمة يقال : لها منسك وخلف [2] ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله عز وجل ، والذنب من ذات الحمام [3] إلى مغرب الشمس ، وشر ما فى الطير الذنب .

ذكر

وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبط

خبرنا على بن الحسن بن خلف بن قديد قال حدثنا عبد الرحمن ، قال حدثنا أشهب بن عبد العزيز وعبد الملك بن مسلمة قالا : حدثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن ابن لكعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا ، فان لهم ذمّة ورحما .

قال ابن شهاب، وكان يقال : إن أم اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منهم .

حدثنا عبد الله بن صالح ومحمد بن رُمْح قالا : حدثنا الليث بن سعد عن بن شهاب عن ابن لكعب بن مالك [4] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

---

(١) السند نهر معروف فى الهند ، وقد جاء فى معجم البلدان أن السند بلاد بين الهند وكرمان وسجستان ، وأنها خمس كور ، وأن قصبة السند مدينة يقال لها المنصورية ، نسبة الى منصور بن جمهور عامل بنى أمية ، وكان أسمها قبلا همنا باذ .

(٢) لم أعثر فى المراجع التاريخية والجغرافية على توضيح لمدلول هذين اللفظين يحددهما وإن كان ذكرهما قد ورد كثيرا فى كتب التاريخ القديمة للمؤرخين العرب .

(٣) ذات الحمام أحدى الموانى المصرية على البحر الأبيض المتوسط ، ولم يرد لها ذكر فى المراجع التاريخية أو الجغرافية الا ما ذكره ابن الكندى عنها فى عدة ثغور مصر ، وأنها أربعة عشر رباطا ، وهى العريش وتنيس وشطا ودمياط والبرلس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام ، ولعلها السلوم .

(٤) كعب بن مالك أحد الصحابة ، وهو من الثلاثة الذين خلفوا فى احدى غزوات الرسول ونزل فيهم قوله تعالى : وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله الا اليه ... الآية رقم ١١٨ من سورة التوبة .

فقال الليث : لابن شِهاب ، ما رِحْمهم ؟ .

قال : إن أم إسماعيل منهم .

أخبرنا أبى عبد الله بن عبد الحكم وحامد بن يحيى قالا ، حدثنا سفيان ابن عُيَيْنة عن الزهرى ـ أظنه عن ابن لكعب بن مالك ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا عبد الملك بن هشام ، حدثنا زياد بن عبد الله البكّائىّ عن محمد بن اسحاق قال ، حدثنى محمد بن مسلم بن عُبَيدالله بن شهاب الزهرى أن عبدالرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارىّ ثم السَّلَمى حدّثه عن رسول الله ﷺ مثله .

قال ابن اسحاق : فقلت لمحمد بن مسلم ، ما الرحم الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

فقال : كانت هاجر أم أسماعيل منهم .

حدثنا أبى عبدالله بن عبد الحكم حدثنى رشدين بن سعد، وحدثنا عبدالملك بن مسلمة، حدثنا عبد الله بن وهب عن حَرْملة بن عمران التُجيبىّ[1] عن عبد الرحمن ابن شِماسة المهرىّ قال : سمعت أبا ذرّ يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم ستفتحون أرضا يُذكر فيها القيراط[2] ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحما .

حدثنا سعيد بن مَيْسَرة عن اسحاق بن الفرات عن ابن لَهِيعة عن الأسود ابن مالك الحميرى عن بَحِير بن ذاخر المعافرى عن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجلّ سيفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقبطها خيرا ، فإن لكم منهم صِهْراً وذِمّة .

---

(١) فى نسخة حـ النجيبى ، وهو حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران ، أبو حفص التجيبى المصرى ، صاحب الامام الشافعى (تقريب التهذيب صحيفة ٩٩) .

(٢) القيراط وزن يختلف حسب البلاد ، وقد كانت قيمته بمكة إذذاك ربع سدس الدينار .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ويحيى بن عبد الله بن بُكَير عن ابن لَهِيعة عن ابن هُبيْرة أن أباسالم الجَيْشانىّ سيفان بن هانئ أخبره أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنكم ستكونون أجناداً ، و إن خير أجنادكم أهل الغرب منكم ، فاتقوا الله فى القبط ، لا تأكلوهم أكل الخضر[1] » .

حدثنا أبى ، حدثنا إسماعيل بن عَيّاش عن عبد الرحمن بن زياد عن مسلم ابن يَسار أن رسول أن صلى الله عليه وسلم قال : استوصوا بالقبط خيراً فإنكم ستجدونهم نِعْم الأعوان على قتال عدوّكم » .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث وابن لهيعة ، قال عبد الملك : وأخبرنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبى حبيب أن أبا سَلَمة ابن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله عليه وسلم أوصى عند وفاته أن تُخرج اليهودُ من جزيرة العرب ، وقال ، « اللهَ . . . اللهَ فى قبط مصر ، فإنكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عُدّة وأعوانا فى سبيل الله » .

قال : وحدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن وهب عن موسى بن أيوب الغافقىّ عن رجل من الزّبَد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض، فأغمى عليه ، ثم أفاق ، فقال « استوصوا بالأُدْم الجُعْد[2] » . ثم أغمى عليه الثانية ، ثم أفاق . فقال مثل ذلك . قال : ثم أغمى عليه الثالثة ، فقال مثل ذلك .

فقال القوم لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الأدم الجعد ؟ فأفاق ، فسألوه ، فقال : « قبط مصر ، فإنهم أخوال وأصهار ، وهم أعوانكم على عدوّكم وأعوانكم على دينكم » .

---

(١) الخضر هو الذى يتجنى طعام الناس حتى يحضره .

(٢) الأدمة هى السمرة ، والآدم من الناس الأسمر ، والجعد جمع جَعْد وهو الرجل ذو الشعر المفلفل .

قالوا : كيف يكونون أعواننا على ديننا يارسول الله ؟

قال : « يكفونكم أعمال الدنيا ، وتتفرغون للعبادة ، فالراضى بما يُؤتى إليهم كالفاعل بهم ، والكاره لما يؤتى إليهم من الظلم كالمتنزه منهم » .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن أبى هانىء الخولانىّ عن أبى عبد الرحمن الحُبُلِىّ وعمرو بن حُرَيْث[1] وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنكم ستقدمون على قوم ، جُعْدٌ رءوسهم ، فاستوصوا بهم خيراً ، فإنهم قوة لكم و بلاغ إلى عدوّكم بإذن الله تعالى » — يعنى قبط مصر .

حدثنا أبو الأسود ، حدثنا ابن لهيعة عن ابن هانىء ، أنه سمع الحُبُلى وعمرو بن حُريث[1] يحدّثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا عبد الملك بن هشام ، أخبرنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة ، حدثنى عُمَر مولى غُفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهَ .. اللهَ فى أهل الذمة ، أهل المدَرَة السوداء ، السُحْم[2] الجِعاد ، فإن لهم نسبا وصهرا » .

قال عمر مولى غفرة : صهرُهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرَّر فيهم ، ونسبهم أن أمّ إسماعيل هاجر من أمّ العرب ، قرية كانت أمام الفَرَما من مصر .

حدثنا عثمان بن صالح أخبرنا مروان القصاص قال : صاهر إلى القبط من الأنبياء صلوات الله عليهم ثلاثة : إبراهيم خليل الرحمن — عليه السلام — تسرَّر هاجر ، و يوسف صلى الله عليه وسلم تزوج بنت صاحب عين شمس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم تسرر مارية القبطيّة .

حدثنا هانىء بن المتوكل ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن

---

(١) فى نسخة هـ عمر ، وهو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى ، صحابى صغير ، مات سنة خمس وثمانين .

(٢) السحم جمع أسحم ، والسحمة سواد كلون الغراب .

قرية هاجر « ياقُ » التى عند أمّ دُنَين[١] ، ودفنت هاجر حين توفيت كما حدثنا ابن هشام عن زياد بن عبد الله عن ابن اسحاق فى الحِجْر .

قال ابن هشام : تقول العرب هاجَر وآجَر ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هَراق الماء وأراق الماء ، ونحوه .

ذكر
بعض فضائل مصر

حدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن بكر بن سَوادة ، وبكر بن عمرو الخولانىّ ، يرفعان الحديث إلى عبد الله بن عمرو ، قال : قبط مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يدا ، وأفضلهم عُنصرا ، وأقربهم رحماً بالعرب عامة وبقريش خاصّة ، ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها فى الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين تخضرّ زروعها وتنوّر ثمارها .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المَعافرىّ عن كعب الأحبار قال : من أراد أن ينظر إلى شَبَه الجنة فلينظر إلى مصر إذا أخْرَفت[٢] ، وقال غير أبى الأسود : إلى أرض مصر إذا أزهرت .

وقال غير ابن لهيعة : وكان منهم السَحرة ، فآمنوا جميعا فى ساعة واحدة ، ولا نعلم جماعة أسلمت فى ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط .

قالوا : وكانوا كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن عبد الله ابن هُبَيرة السبأىّ وبكر بن عمرو الخولانىّ ويزيد بن أبى حبيب المالكىّ ، يزيد بعضهم

---

(١) أم دنين : قرية كانت بين القاهرة والنيل ، وقد اختلطت بمنازل أرباض القاهرة ، وموضعها المنطقة الممتدة من حديقة الأزبكية إلى جامع أولاد عنان الآن ، وقد كانت قرية حصينة وفى مرفئها سفن كثيرة .

(٢) أى فى زمن الخريف .

على بعض فى الحديث ، اثنى عشر ساحرا رؤساء ، تحت يدىْ كلّ ساحر عنهم عشرون عريفا ، تحت يدىْ كل عريف منهم ألف من السحرة ، فكان جميع السحرة مائتى ألف وأربعين ألفا ، ومائتين واثنين وخمسين إنسانا بالرؤساء والعرفاء [١] ؛ فلما عاينوا ماعاينوا أيقنواأن ذلك من السماء ، وأن السحر لا يقوم لأمر الله . فخرّ الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سُجّدا ، فاتّبعهم العُرفاء ، واتبع العرفاء من بقى ، وقالوا : آمنا برب العالمين ، رب موسى وهرون ؛ ولم يفتتن منهم أحد مع من افتتن من بنى اسرائيل فى عبادة العجل .

حدثنا هانئ بن المتوكل ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن تُبَيْعاً كان يقول : ماآمن جماعة قطّ فى ساعة واحدة مثل جماعة القبط .

حدثنا أبوصالح ، حدثنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب أنه بلغه أن كعب الأحبار كان يقول : مثل قبط مصر كالغَيْضَة كلما قُطِعت نبَتت حتى يُخَرِّب الله بهم و بصناعتهم جزائر الروم .

قال : وكانت مصر — كما حدثنا عبد الله بن صالح ، وعثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة المهرىّ عن أبى رُهْم السَماعىّ — قناطر وجسورا بتقدير وتدبير ،حتى إن الماء ليجرى تحت منازلها وأَقبِيتها [٢] ، فيحبسونه كيف شاءوا ، و يرسلونه كيف شاءوا .

فذلك قول الله — عزّ وجلّ — فيما حكى من قول فرعون (أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ، وهذه الأنهارُ تجْرِى مِنْ تحْتِى، أَفلَا تُبْصِرُون) [٣] .

ولم يكن فى الأرض يومئذ مُلك أعظم من مُلك مصر ، وكانت الجنّات بحافتى

---

(١) فى تحديد العدد مبالغة تحتاج إلى دليل ، وهو ما تفتقر إليه هذه الرواية وأمثالها فى كتب القدامى من مؤرخى العرب ، ولن دل العدد على شىء فإنما يدل على الكثرة .

(٢) فى نسخة ه وأبنيتها .

(٣) الآية ٥١ من سورة الزخرف :

النيل من أوّله إلى آخره فى الجانبين جميعا مابين أسوان إلى رشيد، وسبعُ خُلُجٍ[1] : خليج الاسكندرية ، وخليج سَخا[2] ، وخليج دِمْياط ، وخليج مَنْفَ ، وخليج الفيُّوم ، وخليج المَنْهَى ، وخليج سَرَدُوسَ جَنَّات متّصلة لا ينقطع منها شىء عن شىء . والزرع مابين الجبَلَيْن من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء .

وكان جميع أرض مصر كلها تُرْوى من ستة عشر ذراعا لما قدّروا ودبّروا من قناطرها وخُلجها وجسورها ، فذلك قوله عزّ وجل (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وزُرُوعٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ[3]) .

قال : والمقام الكريم المنابرُ — كان بها ألف منبر[4] .

قال : وأما خليج الفيوم والمنهى فحفرها يوسف — عليه السلام — وسأذكر كيف كان ذلك فى موضعه ، إن شاء الله ؛ وأما خليج سردوس فإن الذى حفره هامانُ .

حدثنا عبد الله بن صالح وعثمان بن صالح قالا : حدثنا ابن لهيعة عن يحيى ابن مَيْمون الحضْرَمِيّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص « أن فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس ، فلما ابتدأ حَفْره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يُجري الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا .

قال : وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو المشرق ثم يردّه إلى قرية

---

(١) الخليج من البحر الشرم الذى يمتد منه فى اليابس ، ومن معانيه اللغوية النهر يقتطع من النهر الأعظم إلى موضع ينتفع به فيه .

(٢) سخا بلد من أعمال مركز كفر الشيخ حاليا ، وكانت كورة ، وقصبة الكورة الغربية فى عهد الدولة الأيوبية، وكان بها دار الوالى . وإليها ينسب الامام الشيخ على السخاوى المقرىء النحوى اللغوى ؛ والحافظ الشهير محمد شمس الدين السخاوى صاحب كتاب الضوء اللامع فى أهل القرن التاسع . (الخطط التوفيقية صحيفة ١٢ الجزء الحادى عشر) .

(٣) الآية ٢٥ من سورة الدخان .

(٤) المنبر مرقاة الخطيب وسمى منبرا لارتفاعه وعلوه ، وانتبر الامير إذا ارتفع فوق المنبر ، وقد اتخذت المنابر من قديم ، ويستعمل لفظها للدلالة على الخطط والأماكن ، وفى تحديد العدد مبالغة .

من نحو دُبر القبلة[١] ، ثم يردّه إلى قرية فى الغرب ، ثم يرده إلى قرية فى القبلة[٢] ، ويأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له فى ذلك مائة ألف دينار . فأتى بذلك يحمله إلى فرعون ، فسأله فرعون عن ذلك ، فأخبره بما فعل فى حفره . فقال له فرعون : « وَيْحك ، إنه ينبغى للسيّد أن يعطف على عباده[٣] ، ويُفيض عليهم ، ولا يرغب فيما بأيديهم . رُدَّ على أهل كل قرية ما أخذت منهم » . فردّه كلّه على أهله .

قال : فلا يُعلم بمصر خليج أكثر عطوفاً منه لما فعل هامان فى حفره .

وكان هامان — كما حدثنا أسد عن خالد بن عبد الله عن مُحدّث حدّثه — نبَطِيًّا[٤] ، وكانت بحيرة الإسكندرية كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث ابن سعد كرْماً ، كلّها لامرأة المقوقس ، فكانت تأخذ خَراجها منهم ، الخمرَ بفريضة عليهم ، فكثر الخمر عليها حتى ضاقت به ذرْعا ، فقالت : لا حاجة لى فى الخمر ، أعطونى دنانير ؛ فقالوا : ليس عندنا ، فأرسلت عليهم الماء فغرّقها ، فصارت بحيرة ، يصاد فيها الحيتان ، حتى استخرجها بنو العباس ، فسدّوا جسورها ، وزرعوا فيها.

ذكر
نزول القبط بمصر وسكناهم بها

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن عيّاش[٥] بن عباس القِتْبانى عن حَنَش بن عبد الله الصّنْعانىّ عن عبد الله بن عباس قال : كان لنوح — عليه السلام — أربعة من الولد : سام بن نوح ، وحام بن نوح ، ويافث بن نوح ، ويحْطون بن

---

(١) يعنى : بالشمال الغربى .
(٢) يعنى : الجنوب الشرقى .
(٣) فى نسخة ج (عبيده) .
(٤) واحد الانباط وهم سكان سواد العراق ، وإنما سموا بذلك لاستنباطهم مايخرج من الأرض ؛ وهامان هو وزير مرنبتاح فرعون موسى من الأسرة التاسعة عشرة .
(٥) فى نسخة ب عباس ، والصواب أنه عياش بن عباس القتبانى ، بكسر القاف وسكون التاء ، المصرى ، وهو ثقة من المحدثين .

نوح ، وأن نوحا ـ عليه السلام ـ رغب إلى الله — عزّ وجلّ — وسأله أن يرزقه الإجابة فى ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة . فوعده ذلك .

فنادى نوح وُلدَه ، وهم نيام عند السحر ، فنادى ساما ؛ فأجابه يسعى ، وصاح سام فى ولده ، فلم يجبه أحد منهم إلا ابنه أرفخشذ ، فانطلق به معه حتى أتياه ، فوضع نوح يمينه على سام ، وشماله على أرفخشذ بن سام . وسأل الله عز وجل أن يبارك فى سام أفضل البركة ، وأن يجعل المُلْك والنبوّة فى ولد أرفخشذ .

ثم نادى حاما ، فتلفّت يمينا وشمالا ولم يجبه ، ولم يقم إليه هو ولا أحد من ولده ، فدعا الله عز وجل أن يجعل ولده أذلّاء ، وأن يجعلهم عبيدا لولد سام .

قال : وكان مِصْر بن بَيْصَر بن حام نائما إلى جنب جدّه حام ، فلما سمع دعاء نوح على جدّه وولده قام يسعى إلى نوح ، فقال ياجدى ، قد أجبتك إذ لم يجبك أبى ولا أحد من ولده ، فاجعل لى دعوة من دعوتك ، ففرح نوح ـ عليه السلام ـ ووضع يده على رأسه ، وقال : اللهم إنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته ، وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد ، التى نهرها أفضل أنهار الدنيا ، واجعل فيها أفضل البركات ، وسخر له ولولده الأرض ، وذللها ، وقوّهم عليها .

قال : ثم دعا ابنه يافث ، فلم يجبه هو ولا أحد من ولده ، فدعا الله ، عز وجلّ ، عليهم أن يجعلهم شرار الخلق .

قال : ثم دعا ابنه يحطون فأجابه ، فدعا الله ـ عزّ وجل ـ أن يجعل له البركة ، فلم يكن له ولد ولا نسل .

فعاش سام مباركا حتى مات ، وعاش ابنه أرفخشذ بن سام مباركا حتى مات ، وكان الملك الذى يحبّه الله والنبوّة والبركة فى ولد أرفخشذ بن سام .

وكان أكبر ولد حام كنعان بن حام ، وهو الذى حيل به فى الزّجر فى الفُلك ،

فدعا عليه نوح ، فخرج أسود ، وكان في ولده الجفاء والملل والجبروت ، وهو أبو السودان والحبش كلهم .

وابنه الثاني كُوش بن حام ، وهو أبو السّند والهند، وابنه الثالثُ قوط بن حام، وهو أبو البَرْبر ، وابنه الأصغر الرابع بيْصر بن حام ، وهو أبو القبط كلهم .

وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا سليمان بن بلال ، وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير ، حدثنا الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب قال : ولد نوح النبي — عليه السلام — ثلاثة نفر : سام وحام ويافث . فولد كل واحد من الثلاثة ثلاثة، فسام أبو العرب وفارس والروم[1] ، ويافث أبو الصقالبة والترك ويأجوج ومأجوج[2] ، وحام أبو السودان والبربر والقبط .

ثم رجع إلى حديث عثمان قال : فولد بيصر بن حام أربعة ، مصر بن بيْصر ، وهو أكبرهم ، والذى دعا له نوح — صلوات الله عليه — بما دعا له ، وفارق بن بيصر وماح بن بيصر ، وياح بن بيصر .

قال غير عثمان فولد مصر أربعة، قِفْط بن مصر، وأشْمُن بن مصر ، وأتريب بن مصر ، وصاء بن مصر[3] .

حدثنا عثمان بن صالح ويحيى بن خالد عن ابن لهيعة وعبد الله بن خالد يزيد أحدهما على صاحبه ، وكان عثمان ربّما قال، حدثني خالد بن نُجيح عن ابن

---

(١) ليس الفرس والروم من الجنس السامى .

(٢) يأجوج ومأجوج ، جاء فى كتب الجغرافية القديمة وفى كتب الرحالة العرب، أنهم صنف من الأتراك الشرقيين ، كانت تسكن شرق أذربيجان ، وليس فى التاريخ ما يفيد فى توضيحهما ، وقد اعتمد المؤرخون على الكتب السماوية فى التعريف بيأجوج ومأجوج . (الآية رقم ٩٤ من سورة الكهف) وانظر صحيفة ٤١ من كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى طبعة سنة ١٨٧٨ م بأوربا .

(٣) ليس لهذه الرواية ما يؤيدها من الأسانيد التاريخية الصحيحة ، والملحوظ فى كتب المؤرخين العرب أنهم قد اتخذوا من أسماء البلاد مادة للانساب ، تساير الاشتقاق اللغوى .

لهيعة وعبدالله بن خالدقالوا : فكان أول من سكن بمصر بعد أن غرّق اللهقومَ نوح بيصر بن حام بن نوح، فسكن منف[1] — وهى أول مدينة عمّرت بعد الغرق — هو وولده ، وهم ثلاثون نفسا ، قد بلغوا وتزوّجوا ، فبذلك سميت مافَة ، ومافة ، بلسان القبط ، ثلاثون .

قال : وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف ، وكان مصر أكبر ولده ، وهو الذى ساق أباه وجميع إخوته إلى مصر ، فنزلوا بها ، فبمصر بن بيصر سمّيت مِصْرُ مصْرَ ، فحاز له ولولده ما بين الشجرتين خلف العريش إلى أسوان طولا ، ومن برقة إلى أَيْلَة عرضا .

قال : ثم إن بيصر بن حام توفى ، فدفن فى موضع أبى هِرْمِيس .

قال غير عثمان : فهى أول مقبرة قُبر فيها بأرض مصر .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : ثم إن بيصر بن حام توفّى ، واستخلف ابنه مصر ، وحاز كل واحد من إخوة مصر قطعة من الأرض لنفسه ، سوى أرض مصر التى حازها لنفسه ولولده ، فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم قطع مصرُ لكل واحد ولده قطيعة يحوزها لنفسه ولولده ، وقسم لهم هذا النيل .

قال : فقطع لابنه قِفط موضع قِفْط[2] ، فسكنها ، وبه سميت قفط قفطا ،

---

(١) منف عاصمة مصر فى العهد الفرعونى بعد وحدة الشمال مع الجنوب فى عهد مينا ، ومكانها جنوب الأهرامات بالجيزة قبالة الفسطاط (مصر القديمة) .

(٢) قفط بلدة مصرية قديمة جنوبى مدينة قوص ، وهى أقرب إلى الجبل منها إلى النيل ، وتقع فى الجهة الشرقية من النيل على بعد سبعة أميال . وقد سماها اليونان ، كبتوس ، وينسب إليها الشيخ على بن يوسف بن إبراهيم الشيبانى الذى تولى الوزارة فى حلب فى أوائل سنة ٦١٤ هـ ، وكان ذا دراية فى الهندسة وجميع العلوم والتواريخ (راجع كتاب الخطط التوفيقية ص ١٠٥ الجزء الرابع عشر) .

ومافوقها إلى أسوان ، وما دونها إلى أشمون[1] فى الشرق والغرب ، وقطع لأشمن من أشمون فما دونها إلى منف فى الشرق والغرب ، فسكن أشمن أشمون ، فسميت به ، وقطع لأتريب ما بين منف إلى صاء ، فسكن أتريب[2] فسمّيت به ، وقطع لصاء ما بين صاء[3] إلى البحر ، فسكن صاء ، فسميت به ، فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء : جزءين بالصعيد وجزءين بأسفل الأرض .

قال : ثم توفى مصر بن بيصر ، فاستخلف ابنه قفط بن مصر ، ثم توفى قفط ابن مصر ، فاستخلف أخاه أشمن بن مصر ثم توفى أشمن بن مصر ، فاستخلف أخاه أتريب بن مصر ، ثم توفى أتريب بن مصر ، فاستخلف أخاه صا بن مصر ، ثم توفى صا بن مصر ، فاستخلف ابنه تدارس بن صا ، ثم توفى تدارس بن صا ، فاستخلف ابنه ماليق بن تدارس ، ثم توفى ماليق بن تدارس ، فاستخلف ابنه خربتا بن ماليق ، ثم توفى خربتا بن ماليق ، فاستخلف ابنه كلكن بن خربتا ،

---

(١) أشمون المعروفة قاعدة مركز أشمون من أعمال محافظة المنوفية ، والمراد الأشمونين التى تقع بين قفط ومنف ، حتى يتسق التقسيم ، وقد جاء فى الخطط التوفيقية ص ٧٤ من الجزء الثامن ، وكان يقال لها أشمون بالافراد ، وكانت مديرية المنيا تسمى مديرية الأشمونين ، ولاتزال آثار هذه المدينة القديمة باقية ، وقد بنيت قبليها ملوى من أعمال محافظة المنيا بالوجه القبلى .

(٢) أتريب قرية بالقرب من بنها حاضرة محافظة القليوبية وتعرف بتل أتريب ، وكانت قديما من المدن العظيمة على الشاطىء الشرقى للنيل ، ويقال لها أتريبيس فى التواريخ اليونانية ، ويروى المؤرخون أن طولها كان اثنى عشر ميلا وعرضها كذلك ، وكان لها اثنا عشر بابا ، وكان بها خليج تجرى به مياه النيل . وتتفرع منه ترع صغيرة يحيط منها الماء بالمساكن .

وذكر ابن اياس أن بساتينها كانت مملوءة بالاشجار المثمرة وبيوتها فى غاية الحسن وكانت قاعدة لإقليم تعزى اليها قراه ، وهى مائة قرية وثمانية :

(٣) صا هى صا الحجر : وهى بلدة بمركز كفر الزيات من أعمال محافظة البحيرة شرقى فرع رشيد : وكانت صا من أعظم مدن الوجه البحرى . وهى غير صان الحجر (تنيس) وقد ذكر هيرودوت أنه كان بها قبر أوزريس :

وجاء فى قاموس الجغرافية الأفرنجى أن سكروب الذى أسس مدينة أثينا ببلاد اليونان أصله من صا الحجر ، وقد دخل بلاد اليونان سنة ١٦٤٣ ق . م .

فملكهم نحوا من مائة سنة ، ثم توفى ولا ولد له ، فاستخلف أخاه ماليا بن خربتا ، ثم توفى ماليا بن خربتا فاستخلف ابنه طوطيس بن ماليا ، وهو الذى وهب هاجر لسارة امرأة إبراهيم خليل الرحمن [١] عليه السلام .

ذكر

دخول إبراهيم مصر

وكان سبب دخول إبراهيم — عليه السلام — مصر كما حدثنا أسد بن موسى وغيره ، أنه لما أمر بالخروج عن أرض قومه والهجرة إلى الشام خرج ومعه لوط وسارة ، حتى أتوا حران [٢] ، فنزلها ، فأصاب أهل حران جوع ، فارتحل بسارة ، يريد مصر ، فلما دخلها ذكر جمالها لملكها ، ووصف له أمرها ، وكان حسن سارة كما حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن خالد عن خالد بن عبد الله عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : كان حسن سارة حسن حواء .

قال : ثم رجع إلى حديث أسد وغيره قال ، فأمر بها ، فأدخلت عليه ، وسأل إبراهيم — عليه السلام — قال له : ما هذه المرأة ؟ ، قال : أختى .

فهم الملك بها ، فأيبس الله يديه ورجليه ؛ فقال لإبراهيم :

— هذا عملك ، فادع الله لى ، فوالله لا أسوءك فيها .

فدعا الله له ، فأطلق الله يديه ورجليه ، وأعطاها غنما وبقراً ، وقال : ما ينبغى لهذه أن تخدم نفسها ، فوهب لها هاجرا .

---

(١) المعروف أن إبراهيم الخليل دخل مصر فى عهد الهكسوس ، ويذكر بعض المؤرخين ، أن ملك الهكسوس أهداه هاجر . وهو ما يشير إليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لكم منهم صهراً وذمة .

(٢) حران مدينة مشهورة بالإقليم الشمالى على الطريق إلى الموصل ، وقد فتحها العرب أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم .

وكان أبو هريرة يقول : فتلك أمكم يابنى ماء السماء — يريد العرب .

حدثونا عن عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة أن رسول الله — ﷺ — قال : « إن إبراهيم قدم أرض جبار ، ومعه[١] سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها ، إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى ، فإن سألك فاخبريه أنك أختى فى الإسلام ، فلما دخل الأرض رآها بعض أهل الجبار ، فأتاه ، فقال ، لقد دخلت أرضك امرأة لا ينبغى أن تكون إلا لك ؛ فأرسل إليها ، فأتى بها ، وقام إبراهيم للصلاة .

فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها ، فقبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها :

— أدعى الله أن يطلق يدى ، فلا أضرك .

ففعلت .

فعاد ، فقبضت يده أشد من القبضة الأولى .

فقال لها مثل ذلك ؛ ففعلت ؛ فعاد ؛ فقبضت أشد من القبضتين الأوليين.

فقال : أدعى الله أن يطلق يدى ، فلك الله ألا أضرك .

ففعلت ، وأطلقت يده .

فدعا الذى جاء بها ، فقال :

— إنك إنما أتيتنى بشيطان ، ولم تأتنى بإنسان ، فأخرجها من أرضى .

وأعطاها هاجر .

فأقبلت تمشى .

فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف ، وقال لها : مَهْيَم[٢] .

---

(١) فى نسخة ج : وكانت معه .

(٢) كذا فى الأصل ، ولم أجد لهذا اللفظ معناه ، ولعله لفظ سؤال عما حدث .

قالت : خيرا ، كفّ الله يد الفاجر ، وأخدم خادما .

قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بنى ماء السماء .

قال ابن وهب : وأخبرنى ابن أبى الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه ، قال : فقام إليها ، فقامت تتوضأ تصلى ، ثم قالت : اللهم إنى كنت آمنت بك و برسولك ، وأحصنت فرجى إلا على زوجى ، فلا تسلّط علىّ الكافر ، فغطّ حتى ركض برجله .

قال الأعرج ، قال أبو سلمة ، قال أبو هريرة ، قالت : اللهم إن يمت يقال هى قتلته[1] .

حدثنا أسد بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن حارثة بن مُضرّب عن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — أن سارة كانت بنت ملك من الملوك وكانت قد أوتيت حسنا ، فتزوجها إبراهيم عليه السلام ، فمرّ بها على ملك من الملوك ، فأعجبته ، فقال لإبراهيم .

— من هذه ؟

فقال له ما شاء الله أن يقول .

فلما خاف إبراهيم وخافت سارة أن يدنو منها دعوا الله عليه ، فأيبس الله يديه ورجليه ، فقال لإبراهيم .

— قد علمت أن هذا عملك فادع الله لى ، فوالله لا أسوءك فيها .

فدعا له ، فأطلق على يديه ورجليه .

ثم قال الملك :

— إن هذه لامرأة لا ينبغى أن تخدم نفسها .

---

(١) فى ج نسخة زيادة (. فأفاق ، فهم بها أخرى ، فقالت : اللهما كفأه كيف شئت تكفؤ) .

فوهب لها هاجر ، فخدمتها ما شاء الله .

ثم إنها غضبت عليها ذات يوم ، فحلفت لتغيّرن منها ثلاثة أشياء .

فقال : تخفضينها[١] ، وتثقبين أذنيها .

ثم وهبتها لابراهيم على ألا يسوءها فيها ، فوقع عليها ، فولدت إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

قال : وكانت سارة كما حدثنا وَثِيمة بن موسى عن سلمة بن الفضل وعمرو ابن الازهر — أو أحدهما — عن ابن اسحاق عن عبد الرحمن عن أبى هريرة حين رأت أنها لا تلد أحبّت أن تعرض هاجر على ابراهيم ، فكانت تمنعها الغيرة .

وكانت هاجر كما حدثنا وثيمة بن موسى عن سلمة بن الفضل وعمرو بن الأزهر — أو أحدهما أو كلاهما — عن ابن اسحاق أول من جرّت ذيلها لتخفى أثرها على سارة ؛ وكانت سارة قد حلفت لتقطعنّ منها عضوا .

فبلغ ذلك هاجراً ، فلبست درعا لها ، وجرّت ذيلها لتخفى أثرها ، وطلبتها سارة ، فلم تقدر عليها .

فقال إبراهيم :

— هل لك أن تعفى عنها ؟

قالت : فكيف بما حلفت ؟

قال : تخفضينها ، فيكون ذلك سنّة للنساء ، فتبرءين يمينك .

ففعلت ، فمضت السنّة بالخفض .

---

(١) الخافضة الخاتنة ، والخفض الختان وهو خاص بالأنثى ، فيقال للجارية خفض وللغلام ختن ، وفى القصة تعليل طريف رواه بعض المؤرخين .

ذكر
ظفر العمالقة بمصر وأمر يوسف

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال : ثم توفى طوطيس بن ماليا، فاستخلف ابنته خَرُوبا ابنة طوطيس ، ولم يكن له ولد غيرها ، وهى أول امرأة ملكت .

قال : ثم توفيت خروبا ابنة طوطيس، فاستخلفت ابنة عمّها زالفا ابنة ماموم بن ماليا ، فعمرت دهراً طويلا ، وكثروا ونموا ، وملأوا أرض مصر كلها ، فطمعت فيهم العمالقة ، فغزاهم الوليد بن دَوْمغ ، فقاتلهم قتالا شديدا ، ثم رضوا أن يملكوه عليهم ، فملكهم نحواً من مائة سنة ؛ فطغى وتكبر ، وأظهر الفاحشة ، فسلط الله عليه سَبُعًا ، فافترسه وأكل لحمه .

قال : والعماليق كما حدثنا عبد الملك بن هشام من ولد عملاق ، ويقال عمليق بن لاوذ بن سام .

حدثنا أبو الأسود وأسد بن موسى ويحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافرىّ عن ابن حُجَيْرة قال : استظل سبعون رجلا من قوم موسى فى قِحْف رجل من العماليق ؛ قال : فملكهم من بعده ابنه الرّيان بن الوليد ابن دَوْمغ ، وهو صاحب يوسف النبى عليه السلام ؛ فلما رأى الملك الرؤيا التى رآها ، وعبرها يوسف عليه السلام أرسل إليه الملك ، فأخرجه من السجن .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلبىّ عن أبى صالح عن ابن عباس قال : فأتاه الرسول ، فقال : ألقِ عنك ثياب السجن ، والبس ثيابا جُدُدا ، وقم إلى الملك ؛ فدعا له أهل السجن ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة .

فلما أتاه رأى غلاما حَدَثا ، فقال :

— أيعلم هذا رؤياى ، ولا يعلمها السحرة والكهنة . . ؟

وأقعده قدّامه ، وقال له : لا تخف .

قال عثمان وغيره فى حديثهما : فلما استنطقه وساءله عظم فى عينه ، رجلّ آمنه فى قلبه ، فدفع إليه خاتمه ، وولاه ما خلف بابه .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير ، وأعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك ، وضرب بالطبل بمصر ، أن يوسف خليفة الملك .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله حدثنى أبو سعيد عن عكرمة أن فرعون قال ليوسف : قد سلطتك على مصر ، غير أنى أريد أن أجعل كرسيى أطول من كرسيك بأربع أصابع .

قال يوسف : نعم .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : وأجلسه على السرير ، ودخل الملك بيته مع نسائه ، ففوّض أمر مصر كلها إليه ، فبسبب عبارة رؤيا الملك ملك يوسف مصر .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنى الليث بن سعد قال ، حدثنى مشيخة لنا قال : اشتد الجوع على أهل مصر ، فاشتروا الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا ، فاشتروا بالفضة ، حتى لم يجدوا فضة ، فاشتروا بأغنامهم ، حتى لم يجدوا غنما :

فلم يزل يبيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهبا ولا شاة ولا بقرة فى تلك السنين ، فأتوه فى الثالثة ، فقالوا له : لم يبق لنا إلا أنفسنا وأهلونا وأرضونا ، فاشترى يوسف أرضهم كلها لفرعون ، ثم أعطاهم يوسف طعاما يزرعونه[1] على أن لفرعون الخمس .

---

(١) فى نسخة « يزرعون » .

ذكـــر

استنباط الفيوم

قال : وفى ذلك الزمان استنبطت الفيوم ، وكان سبب ذلك كما حدثنا هشام ابن إسحاق أن يوسف عليه السلام لما ملك مصر وعظمت منزلته من فرعون ، وجاوزت سنّه مائة سنة قال وزراء الملك له : إن يوسف قد ذهب علمه وتغيّر عقله ونفدت حكمته . فعنفهم فرعون ، وردّ عليهم مقالتهم ، وأساء اللفظ لهم ، فكفّوا ؛ ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين ، فقال لهم :

— هلمّوا ما شئتم من أى شىء أختبره به .

وكانت الفيّوم يومئذ تُدعى الجوبة ، وإنما كانت لمُصالة ماء الصعيد وفضوله .

فاجتمع رأيهم على أن تكون هى المحنة التى يمتحنون بها يوسف عليه السلام .

فقالوا لفرعون :

— سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة عنها ، فتزداد بلداً إلى بلدك ، وخراجًا إلى خراجك .

فدعا يوسف عليه السلام ، فقال :

— قد تعلم مكان ابنتى فلانة منى ، وقد رأيت إذا بلغتْ أن أطلب لها بلداً ، وإنى لم أصِبْ لها إلا الجَوْبة ، وذلك أنه بلد[1] بعيد قريب ، لا يؤتى من وجه من الوجوه إلا من غابة وصحراء .

قال غير هشام : فالفيوم وسط مصر كمثل مصر فى وسط البلاد ، لأن مصر لا تؤتى من ناحية من النواحى إلا من مفازة وصحراء .

---

(١) فى نسخة أخرى بليد .

قال هشام فى حديثه : وقد أقطعتُها إياها ، فلا نتركنّ وجها ولا نظراً إلا بلغْتَه .

فقال يوسف عليه السلام : نعم أيها الملك ، متى أردت ذلك فابعث إلىّ ، فإنى إن شاء الله فاعل .

قال : إن أحبّه إلىّ وأوفقه أعجلُه .

فأوحى إلى يوسف عليه السلام أن تحفر ثلاثة خُلُج ، خليجا من أعلى الصعيد من موضع كذا إلى موضع كذا ، وخليجا شرقيا من موضع كذا إلى موضع كذا ، وخليجا غربيا من موضع كذا إلى موضع كذا .

فوضع يوسف عليه السلام العمّال ، فحفر خليج المَنْهَى إلى اللّاهُون[1] ، وأمر البنائين أن يحفروا اللاهون ، وحفر خليج الفيوم ، وهو الخليج الشرقى ، وحفر خليجا بقرية يقال لها تَنْهَمْت[2] من قرى الفيوم ، وهو الخليج الغربى ، فخرج ماؤها من الخليج الشرقى ، فصب فى النيل ، وخرج من الخليج الغربى فصب فى صحراء تَنْهَمْت إلى الغرب ، فلم يبق فى الجوبة ماء ، ثم أدخلها الفَعَلة ، فقطع ما كان فيها من القصب والطَرْفاء ، وأخرجه منها ، وكان فى ذلك ابتداء جرى النيل .

وقد صارت الجَوْبة أرضا ريفية برّيّة[3] ، وارتفع ماء النيل، فدخل فى رأس المَنْهَى ، فجرى فيه حتى انتهى إلى اللاهون ، فقطعه إلى الفيوم ، فدخل خليجها ، فسقاها ، فصارت لُجّة من النيل .

---

(١) اللاهون : بلدة قديمة من بلاد الفيوم عند قناطر اللاهون من الجهة الشمالية حيث فتحة الجبل التى يمر منها بحر يوسف ، وهى أول بلاد الفيوم ، وكانت قديماً تسمى بطليموسة .

(٢) تنهمت : بلدة كانت تقع على بحيرة قارون ، ويذكرها بعض المؤرخين تهامت وتيهمت ـ وجاء فى الخطط التوفيقية : أنها بحيرة ممتدة فى جبال من الرمل الأصفر ، وفى الشتاء تكثر بها الطيور .

(٣) فى نسخة « ترية » .

فخرج إليها الملك ووزراؤه ، وكان هذا كله فى سبعين يوما ، فلما نظر إليها الملك قال لوزرائه أولئك : هذا عمل ألف يوم ، فسميت الفيوم[1] ، وأقامت تزرع كما تزرع غوائط[2] مصر .

قال : وقد سمعت فى استخراج الفيوم وجهاً غير هذا ؛ حدثنا يحيى بن خالد العَدَوىّ عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن يوسف النبى عليه السلام تملك مصر وهو ابن ثلاثين سنة ، فأقام يدبّر أمورها أربعين سنة ؛ فقال أهل مصر : قد كبر يوسف ، واختلف رأيه ، فعزلوه ، وقالوا : اختر لنفسك من الموات أرضاً نقطعكها لنفسك وتصلحها ، ونعلم رأيك فيها ، فإن رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم أنك فى زيادة من عقلك رددناك إلى مُلكك .

فاعترض البرّيّة فى نواحى مصر ، فاختار الفيوم فأُعطيها ، فشق إليها خليج المنهى من النيل حتى أدخله الفيوم كلها ، وفرغ من حفر ذلك كله فى سنة .

و بلغنا أنه إنما عمل ذلك بالوحى ، وقوى على ذلك بكثرة الفَعَلة والأعوان ، فنظروا ، فإذا الذى أحياه يوسف من الفيوم لا يعلمون له بمصر كلها مثلا ولا نظيرا .

فقالوا : ما كان يوسف قط أفضل عقلا ولا رأيا ولا تدبيرا منه اليومَ ، فردوا إليه المُلك ، فأقام ستين سنة أخرى ، تمام مائة سنة ، حتى مات يوم مات ، وهو ابن ثلاثين ومائة سنة ، والله أعلم .

قال : ثم رجع إلى حديث هشام بن إسحاق قال : ثم بلغ يوسف عليه السلام قول وزراء الملك ، وأنه إنما كان ذلك منهم على المِحنة منهم له ، فقال الملك : إن عندى من الحكمة والتدبير غير ما رأيتَ . فقال له الملك : وما ذاك ؟

قال أُنْزِلُ الفيومَ من كل كورة من كور مصر أهلَ بيت ، وآمُرُ أهل كل بيت أن يبنوا لأنفسهم قرية ، وكانت قُرى الفيوم على عدد كور مصر ، فإذا

---

(١) كذا يروى مؤرخو العرب كالمسعودى والكندى ، والصواب أن الفيوم كلمة قبطية جعلها علماء الأقباط علماً على الإقليم المسمى عند قدماء اليونان أرسنويه ، ومعناها فى لغتهم البحر ، لاشتمال الإقليم على البحيرة العظيمة ، فكلمة الفيوم معربة من القبطية ، وقال هيرودوت : إن مدينة الفيوم كانت تسمى أيضاً مدينة التماسيح .

(٢) غوائط جمع غوط ، وهى الأرض المتسعة فى انحدار .

فرغوا من بناء قُراهم صَيّرتُ لكل قرية من الماء بقدر ما أُصَيِّرُ لها من الأرض ، لا يكون فى ذلك زيادة عن أرضها ولا نُقصان ، وأصيِّر لكل قرية شِرْباً فى زمان لا ينالهم الماء إلا فيه ، وأصيِّر مُطَأْطِئاً للمرتفع ومرتفعاً للمطأْطئ بأوقات من الساعات فى الليل والنهار ، وأصير لها قَبضات فلا يُقصَّر بأحدٍ دون حقه ، ولا يُزداد فوق قدره .

فقال له فرعون : هذا من ملكوت السماء .

قال : نعم .

فبدأ يوسف عليه السلام ، فأمر ببنيان القرى ، وحَدّ له حدوداً ، وكانت أول قرية عمرت بالفيوم قرية يقال لها : شنانة ، وهى القرية التى كانت تنزلها بنت فرعون .

ثم أمر بحفر الخليج و بنيان القناطر ، فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الأرض ووزن الماء ، ومن يومئذ أُحدِثَت الهندسة ، ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك .

قال : وكان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ، وضع له مقياساً بمَنْف ، ثم وضعت العجوز دَلُوكَة ابنة زَبّاء[1] ، وهى صاحبة حائط العجوز ، مقياساً بأنْصِنا[2] ، وهو صغير الذرع ، ومقياساً بأخميم[3] ، ووضع عبد العزيز بن

---

(١) رواية غير صحيحة .

(٢) أنصنا : بلدة بصعيد مصر على شاطىء النيل من البر الشرقى قبالة الأشمونين ، (ملوى) وكانت تسمى قديماً انتنويه ، ويستفاد من كلام المؤرخين ، أن قيصر الروم أدريان هو الذى أمر ببنائها لتكون مركزاً للأقاليم القبلية عوضا عن مدينة الأشمونين . وقد ذكر الإدريسى أنها كانت مدينة السحرة ، ومنها جلب فرعون مصر سحرة موسى عليه السلام ، وقال أبو عبيد البكرى : إن أنصنا كورة عظيمة من كور مصر ، وكانت مارية القبطية من قرية من قراها يقال لها حفن ؛ وترى مدينة ملوى من فوق تلال أنصنا ، وقد كان اسمها يطلق على زمامها لغاية أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، ولما خربت قيد زمامها باسم الشيخ عبادة فى تاريخ سنة ١٢٣٠ هـ ، نزلة من توابعها ، وبذلك اختفى اسم أنصنا من عداد النواحى المصرية ، ومكانها اليوم الأطلال الواقعة فى حوض بلدة النصلة ، محرفة عن أنصنا ، رقم ١١ ، بأراضى الشيخ عبادة الواقعة شرق النيل بمركز ملوى ، من أعمال محافظة المنيا .

(٣) إخميم بكسر الهمزة والميم ، بلد قديم فى البر الشرقى للنيل قبالة سوهاج ومن =

مروان مقياسا بحلوان[١]، وهو صغير ، ووضع أُسامة بن يزيد التنوخىّ فى خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة ، وهو أكبرها .

حدثنا يحيى بن بُكير قال : أدركتُ القَيَّاس يقيس فى مقياس مَنْف ويدخل بزيادته الفسطاط .

ذكر

دخول أهل يوسف مصر ، ووفاة يعقوب ودفنه

قال : وفى زمان الريّان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر كما حدثنا هشام بن إسحاق ، وهم ثلاثة وتسعون[٢] نفسا بين رجل وامرأة ، فأنزلهم يوسف عليه السلام ما بين عين شمس إلى الفَرَما[٣] ، وهى أرض ريفية برّية .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلبى عن أبى صالح عن

= مراكزها ، وكان الرومان واليونان يسمونها بانوبوليس ، أى مدينة الإله بان ، وكان فيها بربا شهير (أى هيكل) يعد من المبانى الفاخرة القديمة الباقية بمصر . وقد ذكر هيرودوت : أن جميع المصريين كانوا ينفرون من العادات اليونانية ما عدا أهل إخميم ، وقال : إن أهلها يفوقون غيرهم فى الصناعات ، لا سيما نسيج الأقمشة وعمل التماثيل ؛ وهو ما تشتهر به إخميم الآن .

(١) ضاحية جنوبى القاهرة شرقى النيل ، مشهورة بهوائها ومياهها الكبريتية .

(٢) فى نسخة ى وسبعون .

(٣) الفرما : مدينة من أقدم الرباطات المصرية بقرب الحدود الشرقية ، وكانت فى زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق ، لأنها فى طريق المغيرين على مصر ، واسمها المصرى القديم « بر آمن » أى مدينة الإله آمون ، ومنه اسمها العبرى « برمون » والقبطى « برما » ومن هذا الاسم أتى اللفظ العربى « فرما » وقد سماها الروم بيلوز ، ومعناها الوحلة ، لأنها واقعة فى منطقة من الأوحال بسبب تغطية ماء البحر الأبيض لأراضى تلك المنطقة .

وقد اندثرت هذه المدينة وتعرف اليوم آثارها بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلومترات من ساحل البحر الأبيض وعلى بعد ٢٣ كيلومتراً شرقى محطة الطينة الواقعة على السكة الحديد بين بورسعيد والإسماعيلية .

وقد بقيت آثار قلعة الفرما مستعملة إلى آخر القرن الثانى عشر الهجرى حيث كانت منفى ولا تزال هذه الآثار باقية إلى اليوم .

ابن عباس قال : دخل مصر يعقوب وولده ، وكانوا سبعين نفسا ، وخرجوا وهم ستمائة ألف .

وحدثنا أسد ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسروق قال : دخل أهل يوسف ، وهم ثلاثة وتسعون إنسانا ، وخرجوا وهم ستمائة ألف[1] .

وأدخل يوسف — كما حدثنا أسد عن خالد بن عبدالله عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس — أباه وخمسة من إخوته على الملك ، فسلموا عليه ، وأمر أن يقطع لهم من الأرض ، وكان يعقوب لما دنا من مصر أرسل يهوذا إلى يوسف ، فخرج إليه يوسف ، فلقيه ، فالتزمه وبكى .

قال : ثم رجع إلى حديث هشام بن إسحاق قال ، فلما دخل يعقوب على فرعون ، فكلمه — وكان يعقوب عليه السلام شيخا كبيرا ، حليما ، حسن الوجه واللحية ، جَهير الصوت . فقال له فرعون :

— كم أتى عليك أيها الشيخ ؟

قال : عشرون ومائة .

وكان بَمين[2] ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام في كتبه ، وأخبر أن خَراب مصر وهلاك أهلها يكون على أيديهم ، ووضع البَرْبايات[3] وصفات من تخرّب مصر على يديه .

فلما رأى يعقوب قام إلى مجلسه ، فكان أولُ ما سأله عنه أن قال له :

— من تعبد أيها الشيخ ؟

قال له يعقوب :

---

(١) لا يدل العدد على حقائق تاريخية .
(٢) انظر تاريخ مرجيليوث الجزء الأول ص ٢٤٦ ، فقد ذكره باسم بهمن .
(٣) في نسختي ب و د البربابات .

— أعبد الله ، إله كل شىء .

فقال له :

— كيف تعبد مالا ترى ؟

قال له يعقوب :

— إنه أعظم وأجل من أن يراه أحد .

قال بَمِينُ :

— فنحن نرى آلهتنا .

قال يعقوب :

— إن آلهتكم من عمل أيدى ابن آدم ، من يموت ويبلى ، وإن إلهى أعظم وأرفع ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد .

فنظر بمينُ إلى فرعون ، فقال :

— هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه .

قال فرعون :

أفى أيامنا أم فى أيام غيرنا ؟

قال :

— ليس فى أيامك ولا فى أيام بنيك أيها الملك .

قال الملك : هل تجد هذا فيما قضى به إلهكم ؟

قال : نعم .

قال . فكيف نقدر أن نقتل من يريد إلهه هلاك قومه على يديه ؟ فلا تعبأ بهذا الكلام .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله ، حدثنى أبو حفص الكلاعىّ عن تُبَيع عن كعب أن يعقوب عاش فى أرض مصر ست عشرة سنة ، فلما حضرته الوفاة قال ليوسف :

— لا تدفنّى بمصر ، وإذا متُّ فاحملونى ، فادفنونى فى مغارة جبل حَبْرُون[1] .

وحبرون كما حدثنا أسد عن خالد عن الكلبى عن أبى صالح مسجد إبراهيم عليه السلام اليوم ، و بينه و بين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا .

ثم رجع إلى حديث الكلاعىّ عن تُبَيع[2] عن كعب قال : فلما مات لَطّخوه بمُرٍّ وصَبِر .

قال غير أسد : وجعلوه فى تابوت من ساج .

قال أسد فى حديثه : فكانوا يفعلون ذلك به أربعين يوما حتى كلم يوسف فرعون ، وأعلمه أن أباه قد مات ، وأنه سأله أن يقبره فى أرض كنعان ، فأذن له ، وخرج معه أشراف أهل مصر حتى دفنه ، وانصرف .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن من حدّثه قال : قُبِر يعقوب بمصر ، فأقام بها نحوا من ثلاث سنين ، ثم حمل إلى بيت المقدس ، أوصاهم بذلك عند موته ؛ والله أعلم .

---

(١) جبل حبرون : حبرون اسم القرية التى فيها قبر إبراهيم الخليل بالبيت المقدس ، وقد غلب على اسمها لفظ الخليل .

(٢) هو تبيع بن عامر الحميرى ابن امرأة كعب الأحبار ، ويكنى أبا عبيدة ، مخضرم ، وهو عالم بالكتب القديمة .

ذكـــر

وفاة يوسف

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال : ثم مات الريّان بن الوليد ، فملكهم من بعده ابنه دارم بن الريّان .

قال غير عثمان : وفى زمانه توفى يوسف صلوات الله عليه ، فلما حضرته الوفاة قال : إنكم ستخرجون من أرض مصر إلى أرض آبائكم ، كما حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله ، حدثنى أبو حفص الكلاعىّ عن تُبيع عن كعب ، فاحملوا عظامى معكم .

فمات ، فجعلوه فى تابوت ، ودفنوه .

حدثنا محمد بن أسْعَد ، حدثنا أبو الأحْوص عن سِماك بن حَرْب قال : دُفِن يوسف صلوات الله عليه فى أحد جانبى النيل ، فأخصب الجانب الذى كان فيه ، وأجْدَب الآخر ، فحوّلوه إلى الجانب الآخر ، فأخصب الجانب الذى حوّلوه إليه ، وأجدب الجانب الآخر ؛ فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه ، فجعلوها فى صندوق من حديد ، وجعلوا فيه سِلْسِلة ، وأقاموا عموداً على شاطىء النيل ، وجعلوا فى أصله سِكّة من حديد ، وجعلوا السلسلة فى السكّة ، وألقوا الصندوق فى وسط النيل ، فأخصب الجانبان معاً[1] .

وحدثنا العباس بن طالب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس عن الحسن ، أن يوسف عليه السلام أُلقى فى الجُبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، ومكث إلى أن لقى يعقوب عليه السلام وأهله ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ،

(١) مثل هذه الرواية لا تدل على حقائق تاريخية ، وإنما تصور خيال الأساطير فى نسبة جريان الخير على يد يوسف بعد موته ، كجريانه فى حياته .

فمات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، ويقال : إنه توفى ، وهو ابن ثلاثين ومائة سنة .

ذكـــر

ملوك مصر بعد زمان يوسف

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال : ثم إن دراماً طغى بعد يوسف عليه السلام وتـكبّر ، وأظهر عبادة الأصنام ، فركب فى النيل فى سفينة ، فبعث الله عليه ريحا عاصفا ، فأغرقته ، ومن كان معه فيما بين طُرا إلى موضع حلوان .

فملـكهم من بعده كاشَم بن معدان ، وكان جبّارا عاتيا .

وحدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن أبى حفص الـكلاعىّ عن تُبيع عن كعب قال : لما مات يوسف عليه السلام استعبد أهـلُ مصر بنى إسرائيل .

ثم رجع إلى حديث عثمان قال : ثم هلك كاشَم بن معدان ، فملـكهم بعده فرعون موسى .

قال غير عثمان : واسمه ظَلْما ، قبطىّ من قبط مصر .

حدثنا سعيد بن عُفَيْر ، حدثنا عبد الله بن أبى فاطمة عن مشائخه قال : كان من فَرَان بن بَلِىّ[1] ، واسمه الوليد بن مصعب ، وكان قصيرا أبرش يطأ فى لحيته .

(١) فى نسخة د ابن أبى ليلى ، وفاران بطن من قضاعة وهو فاران بن بلى ، وبعضهم يقول : فِران بكسر الأول وإليه ينسب معدن فران .

حدثنا سعيد بن عُفَيْر قال : حُدِّثْنا عن هانئ بن المنذر أنه كان من العماليق، وكان يكنّى بأبى مُرّة .

وحدثنا يزيد بن أبى سلمة عن جرير عن عبد الملك بن مَيْسرة عن النزّال ابن سَبْرَة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : كان فرعون أثْرَم ، ويقال بل هو رجل من لَخْم ، والله أعلم .

فمن زعم أنه من العماليق فقد ذكرنا السبب الذى به ملكت العماليق مصر ، ومن زعم أنه من فران بن بلىّ فإن سعيد بن عفير قد حدثنا قال : حدثنا عبد الله ابن أبى فاطمة عن مشائخه ، أن ملك مصر توفى ، فتنازع المُلك جماعة من أبناء الملك ، ولم يكن المَلِكُ عَهِدَ ، ولما عظم الخطب بينهم تداعوا إلى الصلح ، فاصطلحوا على أن يحكم بينهم أول من يطلع من الفجّ ، فج الجبل ، فاطّلع فرعون بين عَدِيلتى نَطْرُون ، قبل أقبل بهما ليبيعهما ، وهو رجل من فَران بن بلىّ ، فاستوقفوه ، وقالوا : إنا قد جعلناك حكما بيننا فيما تشاجرنا فيه من الملك ، وآتوه مواثيقهم على الرضى ، فلما استوثق منهم قال : إنى قد رأيت أن أملّك نفسى عليكم ، فهو أذهب لضغائنكم وأجمع لأموركم ، والأمر من بعدُ إليكم ، فأمّروه عليهم لنفاسة بعضهم بعضا ، وأقعدوه فى دار الملك بمنف ، فأرسل إلى صاحب أمر كل واحد منهم ، فوعده ومنّاه ، أن يملّكه على مُلك صاحبه ، ووعدهم ليلةً يقتل فيها كلُّ رجل منهم صاحبه ، ففعلوا ، ودان له أولئك بالربوبية ، ولم يكن لهم تكبر الملوك ، والله أعلم .

فملكهم نحوا من خمسمائة سنة[1] ، وكان من أمره وأمر موسى عليه السلام ما قصّ الله تبارك وتعالى من خبرهم فى القرآن .

---

(١) كذا فى الأصل وليس له سند من تاريخ الأسر الحاكمة فى مصر القديمة .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال ، فأقام فرعون ملك مصر خمسمائة سنة حتى أغرقه الله تعالى .

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا خَلَّاد بن سليمان الحضرمى ، قال : سمعت أبا الأَشْرس يقول ، مكث فرعون أربعمائة سنة ، الشباب يغدو عليه و يروح .

حدثنا أبى ، حدثنا خَلَّاد بن سليمان قال : سمعت إبراهيم بن مِقْسم قال : مكث فرعون أربعمائة سنة لم تُصدّع له رأس ، وكان يملك فيما يذكر مابين مصر إلى افريقية .

وكان يقعد على كراسى فرعون ، كما حدثنا أسد عن خالد الكلبى عن أبى صالح عن ابى صالح عن ابن عباس ، مائتان ، عليهم الديباج وأساور الذهب ، وقد كان استعمل هامان على الناس ، فقال ياهامان (إبْنِ لى صَرْحاً ، لَعَلّى أَبلغ الأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّموات)[1] يعنى أن من كل سماء إلى سماء سبب .

وشغل الله فرعون بالآيات التى جاء بها موسى عليه السلام ، ولم يبين له هامان الصرح .

ذكر

حمل عظام يوسف إلى الشام

قال : وفى زمانه حملت عظام يوسف عليه السلام من مصر إلى الشام ، وكان سبب حمله فيما حدثنا محمد بن أسعد التغلبىّ عن أبى الأحوص عن سِماك بن حرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل وهو قافل من الشام ، ومعه زيد بن حارثة ، فمرّ ببيت شَعْر فَرْدٍ ؛ وقد أمسى ، فدنا من البيت ، فقال : السلام عليكم . فرد رب البيت .

(١) الآية : ٣٦ من سورة غافر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضيف .

قال : انزل .

فبات فى قِرًى .

فلما أصبح وأراد الرحيل ، قال الشيخ .

— أصيبوا من بقية قِراكم .

فأصابوا .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفتح الله عليه جاء الشيخ على راحلته حتى أناخ بباب المسجد ، ثم دخل ، فجعل يتصفّح وُجوه الرجال .

فقالوا له :

— هذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— ما حاجتك ؟

قال :

— والله ما أدرى إلا أنه نزل بى رجل ، فأكرمتُ قِراه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— و إنك لفلان .

قال : نعم .

قال : كيف أم فلان ؟

قال : بخير .

قال : فكيف حالكم ؟

قال : بخير

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين ارتحل من عنده : « إذا سمعت بنبيّ قد ظهر بتهامة فائته ، فإنك تصيب منه خيرا » .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمنّ ماشئت ، فإنك لن تتمنى اليوم شيئا إلا أعطيتكه » .

قال : فإنى أسألك ضأنا ثمانين .

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا عبد الرحمن بن عوف ، قمْ ، فأوْفِها إياه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، فقال : ما كان أحوج هذا الشيخ إلى أن يكون مثل عجوز موسى .

قال : قلنا يارسول الله ، وما عجوز موسى ؟

قال : بنت يوسف[1] ، عمرت حتى صارت عجوزا كبيرة ذاهبة البصر ؛ فلما أسرى موسى ببنى إسرائيل غشيتهم ضَبابة ، حالت بينهم و بين الطريق أن يُبْصروه ، وقيل لموسى ، لن تعبر إلا ومعك عظام يوسف .

قال : ومن يدرى أين موضعها ؟

قالوا : ابنته عجوز كبيرة ذاهبة البصر ، تركناها فى الديار .

قال : فرجع موسى ، فلما سمعت حِسّه قالت :

— موسى ؟

قال : موسى .

قالت : ما ردّك ؟

(١) فى نسخة س زيادة : اسمها سارَح بفتح الراء ابنة آشر بن يعقوب ، إسرائيل الله ابن إبراهيم الخليل ، فهى ابنة أخى يوسف عليه السلام ، وقد دخلت مصر مع يعقوب ، ويقال : إنما عاشت بعد موسى عليه السلام ، وأناف عمرها ثلاثمائة وخمسين سنة .

قال : أمرت أن أحمل عظام يوسف .

قالت : ما كنتم لتعبروا لولا أنا معكم .

قال : دُلِّينى على عظام يوسف .

قالت : لا أفعل إلا أن تعطينى ما سألتك .

قال : فَلَكِ ما سألتِ .

قالت : خذ بيدى .

فأخذ بيدها ، فانتهت به إلى عمود على شاطئ النيل ، فى أصله سكّة من حديد مُوَتّدة فيها سلسلة ، فقالت .

— إنا كنا قد دفنّاه من ذلك الجانب ، فأخصب ذلك الجانب ، وأجدب ذا الجانب ، فحوّلناه إلى هذا الجانب ، فأخصب هذا الجانب ، وأجدب ذاك[1] ، فلما رأينا ذلك جمعنا عظامه ، فجعلناها فى صندوق من حديد ، وألقيناه فى وسط النيل ، فأخصب الجانبان جميعاً .

قال : فحمل الصندوق على رقبته . وأخذ بيدها ، فألحقها بالعسكر ، وقال لها :

— سلى ما شئت .

قالت : فإنى أسأل أن أكون أنا وأنت فى درجة واحدة فى الجنة ، ويرد علىّ بصرى وشبابى ، حتى أكون شابة كما كنت .

— قال : فلك ذلك .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : كان يوسف عليه السلام قد عهد عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر ، فتجهز القوم وخرجوا ، فتحيّروا ، فقال لهم موسى : إنما تحيّركم

(١) فى نسخة هـ ذاك الجانب الآخر .

هذا من أجل عظام يوسف ، فمن يدلنى عليها ؟ .

فقالت عجوز ، يقال لها سارَح ابنة آشر بن يعقوب ، أنا رأيت عمى — تعنى يوسف — حين دفن ، فما تجعل لى إن دللتك عليه ؟

قال : حُكمُك .

قال : فدلّته عليها ، فأخذ عظام يوسف ، ثم قال : احتكمى

قالت : أكون معك حيث كنتَ فى الجنة .

حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنى ابن لهيعة عن من حدّثه قال . قبر يوسف عليه السلام بمصر ، فأقام بها نحوا من ثلاثمائة سنة ، ثم حمل إلى بيت المقدس .

ذكـــر

خروج بنى إسرائيل من مصر

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال . ثم غرّق الله فرعون وجنوده فى اليمّ حين اتبع بنى إسرائيل ، وغرق معه من أشراف أهل مصر وأكابرهم ووجوههم أكثر من ألفَى ألف[1] .

قال . وكان سبب اتباع فرعون بنى إسرائيل كما حدثنا أسد بن موسى عن عن خالد بن عبـــد الله عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ، أن أَسْرِ بعبادى .

قال : وكان بنو إسرائيل استعاروا من قوم فرعون حَلْياً وثياباً ، وقالوا . إن لنا عيدا نخرج إليه ، فخرج بهم موسى ليلا ، وهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف ونيّف[2] ، ليس فيهم ابن ستين ولا ابن عشرين سنة ، فذلك قول فرعون (إنّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلونَ ، وإنَّهُم لَنَا لَغائِظُونَ[3]) :

---

(١) كذا فى الأصل ، ولا يدل العدد على التحديد فيما أرى بقدرما يدل على الكثرة .

(٢) ليس فى المراجع التاريخية الحديثة ما يؤيد هذا التحديد فى العدد .

(٣) الآية ٥٥ من سورة الشعراء ، وفى الأصل وإنا لهم لغائظون .

حدثنا أسد ، حدثنا المسعودى عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة قال . خرجوا من مصر ، وهم ستمائة ألف وسبعون ألف ، فقال فرعون . إن هؤلاء لشرذمة قليلون .

قال . ثم رجع إلى حديث أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : وخرج فرعون ومعه خمسمائة ألف سوى المجنّبَتَيْنِ والقلب .

قال خالد : وحدثنا أبو سعيد عن عكرمة قال : لم يخرج فرعون من زاد على الأربعين ولا دون العشرين . فذلك قول الله عز وجل : (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فأَطاعُوهُ[1])، يعنى استخف قومه فى طلب موسى .

قال . وكان بنو إسرائيل كما حدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن عُلَىّ عن أبيه ، أن بنى إسرائيل كانوا الرُّبع من آل فرعون .

حدثنا أسد ، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون قال ، خرج موسى عليه السلام ببنى إسرائيل ، فلما أصبح فرعون أمر بشاة ، فأُتى بها ، فأمر بها تُذبح ، ثم قال . لا يُفْرَغ من سَلْخها حتى يجتمع عندى خمسمائة ألف من القبط ، فاجتمعوا إليه ، فقال لهم فرعون : (إنّ هَؤُلاء لشِرْذمةٌ قَليلون) ، وكان أصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف وسبعين ألفاً .

قال : فسلك موسى وأصحابه طريقاً يابساً فى البحر ، فلما خرج آخر أصحاب موسى ، وتكاملَ آخر أصحابِ فرعون اضطرم عليهم البحر ، فما رُئِىَ سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون، فنُبِذَ على ساحل البحر حتى ينظروا إليه .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا خالد بن عبد الله عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : لما انتهى موسى إلى البحر أقبل يوشع بن نُون على فرسه ،

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الشعراء .

فمشى على الماء ، وأقحم غيره خيولهم ، فرسبوا فى الماء ، وخرج فرعون فى طلبهم حين أصبح و بعدما طلعت الشمس ، فذلك قول الله عز وجلّ . (فأتبعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ، فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسى إنَّا لَمُدْرَكُونَ[1]) .

فدعا موسى عليه السلام ربّه عزّ وجلّ ، فغشيتهم ضبابة حالت بينهم وبينه ، وقيل له : (اِضْرِبْ بعصاكَ البَحْرَ) ففعل ، فانفلق (فكانَ كلّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم) يعنى الجبل ، فانفلق فيه اثنا عشر طريقاً ، فقالوا . إنا نخاف أن توحَل فيه الخيل ، فدعا موسى ربه ، فهبت عليهم الصَّبا ، فجفّ .

فقالوا : إنا نخاف أن يغرق منا ولا نشعر .

فقام بعصاه فثقّب الماء ، فجعل بينهم كُوَى[2] حتى يرى بعضهم بعضا ، ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر ، وأقبل فرعون حتى انتهى إلى الموضع الذى عبر منه موسى ، وطُرُقه على حالها .

فقال له أدلاّؤه : إن موسى قد سحر البحر حتى صار كما ترى ، وهو قوله (واترُكْ البَحْرَ رهْوًا[3]) يعنى كما هو .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، قوله رَهْوًا ، قال : سَمتاً .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى صخر عن محمد بن كعب القُرَظِىّ قال : طريقاً مفتوحاً .

حدثنا أبو سهل أحمد بن عبد الرحيم ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا إسرائيل عن ابن أبى نَجيح عن مُجاهد قال : مفتوحاً .

وحدثنا عن سعيد بن أبى عَرُوبة عن قتادة عن الحسن قال بِسهلاً دمْثاً .

---

(١) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

(٢) جمع كوة وهى الطاقة .

(٣) فى نسخة هـ زيادة : إنهم جند مغرقون ، الآية ٢٤ من سورة الدخان .

قال : وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرَّهو السَّهل .

ثم رجع إلى حديث أسد عن خالد بن عبد الله الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس ... فخذْ هاهنا حتى نلحقهم ، وهو مسيرة ثلاثة أيام فى البر ، وكان فرعون يومئذ على حصان ، وأقبل جبريل عليه السلام على فرس أنثى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة ، فتفرقوا فى الناس ، وتقدم جبريل عليه السلام ، فسار بين يدى فرعون ، وتبعه فرعون ، وصاحت الملائكة فى الناس ، الحقُوا الملك ؛ حتى إذا دخل آخرهم ولم يخرج أولهم التقى البحر عليهم ، فغرقوا .

فسمع بنو إسرائيل وَجْبة البحر حين التقى ، فقالوا : ما هذا ؟

قال موسى : غرق فرعون وأصحابه .

فرجعوا ينظرون ، فألقاهم البحر على الساحل .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا الحسن بن بلال عن حمَّاد بن سلَمة عن على ابن زيد عن يوسف بن مِهران[1] عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما أغرق الله آل فرعون قال فرعون ، آمنتُ بالذي آمنتْ به به إسرائيل ، قال جبريل ، يا محمد ، لو رأيتنى وأنا آخذ من حال[2] البحر فأدُسُّه فى فمِ فرعون مخافة أن تدركه الرحمة .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا أبو على عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن مجاهد قال : كان جبريل بين بنى إسرائيل و بين آل فرعون ، فجعل يقول لبنى إسرائيل ، ليلحق آخركم بأوّلكم ؛ و يستقبل آل فرعون فيقول ، رُوَيْدكم ليلحقكم آخركم ؛ فقالت بنو إسرائيل : ما رأينا سائقاً أحسن سياقاً من هذا ؛ وقال آل فرعون : ما رأينا وازعاً أحسن زَعَة من هذا .

---

(١) فى نسخة د مهدان، وهو يوسف بن مهران البصرى ولم يرو عنه إلا ابن جدعان .

(٢) الحال هو الطين .

فلما انتهى موسى و بنو إسرائيـــل إلى البحر قال مؤمنوا آل فرعون :
يا نبيّ الله ، أين أُمِرْتَ ؟ هذا البحر أمامك ، وقد غشينا آل فرعون .

فقال ، أمرت بالبحر .

فأقحم مؤمن من آل فرعون فرسه ، فردّه التيار ، فقال : يا نبي الله ،
أين أمرت ؟

فقال : بالبحر .

قال : فأقحم أيضا فرسه ، فردّه التيار .

فجعل موسى عليه السلام لا يدرى كيف يصنع ، وكان الله عز وجل قد
أوحى إلى البحر أن أطع موسى ، وآية ذلك إذا ضربك بعصاه .

قال : ثم رجع إلى حديث أسد عن خالد عن الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس قال : وخرج فرعون ، ومقدمته خمسمائة ألف سوى الجِنبتين
والقلب ؛ ويقال : إن موسى عليه السلاح قتل عُوجاً[1] بمصر .

حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير بن معاوية ، حدثنا أبو إسحاق ،
قال زهير : أراه عن نَوْف[2] .

قال : كان طول سرير[3] عُوج الذى قتله موسى ثمانمائة ذراع ، وعرضه
أربعمائة ، وكانت عصا موسى عليه السلام عشرة أذرع ، ووثبته حين وثب

---

(١) كذا فى الأصل ، وخبر موسى مع عوج لا سند له فى التاريخ ، ومثل هذه الرواية تتخلف عن أقاصيص تعوزها الأدلة .

(٢) فى نسخة د زيادة فوق السطر — يعنى البكالى — وفى تقريب التهذيب هو نوف ابن فضالة البكالى ابن امرأة كعب ، وهو شامى مستور ، وكذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب ، وقد مات بعد التسعين .

(٣) لم تكشف الآثار الفرعونية من شىء مثل هذا السرير ، والخبر فى روايته يمثل لأساطير المتخلفة فى عقول الأجيال ، بعضها عن بعض .

إليه عشرة أذرع ، وطول موسى كذا وكذا ، فضربه ، فأصاب كعبه ، فخرّ على نيل مصر ، فجسّره للناس عاما ، يمرون على صلبه وأضلاعه .

ذكـــر
الملكة دلوكة[1]

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال ، فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ، ولم يبق بها إلا العبيد والاجراء والنساء ؛ وأعظم أشراف من بمصر من النساء أن يولّين منهم أحداً ، وأجمعن رأيهن أن يولّين امرأة منهن ، يقال لها دَلُوكه إبنة زَبّاء ، وكان لها عقل ومعرفة وتجارب ، وكانت في شرف منهن وموضع ، وهي يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة ، فملّكوها .

فخافت أن يتناولها ملوك الأرض ، فجمعت نساء الأشراف ، فقالت لهن : إن بلادنا لم يكن فيها مطمع لأحد ، ولا يمد عينه إليها ، وقد هلك أكابرنا وأشرافنا ، وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم ، وقد رأيت أن أبنى حصْناً أحْدِقُ به جميع بلادنا ، فأضع عليه المحارس من كل ناحية ، فإنه لا نأمن أن يطمع فينا الناس .

فبَنَتْ جداراً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها ، المزارع والمدائن والقرى ، وجعلت دونه خليجا فيه الماء ، وأقامت القناطر والترع ، وجعلت فيه محارس ومسالح ، على كل ثلاثة أميال محرس ومَسْلَحة ، وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل ، وجعلت في كل محرس رجالا ، وأجرت عليهم الأرزاق ، وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس ، فإذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض بالأجراس ،

(١) قصة هذه الملكة لا وجود لها في كتب التاريخ الحديثة ، وقد شاعت عند المؤرخين القدامى ، الذين لم تتوافر لديهم الكشوف الحديثة .

فأتاهم الخبر من أى وجه كان فى ساعة واحدة فنظروا فى ذلك ، فمنعت بذلك مصر ممن أرادها .

قال غير عثمان : وفرغت من بنائه فى ستة أشهر ، وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز[1] بمصر ، وقد بقيت بالصعيد منه بقايا .

ذكر
عمل البرابى[2]

قال عثمان بن صالح فى حديثه : وكان ثمّ عجوز ساحرة يقال لها تَدُورَة ، وكانت السحرة تعظّمها وتقدّمها فى علمهم وسحرهم ، فبعثت إليها دَلوُكة ابنة زَبّاء ، إنا قد احتجنا إلى سحرك ، وفزِعْنا إليك ، ولا نأمن أن يطمع فينا الملوك ، فاعملى لنا شيئاً نغلب به من حولنا ؛ فقد كان فرعون يحتاج إليك[3] ، فكيف وقد ذهب أكابرنا ، و بقى أقلنا ؟

فعملت بَرْبَا من حجارة فى وسط مدينة مَنْف ، وجعلت له أربعة أبواب ،

---

(١) لعله الجدار الذى بناه الملك مينا حول عاصمة ملكه (منف) بعد توحيد الإقليمين ليأمن غارة أعدائه .

(٢) البرابى جمع بربا ، وهو الهيكل والمعبد ، وكان بناء عظيما من الحجارة على أشكال مختلفة ، فيه مواضع الصحن والسحق والحل والعقد والتقطير مما يدل على أن البرابى قد عملت لصناعة الـكيمياء ، وفى هذه الابنية نقوش وكتابات لا يدرى ما هى .

ومن أشهر هذه البرابى بربا أخميم ، وهو من العجائب لما كان فيه من الصور ، وبربا دندرة ، وكان فيه ثمانون ومائة كوة ، تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ، ثم من الثانية حتى تنتهى الى آخرها ثم تـكر راجعة الى موضع بدئها .

وكان ذو النون الأخميمى يقرأ البرابى ، ويرى فيها حكما عظيمة .

(الخطط المقريزية ــ القسم الأول من الجزء الأول طبعة لبنان) .

وقال المسعودى إن الـكاهنة دلوكة قد اتخذت بمصر البرابى ، وجعلت فيها صور من يرد من كل ناحية ، وذكر البيرونى أن هذه البرابى قد استحكمت على أشكال الفلك لأعمال الرصد .

(٣) فى نسخة هـ ــ الى سحرك .

كل باب منها إلى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق ، وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسُفن والرجال .

وقالت لهم : عملت لكم عملا يهلك به كل من أراكم من جهة تؤتون منها ، برا وبحرا ، وهذا ما يغنيكم عن الحصن ، ويقطع عليكم مئونته ، فمن أتاكم من أى جهة ، فإنهم إن كانوا فى البحر ، على خيل أو بغال وإبل ، أوفى سفن ، أو رجّالة تحركت هذه الصور من جهتهم التى يأتون منها ، فما فعلتم بالصور من شىء أصابهم ذلك فى أنفسهم على ما تفعلون بهم .

فلما بلغ الملوكَ حولهم أن أمرهم قد صار إلى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا إليهم ؛ فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التى فى البربا ، فطفقوا لا يهيجون تلك الصور بشىء ، ولا يفعلون بها شيئاً إلا أصاب ذلك الجيش الذى أقبل إليهم مثله ، إن كانت خيلا فما فعلوا بتلك الخيل المصورة فى البربا من قطع رءوسها أو سوقها أو فقء أعينها أو بقر بطونها أثر مثل ذلك بالخيل التى أرادتهم ، وإن كانت سفنا أو رجّالة فكمثل ذلك .

وكانوا أعلم بالسحر ، وأقوامم عليه ؛ وانتشر ذلك ، فتحاذرهم الناس .

ذكر

ملوك مصر بعد العجوز دلوكة

وكان نساء أهل مصر حين غرق من غرق منهم مع فرعون من أشرافهم ولم يبق إلا العبيد والأجراء لم يصبرن عن الرجال ، فطفقت المرأة تعتق عبدها وتتزوجه ، وتتزوج الأخرى أجيرها ، وشرطن على الرجال ألا يفعلوا شيئا إلا بإذنهن ، فأجابوهن إلى ذلك ؛ فكان أمر النساء على الرجال .

قال عثمان : فحدثنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن القبط على ذلك

إلى اليوم اتّباعا لمن مضى منهم ، لا يبيع أحدهم ولا يشترى إلا قال ، استأمر امرأتى .

فملكتهم دلوكة ابنة زَبّاء[1] عشرين سنة ، تدبّر أمرهم بمصر ، حتى بلغ صبىّ من أبناء أكابرهم وأشرافهم يقال له ، دَرْكون بن بَلوطِس ، فملّكوه عليهم ، فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحو من أربعمائة سنة .

قال : ثم مات دركون بن بلوطس[1] ، فاستخلف ابنه بُودس بن دركون ، ثم توفى بودس بن دركون ، فاستخلف أخاه لُقاس بن تدارس ، فلم يمكث إلا ثلاث سنين حتى مات ؛ ولم يترك ولدا ، فاستخلف أخاه مَرينَا بن مَرِينُوس .

قال : ثم توفى مرينا بن مرينوس فاستخلف استُمارس بن مرينا ، فطغى وتكبّر ، وسفك الدم وأظهر الفاحشة ، فأعظموا ذلك وأجمعوا على خلعه ، فخلعوه وقتلوه ، وبايعوا رجلا من أشرافهم ، يقال له بَلُوطس بن مَنا كيل ، فملكهم أربعين سنة ؛ ثم توفى بلوطس بن منا كيل ؛ ، فاستخلف ابنه مالوس بن بلوطس ، ثم توفى مالوس بن بلوطس ، فاستخلف أخاه منا كيل بن بلوطس بن منا كيل فملكهم زمانا ، ثم توفى ، فاستخلف إبنه بُولةَ بن منا كيل ، فملكهم مائة سنة وعشرين ، وهو الأعرج الذى سبى مَلِكَ بيت المقدس ، وقدم به إلى مصر .

وكان بولة قد تمكن فى البلاد وبلغ مبلغا لم يبلغه أحد ممن كان قبله بعد فرعون وطغى ، فقتله الله تعالى ، صرعته دابّته ، فدقّت عنقه ، فمات .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله[2] ، حدثنا الكلاعىّ عن تُبَيع عن كعب قال : لما مات سليمان بن داود عليه السلام ملك بعده مَرْحب عمّ

(١) ليس فى كتب التاريخ المعتبرة ما يشير لهذه الأسماء .

(٢) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المزنى ، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان مولده سنة عشر ومائة . وفى النسخ ب ، د ، ه ، أنه عبد الله بن خالد ، أنظر صحيفة ٢٦٣ من كتاب تقريب التهذيب .

سليمان ، فسار إليه مَلِكُ مصر ، فقاتله ، وأصاب الأَتْوِنَة الذهب التى عملها سليمان عليه السلام ، فذهب بها .

وأخبرنى شيخ من أهل مصر من أهل العلم أن المخلوع الذى خلعه أهل مصر إنما هو بَوْلة ، وذلك أنه دعا الوزراء ، ومن كانت الملوك قبله تُجرى عليهم الأرزاق والجوائز ، فكأنه استكثر ذلك . فقال لهم : إنى أريد أن أسألكم عن أشياء ، فإن أخبرتمونى بها زِدْتُ فى أرزاقكم ورفعت من أقداركم ، وإن أنتم لم تخبرونى بها ضربت أعناقكم .

فقالوا له : سَلْنا عما شئت .

فقال لهم : أخبرونى ما يفعل الله تعالى كل يوم ؟ وكم عدد نجوم السماء ؟ وكم مقدار ما تستحقّ الشمس فى كل يوم من ابن آدم ؟

فاستأجلوه فى ذلك شهرا ، فكانوا يخرجون فى كل يوم إلى خارج مدينة منف ، فيقفون فى ظل قَرْمُوس[1] يتباحثون[2] ماهم فيه ، ثم يرجعون وصاحب القرموس ينظر إليهم .

فأتاهم ذات يوم ، فسألهم عن أمرهم ، فأخبروه ، فقال لهم :

— عندى علم ماتريدون إلا أن لى قرموسا لا أستطيع أن أعطّله ، فليقعد رجل منكم مكانى يعمل فيه ، وأعطونى دابّة كدوابّكم ، وألبسونى ثيابا كثيابكم .

فقعلوا .

وكان فى المدينة ابن لبعض ملوكهم قد ساءت حالته ، فأتاه القرموسىّ ، فسأله القيام بملك أبيه ، وطلبه .

فقال له : ليس يخرج هذا — يريد الملك — من مدينة منف .

فقال : أنا أخرجه لك .

(١) قرموس : الأتون الذى يعمل فيه الفخار ، وقد جاء فى لسان العرب ، القرموص حفرة يحتفرها الرجل يكتن فيها من البرد .

(٢) فى نسخة ب يتباثون .

وجمع له مالا .

ثم أقبل القرموسىّ حتى دخل على بولة ، فأخبره أن عنده علم ما سأل عنه .

فقال له : أخبرنى كم عدد نجوم السماء ؟

فأخرج القوموسى جرابا من رمل كان معه ، فنشره بين يديه ، وقال له :

— مثل عدد هذا .

قال : وما يدريك ؟

قال : مُرْ من يعدّه .

قال : فكم مقدار ما تستحق الشمس كل يوم عن ابن آدم ؟

قال : قيرطا ، لأن العامل يعمل يومه إلى الليل ، فيأخذ ذلك فى أجرته .

قال : فما يفعل الله عز وجل كل يوم ؟

قال له : أريك ذلك غداً .

فخرج من عنده حتى أوقفه على أحد وزرائه الذى أقعده القرموسى مكانه ، فقال له : يفعل الله عز وجلّ كل يوم ، أن يُذِلَّ قوما ويُعِزَّ قوما ، ويميت قوما ، ومن ذلك أن هذا وزير من وزرائك قاعد يعمل على قَرْمُوس ، وأنا صاحب قرموس على دابة من دواب الملوك ، وعلىّ لباس من لباسهم ، أو كما قال له .

وأن فلان بن فلان قد أغلق عليك مدينة منف .

فرجع مُبادرا ، فإذا مدينة منف قد أغلقت ، ووثبوا مع الغلام على بولة ، فخلعوه ، فوَسْوِس ، فكان يقعد على باب مدينة منف يوسوس وَيَهْذِى ، فذلك قول القبط إذا كلم أحدُهم بما لا يريد قال : شجنك من بولة ، يريد بذلك الملك لوسوسته ، والله أعلم .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال ، ثم استخلف مرينوس بن

بولة ، فملكهم زمانا ، ثم توفى ، واستخلف ابنه قرقورة بن مرينوس ، فملكهم ستين سنة ، واستخلف أخاه لقاس بن مرينوس .

وكان كلما انهدم من ذلك البربا الذى فيه الصور شىء لم يقدر أحد على إصلاحه إلا تلك العجوز وولدها وولد ولدها ، وكانوا أهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم .

فانقطع أهل ذلك البيت ، وانهدم من البربا موضع فى زمان لقاس بن مرينوس ، فلم يقدر أحد على إصلاحه ومعرفة علمه ، و بقى على حاله ، وانقطع ما كانوا يقهرون به الناس ، و بقوا كغيرهم ، إلا أن الجمع كثير والمال عندهم .

ذكر

دخول بخت نصر مصر

قال : ثم توفى لقاس ، واستخلف ابنه قومس بن لقاس ، فملكهم دهراً ، فلما قدم بخت نصر بيت المقدس كما حدثنا وثيمة بن موسى وغيره ، وظهر على بنى إسرائيل ، وسباهم ، وخرج بهم إلى أرض بابل[1] أقام إرميا بإيلياء[2] ، وهى خراب ، ينوح عليها ، ويبكى .

فاجتمع إلى إرميا بقايا من بنى إسرائيل كانو متفرقين حين بلغهم مقامه بإيلياء ، فقال لهم إرميا :

— أقيموا بنا فى أرضنا لنستغفر الله ، ونتوب إليه ، لعله يتوب علينا .

فقالوا : إنا نخاف أن يسمع بنا بخت نصر ، فيبعث إلينا ، ونحن شرذمة قليلون ، ولكننا نذهب إلى ملك مصر ، فنستجير به ، وندخل فى ذمته .

---

(١) بابل مدينة قديمة مكانها الكوفة ، وكان ينزل بها الكلدانيون فى الزمن الأول ، وابتنوا بها المدائن حتى اتصلت مساكنهم بدجلة والفرات . وكانت إحدى العجائب .

(٢) إيلياء مدينة بيت المقدس .

فقال لهم إرميا : ذمة الله عز وجل أوفى الذمم لكم ، ولا يسعكم أمانُ أحد من الأرض إن أخافكم .

فانطلق أولئك النفر من بنى إسرائيل إلى قومس بن لقاس ، واعتصموا به لما يعلمون من منعته ، وشكوا إليه شأنهم .

فقال : أنتم فى ذمّتى .

فأرسل إليه بخت نصر ، إن لى قِبَلك عبيداً أَبقُوا منى ، فابعث بهم إلىّ .

فكتب إليه قومس : ما هم بعبيدك ، هم أهل النبوّة والكتاب وأبناء الأحرار ، اعتديتَ عليهم وظلمتهم .

فحلف بخت نصر ، لئن لم يردّهم ليغزونّ بلاده .

وألحّا جميعا .

وأوحى الله إلى إرميا ، إنى مُظْهِر بخت نصر على هذا الملك الذى اتخذوه حِرْزاً [1] : وأنهم لو أطاعوا أمرك ، ثم أطبقت عليهم السماء والأرض لجعلتُ لهم من بينها مخرجا ، وإنى أقسم بعزتى لأعلّمنّهم أنه ليس لهم مَحِيصٌ ولا ملْجأ إلا طاعتى واتباع أمرى .

فلما سمع بذلك إرميا رحمهم وبادر إليهم ، فقال :

— إن لم تطيعونى أسركم بخت نصر وقتلكم ، وآية ذلك أنى رأيت موضعَ سريره الذى يضعه بعدما يظفر بمصر ، ويملكها ، ثم عمد فدفن أربعة أحجار فى الموضع الذى يضع فيه بخت نصر سريره ، وقال : يقعُ كل قائمة من سريره على حجر منها .

فلجّوا فى رأيهم .

---

(١) فى نسخة د حوزا .

فسار بخت نصر إلى قومس بن اقاس[1] ملك مصر ، فقاتله سنة ، ثم ظفر بخت نصر فقتل قومس قوس ، وسبى جميع أهل مصر[2] ، وقتل من قتل . فلما أراد قتل من أسر منهم ، ووضع له سريره في الموضع الذى وصف إرميا ، ووقعت كل قائمة من سريره على حجر من تلك الحجارة التى دفن .

فلما أتى بالأسارى أتى معهم إرميا فقال له بخت نصر :

— ألا أراك مع أعدائى بعد أن أمنتك وأكرمتك ؟

فقال له إرميا : إنما جئتهم محذرا ، وأخبرتهم خبرك ، وقد وضعت لهم علامة تحت سريرك ، وأريتهم موضعه .

قال بخت نصر : وما مصداق ذلك ؟

قال إرميا : ارفع سريرك ، فإن تحت كل قائمة منه حجرا دفنته .

فلما رفع سريره وجد مصداق ذلك ، فقال لإرميا .

— لو أعلمُ أن فيهم خيرا لو هبتُهم لك .

فقتلهم ، وأخرب مدائن مصر ، وقُراها ، وسبى جميع أهلها ، ولم يترك بها أحدا ، حتى بقيت مصر أربعين سنة خرابا ، ليس فيها ساكن ، يجرى نيلها و يذهب لا ينتفع به .

فأقام أرميا بمصر ، واتخذ بها جُنَينة وزرعاً يعيش به ، فأوحى إليه ، إن لك عن الزرع والمقام بمصر شُغلا ، فكيف تسمُك أرض وأنت تعلم سخطى على قومك ، فالحق بإيليا حتى يبلغ كتابى أَجَلَه ؛ فخرج منها أرميا حتى أتى بيت المقدس .

ثم إن بخت نصر ردّ أهل مصر إليها بعد أربعين سنة ، فعمروها ، فلم تزل مصر مقهورة من يومئذ .

---

(١) ليس بين ملوك مصر ملك بهذا الاسم .

(٢) رواية غير معقولة .

وحدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم، وأبو الأسود قالا : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري، أنه قدم من الشام إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال له عبد الله بن عمر :

— ما أقدمك إلى بلادنا ؟

قال : أنت

قال : لماذا ؟

قال : كنت تحدثنا أن مصر أسرع الأرضين خرابا، ثم أراك قد اتخذت فيها الرباع، وبنيت فيها القصور، واطمأننت فيها.

فقال : إن مصر قد أوفت خرابها، حطمها بخت نصر، فلم يدع فيها إلا السباع والضباع، وقد مضى خرابها، فهي اليوم أطيب الأرضين ترابا، وأبعده خرابا، ولن تزال فيها بركة مادام في شيء من الأرضين بركة.

وحدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد عن أبي قبيل نحوه، قال : فزعم بعض مشايخ أهل مصر، أن الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها، أنهم كانوا يقرون القرى في أيدي أهلها، كل قرية بكراء معلوم، لا ينقص عليهم إلا في كل أربع سنين من أجل الظمأ وتنقل اليسار، فإذا مضت أربع سنين نقص ذلك، وعدل تعديلا جديدا، فيرفق بمن استحق الرفق، ويزاد على من يحتمل الزيادة، ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم، فإذا جبي الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه، يصنع به ما يريد، والربع الثاني لجنده ومن يقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوه، والربع الثالث في مصلحة الأرض وما يحتاج إليه من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرها، والقوة للمزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم، والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها، فيدفن ذلك فيها لنائبة تنزل، أو جائحة بأهل القرية،

فكانوا على ذلك ، وهذا الربع الذى يدفن فى كل قرية من خراجها هى كنوز فرعون التى تتحدث الناس بها، أنها ستظهر ، فيطلبها الذين يتبعون الكنوز .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى قبيل قال : خرج وَرْدَانُ من عند مَسْلَمَة بن مُخَلَّد ، وهو أمير على مصر ، فمرَّ على عبد الله بن عمرو مستعجلا ، فناداه أين تريد[1] يا أبا عبيد ؟

قال : أرسلنى الأمير مسلمة، أن آتى منف ، فأحفر له عن كنز فرعون .

قال : فارجع إليه ، واقرئه منى السلام ، وقل له ، إن كنز فرعون ليس لك ولا لأصحابك ، إنما هو للحبشة ، إنهم يأتون فى سفنهم يريدون الفسطاط ، فيسيرون حتى ينزلوا منف ، فيظهر لهم كنز فرعون ، فيأخذون منه ما يشاءون ، فيقولون ، ما نبتغى غنيمة أفضل من هذه ، فيرجعون ويخرج المسلمون فى فى آثارهم ، فيدركونهم ، فيقتتلون ، فتُهزَم الحبش ، فيقتلهم المسلمون ، ويأسرونهم ، حتى إن الحبشىّ ليباع بالكساء[2] .

ذكر

ظهور الروم وفارس على مصر

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره . قال ، ثم ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين فى وسط الأرض ، فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين ، يحاصرونهم ، وصابروهم فى القتال فى البر والبحر .

فلما رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم على أن يدفعوا إليهم شيئاً مُسَمّىً فى كل عام ، على أن يمنعوهم ويكونوا فى ذمتهم .

---

(١) فى نسخة ه ابن يزيد .

(٢) رواية تفتقر لدليل وليس لها سند من التاريخ الصحيح .

ثم ظهرت فارس على الروم ، فلما غلبوهم على الشام رغبوا فى مصر ، وطمعوا فيها ، فامتنع أهل مصر ، وأعانتهم الروم ، وقامت دينهم ، وألحّت عليهم فارس ، فلما خشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارس على أن يكون ماصالحوا به الروم بين الروم وفارس ؛ فرضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها ، فكان ذلك الصلح على أهل مصر .

وأقامت مصر بين الروم وفارس نَصَفَيْن سبع سنين ، ثم استجاشت الروم وتظاهرت على فارس ، وألَحَّت بالقتال والمَدَد حتى ظهروا عليهم ، وخربوا مصانعهم أجمع ، وديارهم التى بالشام ومصر ، وكان ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل وفاته ، وبعد ظهور الإسلام ، فصارت الشام كلها وصلح أهل مصر كلّه خالصاً للروم ، وليس لفارس فى شىء من الشام ومصر شىء[1] .

وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد[2] عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب قال : كان المشركون يجادلون المسلمين بمكة ، فيقولون : الروم أهل الكتاب ، وقد غلبتهم المَجُوس ، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذى معكم ، الذى أنزل على نبيكم ، فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم ، فأنزل الله تبارك وتعالى (الم ، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، فى بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاء ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ[3]) .

قال ابن شهاب ، وأخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود أنه قال ، لما أُنزلت هاتان الآيتان نَاحَبَ[4] أبو بكر بعضَ المشركين قبل أن

---

(١) رواية غير دقيقة ، أنظر كتاب مختصر تاريخ الدولة لابن العبرى المطبوع سنة ١٦٦٣ ، وراجع كتاب ، فتح العرب لمصر ، للدكتور بتلر .

(٢) فى نسخة ﻫ زيادة لفظ ابن .

(٣) الآية الأولى من سورة الروم .

(٤) ناحب : حاكم أو قاضى .

يحرّم القِمارُ على شيء إن لم تغلب الروم فارس فى سبع سنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِمَ فعلتَ ؟ فكل ما دون العشر بِضع .

فكان ظهور فارس على الروم فى سبع سنين ، ثم أظهر الله الروم على فارس زمان الحُدَيْبِيَة ، ففرح المسلمون بنصر أهل الكتاب .

قال غير عثمان بن صالح عن الليث بن سعد : وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذى يقال له بابليون[1] ، وهو الحصن الذى بفسطاط مصر اليوم ، فلما انكشفت جموع فارس عن الروم ، وأخرجتهم الروم من الشام أتمت الروم بناء ذلك الحصن ، وأقامت به ، فلم تزل مصر فى ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين .

وحدثنا سعيد بن تَليد عن ابن وهب ، حدثنا أبو لهيعة قال ، يقال فارس والروم قُريش العجم .

ذكر

انكشاف فارس عن الروم

قال : وكان سبب انكشاف فارس عن الروم كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الهِقْل بن زياد عن معاوية بن يحيى الصَّدَفىّ ، قال : حدثنى الزُّهْرىّ قال حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة[2] أن ابن عباس أخبره أنه سمع عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يسأل الهُرْمُزان عظيم الأهواز[3] عن السبب الذى كان سبب انكشاف فارس عنهم .

(١) فى الأصل : باب أليون .

(٢) فى نسخة ه هذا حديث صحيح ، رواه الذهلى فى الزهريات ، ويعقوب الفسوى فى تاريخه .

(٣) الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس ، لكل واحدة منها اسم ، وليس للأهواز واحد من لفظه .

فقال له الهرمزان: كان كسرى[1] بعث شهر براز[2] ، و بعث معه جنود فارس قِبَلَ الشام ومصر ، وخرّب عامة حصون الروم ، وطال زمانه بالشام ومصر وتلك الأرض ، فطفق كسرى يستبطئه ، ويكتب إليه ، إنك لو أردتَ أن تفتح مدينة الروم فتحتها ، ولكنك قد رضيت بمكانك وأردت طول الاستيطان .

وكتب إلى عظيم من عظماء فارس مع شهر براز ، يأمره أن يقتل شهر براز ، ويتولى أمر الجنود ، فكتب إليه ذلك العظيم يذكر ، أن شهر براز جاهد ناصح ، وأنه أبلى بالحرب منه .

قال : فكتب إليه كسرى يعزم عليه ليقتلنّه ، فكتب إليه أيضاً يراجعه ، ويقول ، إنه ليس لك عبد مثل شهر براز ، وأنك لو تعلم ما يدارى من مكايدة الروم لعذرته .

فكتب إليه كسرى يعزم عليه ليقتلنّه وليتولى أمر الجنود ، فكتب إليه أيضا يراجعه ، فغضب كسرى ، وكتب إلى شهر براز يعزم عليه ليقتلنّ ذلك العظيم ، فأرسل شهر براز إلى ذلك العظيم من فارس ، فأقرأه كتاب كسرى ، فقال له : راجعْ فيّ .

قال : علمتُ أن كسرى لا يراجَعُ ، وقد علمتَ حسن صحابتي إياك ولكن جاءني مالا أستطيع تركه .

فقال له ذلك الرجل : ولا آتي أهلي ، فآمر فيهم بأمرى ، وأعهد إليهم عهدى؟

قال : بلى ، وذلك الذى أملك لك.

فانطلق حتى أتى أهله ، فأخذ صحائف كسرى الثلاث التى كتب إليه ،

---

(١) تضيف نسختنا ا ، ب ابرويز ابن أنوشروان (راجع الطبرى ص ٢٩٢) تحقيق تولدكه ، طبعة أوربة

(٢) لفظ شهر براز ليس اسماً ، بل هو لقب ، واسم هذا القائد ، خوريام ، ويرد فى كتب مؤرخى الفرس باسم ، كراز .

فجعلها فى كمّه ، ثم جاء حتى دخل على شهر براز ، فدفع إليه الصحيفة الأولى ، فقرأها شهر براز .

فقال له : أنت خير منى .

ثم دفع إليه الصحيفة الثانية ، فقرأها ، ونزل عن مجلسه . وقال له :

— اجلس عليه .

فأبى أن يفعل .

فدفع إليه الصحيفة الثالثة ، فقرأها ، ولم يفرغ شهر براز من قراءتها حتى قال : أقسم بالله لأسوءن كسرى ، وأجمع المكر بكسرى .

وكاتب هرقل ، فذكر له أن كسرى قد أفسد فارس ، وجهز بعوثا ، وابتليت بطول ملكه ، وسأله أن يلقاه بمكان نصف ، يحكمان الأمر فيه ، ويتعاهدان فيه ، ثم يكشف عنه جنود فارس ، ويخلى بينه وبين المسير إلى كسرى :

فلما جاء هرقل كتاب شهر براز دعا رهطا من عظماء الروم ، فقال لهم :

— اجلسوا ، أنا اليوم أحزم الناس ، أو أجزع الناس ، قد أتانى ما لا تحسبونه[1] وسأعرضه عليكم ، فأشيروا على فيه .

ثم قرأ عليهم كتاب شهر براز ، فاختلفوا عليه فى الرأى ، فقال بعضهم : هذا مكر من قبل كسرى ، وقال بعضهم : أراد هذا العبد أن يلقاك ، وخاف من كسرى فيستغيث ، ثم لا يبالى ما لقى .

قال هرقل : إن هذا الرأى ليس حيث ذهبتم إليه ، إنه ما طابت نفس كسرى أن يشتم هذا الشتم الذى أجد فى كتاب شهر براز ، وما كان شهر براز ليكتبه إلى بهذا

---

(١) فى نسخة — تحتسبونه وسأعرض — .

وهو ظاهر على عامّة ملكى إلا من أمر حدث بينه و بين كسرى ، وانى والله لألقينّه .

فكتب إليه هرقل ، قد بلغنى كتابك ، وفهمت الذى ذكرت ، و إنى لاقيك ، فموعدك بموضع كذا وكذا ، فاخرج معك بأربعة آلاف من أصحابك ، فإنى خارج بمثلهم ، فإذا بلغت موضع كذا وكذا فضع ممّن معك خمسمائة ، فإنى سأضع بمكان كذا وكذا مثلهم ، ثم ضع بمكان كذا وكذا مثلهم حتى نلتقى أنا وأنت فى خمسمائة وخمسمائة .

و بعث هرقل الرسل من عنده إلى شهر براز، إن تمّ له يرسل إليه ، و إن أبى ذلك عجلوا إليه فى كتاب ، فرأى رأيه . ففعل ذلك .

وسار هرقل فى أربعة آلاف التى خرج فيها ، لا يضع منها أحدا حتى التقيا بالموضع ، ومع هرقل أربعة آلاف ومع شهر براز خمسمائة .

فلما رآهم شهر براز أرسل إلى هرقل ، أغدرْت ؟ .

فأرسل إليه ، لم أغدر ، ولكنى خفت الغدر من قبلك .

وأمر هرقل بقبّة من ديباج ، فضربت له بين الصفّين ، فنزل هرقل، فدخلها، ودخل بترجمان معه .

وأقبل شهر براز حتى دخل عليه ، فانْتَجَى [١] بينهما الترجمان حتى أحكما أمرها ، واستوثق أحدهما من صاحبه بالعهود والمواثيق حتى فرغا من أمرهما .

فخرج هرقل وأشار إلى شهر براز بأن يقتل الترجمان لكى يخفَى له السّر ، فقتله شهر براز ، ثم انكشف شهر براز ، فجيّش الجيوش ؛ وسار هرقل إلى كسرى حتى أغار عليه ومن بقى معه ، فكان ذلك أول هلكة كسرى ،

---

(١) تسارّ بينهما .

ووفى هرقل لشهر براز بما أعطاه من تركه أرض فارس ، وانكشف حين أفسد أرض فارس على كسرى ، فقتلت فارس كسرى ، ولحق شهرابرز بفارس والجنود[1] .

ذكر

بناء الإسكندرية

قال : فوجّه هرقل ملك الروم كما حدثنى شيخ من أهل مصر المُقَوْقِس[2] أميرا على مصر ، وجعل إليه حربها وجباية خراجها ، فنزل الإسكندرية ، وكان الذى بنى الاسكندرية وأسس بناءها ذو القرنين الرومى ، واسمه الأسكندر ، وبه سميت الاسكندرية ، وهو أول من عمل الوشْىَ . وكان أبوه أبو القياصرة .

حدثنا عبد الملك بن هشام قال : اسمه الاسكندر . حدثنا وثيمة بن موسى عن سعيد بن بشير عن قتادة قال : الأسكندر هو ذو القرنين .

حدثنا عبد الملك بن هشام عن زياد عبد الله عن محمد بن أسحان ، حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه ، أنه رجل من أهل مصر ، اسمه مَرْزُبَّا بن مَرْزُبَة اليونانى ، من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام .

قال : وحدثنى شيخ من أهل مصر قال : كان من أهل لُوبية ، كورة من كور مصر الغربية ؛ قال ابن لهيعة : وأهلها روم ، ويقال ، بل هو رجل من حِمْيَر ، قال تبع [ابن حسان بن أسعد الحميرى] .

قدْ كانَ ذُو القرْنَيْنِ جَدِّى مُسْلِمًا ... ملِـكاً تَدِينُ له المُلوكُ وتَحْشِدُ
بلَغ المغَاربَ والمشَارِقَ يَبْتَغِى ... أَسْبابَ عِلْمٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدِ

---

(١) فى نسخة ه : والجند بأرض فارس .

(٢) المقوقس لقب الوالى ، وهو لفظ مشتق من اسم قطعة صغيرة من العملة البرونزية ، كانت متداولة أيام الإمبراطور جستنيان ، وقد جاء فى كتاب سير البطاركة بالاسكندرية لساويرس الأشمونى أن اسم الوالى هو « قيرس » .
انظر كتاب فتح العرب لمصر تأليف الدكتور بتلر ، الملحق الثالث .

فرأى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُروبها   فى عَيْنٍ ذى خُلبٍ وثأْطٍ حَرْمَدِ[1]

ويروى قد كان ذو القرنين قبلى مسلما.

وحدثنى عثمان بن صالح ، حدثنى عبد الله بن وهب عن عبدالرحمن بن زياد ابن أنعُم عن سعد بن مسعود التُجيبى عن شيخين من قومه قالا : كنا بالاسكندرية فاستطلنا يومنا ، فقلنا لو انطلقنا إلى عقبة بن عامر نتحدث عنده ، فانطلقنا إليه ، فوجدناه جالسا فى داره فأخبرناه أنا استطلنا يومنا ، فقال وأنا مثل ذلك ، إنما خرجت حين استطلته

ثم أقبل علينا فقال ، كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخْدِمه ، فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب ، فقالوا : استأذِنْ لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فانصرفت إليه ، فأخبرته بمكانهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالى ولهم ، يسألونى عما لا أدرى ، إنما أنا عبد لا علم لى ، إلا ما علمنى ربى .

ثم قال : ابلغنى وضوءا ، فتوضأ ، ثم قام إلى مسجد بيته ، فركع ركعتين ، فلم ينصرف حتى عرفت السرور فى وجهه والبشر ، ثم انصرف ، فقال : أَدْخِلْهم ، ومن وجدت بالباب من أصحابى فادخلْه .

قال : فأدخلتهم .

فلما دفعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : إن شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألونى قبل أن تتكلموا ، و إن أحببتم تكلمتم وأخبرتكم .

قالوا : بل أخبرنا قبل أن نتكلم .

قال : جئتم تسألونى عن ذى القرنين ، وسأخبركم كما تجدونه مكتوبا عندكم ، إن أول أمره أنه غلام من الروم ، أعطى ملكا ، فسار حتى أتى ساحل

---

(١) الخلب هو الطين الصلب اللازب ، والثأط الحرمد هو الطين الأسود المنتن ، وفى نسخة ه : فى غرزى حلب .

البحر من أرض مصر، فابتنى عنده مدينة، يقال لها الاسكندرية[1] : فلما فرغ من بنائه أتاه مَلَكٌ، فعرج به حتى استقله، فرفعه، فقال: انظر ماتحتك، فقال: أرى مدينتى وأرى مدائن معها، ثم عرج به، فقال: انظر، فقال، قد اختلطت مدينتى مع المدائن فلا أعرفها، ثم زاد، فقال: انظر، فقال: أرى مدينتى وحدها ولا أرى غيرها.

قال له الملك: إنما تلك الأرض كلها، والذى ترى يحيط بها هو البحر، وإنما أراد ربك أن يريك الأرض، وقد جعل لك سلطانا فيها، وسوف تعلم الجاهل، وتثبّت العالم.

فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السدّين، وهما جبلان ليّنان يُزلَق عنهما كل شىء، فبنى السد، ثم جاز ياجوج وماجوج، فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون ياجوج وماجوج، ثم قطعهم فوجد أمة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب، ووجد أمة من الغرانيق[2] يقاتلون القوم القصار، ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر المدير بالأرض.

فقالوا: نشهد أن أمره هكذا كما ذكرت، وإنا نجده هكذا فى كتابنا[3]

وحدثنا عبد الملك بن هشام، حدثنا زياد عن عبد الله البكائى عن ابن اسحاق، حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعىّ؛ وكان رجلا قد أدرك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين، فقال: ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب.

قال خالد: وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول:

---

(١) راجع كتاب « دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة » تأليف الدكتور ابراهيم نصحى، طبع مكتبة الأنجلو بالقاهرة سنة ١٩٥٩.

(٢) واحدة الغرنيق، وهو الشاب الأبيض الجميل، وللغرانيق حديث منسوب إلى الرسول، وقد حكم عليه معظم أئمة الحديث بأنه حديث موضوع.

(٣) نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مردودة، فسند الحديث مقطوع وفيه تجهيل بالمصدر الذى روى عنه سعد بن مسعود التجيبى.

يإذا القرنين ، فقال عمر : اللهم غفراً ، أما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسموا بالملائكة ؟.

حدثنا وثيمة بن موسى عن من أخبره عن سعد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن قال : كان ذو القرنين ملكا ، وكان رجلا صالحا ؛ قال : وإنما سمى ذو القرنين كما حدثنا وثيمة .

حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة عن ابن أبى حسين عن أبى الطفيل أن عليا رضى الله عنه سئل عن ذى القرنين . فقال :

لم يكن ملكا ولا نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا ، أحب الله فأحبه الله ، ونصح الله فنصحه الله ، بعثه الله عز وجل إلى قومه فضربوه على قرنه فمات ، فأحياه الله ، ثم بعثه إلى قومه ، فضربوه على قرنه فمات ، فسمى ذا القرنين [(١)] .

ويقال . إنما سمى ذا القرنين لأنه جاوز قرن الشمس من المغرب والمشرق ؛ ويقال إنما سمى ذا القرنين ، لأنه كان له غديرتان من رأسه من شعر يطأ فيهما ، فيما ذكر إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران من خاذم بن حسين عن يونس بن عبيد عن الحسن .

حدثنا عبد العزيز بن منصور اليَحْصُبى عن عاصم بن حكيم عن أبى سريع الطائى عن عبيد بن تعِلَى قال : كان له قرنان صغيران توارِيهما العمامة .

حدثنا أحمد بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن ابن شهاب قال : إنما سمى ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها .

قال : وذكر بعض مشائخ أهل مصر عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن من حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : كان أول شأن الاسكندرية

---

(١) رواية فيها تصوير خيالى ، ليس له من الحقائق سند .

أن فرعون أتخذها مصانع ومجالس ، وكان أول من عمرها وبنى فيها ، فلم تزل على بنائه ومصانعه ، ثم تداولها الملوك ، ملوك مصر ، بعده ، فبنت دلوكة ابنة زباء منارة الاسكندرية . ومنارة بوقير بعد فرعون ، فلما ظهر سليمان بن دواد عليه السلام على الأرض . بها مجالسا ، و بنى فيها مسجدا .

ثم إن ذا القرنين ملكها ، فهدم ما كان فيها من بناء الملوك والفراعنة وغيرهم إلا بناء سليمان بن داود عليه السلام لم يهدمه ، ولم يغيره ، وأصلح ما كان رث منه ، وأقر المنارة على حالها ، ثم بنى الاسكندرية من أولها بناء يشبه بعضه بعضا ، ثم تداولتها الملوك بعده من الروم وغيرهم ، ليس من ملك إلا يكون له بناء يضعه بالأسكندرية ، يعرف به و ينسب إليه .

قال : ويقال إن الذى بنى منارة الاسكندرية قلْبَطْرَة [كليو باترة] الملكة ، وهى التى ساقت خليجها حتى أدخلته الاسكندرية ، ولم يكن يبلغها الماء ، كان يعدل من قرية ، يقال لها كسًّا[1] قبالة الـكِرْيَوْن[2] ، فحفرته حتى أدخلته الاسكندرية ، وهى التى بلّطت قاعته .

قال ابن لهيعة : و بلغنى أنه وجد حجر بالإسكندرية مكتوب فيه ، أنا شدّاد بن عاد ، وأنا الذى نصب العماد ، وحيّد الأحياد ، وسد بذراعه الواد بنيتهن إذ لا شيب ولا موت ، وأن الحجارة فى اللين مثل الطين .

قال ابن لهيعة : والأحياد كالمغار[3] .

و يقال إن الذى بنى الاسكندرية شداد بن عاد ، والله أعلم .

---

(١) لعلها « كيسين » وهو حصن « كرسونيسوسى » .

(٢) مدينة قديمة ، واسمها القبطى « كيريوم » وتقع فى منتصف المسافة بين الاسكندرية ودمنهور .

(٣) فى نسخة د كالمغادر ، وفى نسخة ب زياده فى الهامش : قال أبو على القالى فى كتاب الأمالى ، وأنشد ابن الأعرابى وغيره ، تسالنى عن السنين كم لى فقلت : لو عمرت عمر الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل ، وسألت أبا بكر بن دريد عن زمن الفطحل فقال : تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة رطبة .

حدثنا إدريس بن يحيى الخولانى ، حدثنا عبد الله بن عياش القتبانى[1] عن أبيه عن تبيع قال : خمسة مساجد بالاسكندرية ، مسجد موسى النبى عليه السلام عند المنارة أقربها إلى الكنيسة ، ومسجد سليمان عليه السلام ، ومسجد ذى القرنين أو الخضر عليهما السلام الذى عند اللبخات بالقيسارية[2] ، ومسجد الخضر أو ذى القرنين عند باب المدينة حين تخرج من الباب ، ولكل واحد منهما مسجد ، ولكن لا ندرى أين هو ؛ ومسجد عمرو بن العاص الكبير .

حدثنا هانىء بن المتوكل ، حدثنا عبد الرحمن بن شريح عن قيس بن الحجاج عن تبيع ، أن فى الإسكندرية مساجد خمسة مقدسة ، منها المسجد فى القيسارية التى تباع فيها المواريث ، ومسجد اللبخات ، ومسجد عمرو بن العاص .

وكانت الإسكندرية كما حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم ثلاث مدن ، بعضها إلى جنب بعض ، منة ، وهى موضع المنارة وما والاها ، والاسكندرية ، وهى موضع قصبة الاسكندرية اليوم ، ونقيطة . وكان على كل واحدة منهن سور ، وسور من خلف ذلك على الثلاث المدن[3] يحيط بهن جميعاً .

حدثنا هانىء بن المتوكل ، حدثنا عبد الله بن طريف الهمدانى قال : كان على الإسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله ، حدثنى ابن السدّى عن أبيه قال : كان أنف الاسكندر ثلاثة أذرع[4] .

قال خالد وأبو حمزة : أن ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخّمها بالرخام الأبيض ، جدرها وأرضها ، وكان لباسهم فيها السواد والحمرة ، فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام ، ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض

---

(١) فى نسخة م : الشيبانى ، وهو القتبانى من الثقات ، أبو حفص المصرى صدوق يغلط ، وقد أخرج له مسلم فى الشواهد ، ومات سنة سبعين (تقريب التهذيب ص ٢٨١) .

(٢) القيسارية : السوق ، واللبخات شجر اللبخ .

(٣) فى الأصل مدن

(٤) حديث خرافة .

الرخام ؛ وإذا كان القمر أدخل الرجل الذى يخيط بالليل فى ضوء القمر فى بياض الرخام الخيط فى حجر الإبرة .

قال : وإن الاسكندرية فيما ذكر بعض المشائخ ، لقد بنيت الاسكندرية ثلاثمائة سنة ، وسكنت ثلاثمائة سنة ، وخربت ثلاثمائة سنة ، ولقد مكثت سنة سبعين سنة ما يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصّها وبلاطها ولقد مكثت سبعين سنة ما يستسرج فيها[1] .

وأخبرنا ابن أبى مريم عن العطّاف بن خالد قال : كانت الإسكندرية بيضاء ، تضىء بالليل والنهار ، وكانوا إذا غربت الشمس لم يخرج أحد منهم من بيته، ومن خرج اختطف ، وكان منهم راع يرعى على شاطىء البحر ، فكان يخرج من البحر شىء فيأخذ من غنمه ، فكمن له الراعى فى موضع حتى خرج ، فإذا جارية ، فتشبث بشعرها . ومانعته نفسها ، فقوى عليها ، فذهب بها إلى منزله ، فأنست بهم ، فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس ، فسألتهم ، فقالوا : من خرج منا اختطف ، فهيأت لهم الطلسمات . فكانت أول من وضع الطلسمات بمصر فى الإسكندرية[1] .

حدثنا أسد بن موسى حدثنا إسماعيل بن عيّاش عن هشام بن سعد المدينىّ قال : وجد حجر[2] بالإسكندرية مكتوب فيه ، ثم ذكر مثل حديث ابن لهيعة سواء ، وزاد فيه . . وكُنِزتُ فى البحر كنزاً على اثنى عشر ذراعا لن يخرجه أحد حتى تخرجه أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الله البغدادى عن دواد بن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة إلى نصف النهار بمنزلة العجين ، فإذا انتصف النهار اشتد .

(١) كلام فيه خزانة الأساطير (أنظر المقدمة) .

(٢) فى نسخة حـ : وجدوا حجرا

قال : وفى زمن شداد بن عاد بنيت الأهرام ، كما ذكر عن بعض المحدثين ، ولم أجد عند أهل المعرفة من أهل مصر فى الأهرام خبرا يثبت، وفى ذلك يقول الشاعر :

حَسَرَتْ عُقولَ أُولى النُّهى الأهْرامُ   واسْتُصْغِرَتْ لِعَظِيمِها الأحْلامُ
مُلْسٌ مُبَنَّقَةُ البناءِ شَوَاهِقٌ   قَصُرَتْ لِعَالٍ دُونَهُنَّ سِهَامُ
لم أدْرِ حِينَ كَبَا التَّفَكُّر دُونَهَا   واسْتَوْهَمَتْ لِعَجِيبِها الأوْهامُ
أَقُبُورُ أَمْلاكِ الأعَاجِمِ هُنَّ أَمْ   طِلَّسْمُ رَمْلٍ كُنَّ أَمْ أَعْلامُ

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن نَوْفٍ نحوه .

ولم يذكر السرير ، فلما أن أغرق الله فرعون وجنوده، كما حدثنا هانىء بن المتوكل عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن تُبيع ، استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى فى الرجوع إلى أهلهم وما لهم بمصر، فأذن لهم ودعا لهم ، فترهّبوا فى رءوس الجبال ، وكانو أول من ترهب ، وكان يقال لهم الشيعة ، وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله عز وجل ، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (الم غُلِبَتِ الرُّومُ فى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِم سَيَغْلِبُونَ فى بِضْعِ سِنِين[1]) قال : غلبتهم فارس ، ثم غلبت الروم فارس فى أدنى الأرض ، يقول فى طرف الأرض الشام ، وقد اختلف فى البضع ما بين الثلاث إلى سبع .

حدثنا أسد حدثنا عبد الله بن خالد عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: بضْع سنين ، ما بين خمس إلى سبع . حدثنا أسد حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابى الحُوَيرث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : البضع سنين ما بين خمس إلى سبع .

(١) الآية الأولى من سورة الروم .

ويقال البضع ما لم يبلغ العدد ما بين الواحد إلى أربع ، ويقال إلى سبع وتسع وعشر ، ويقال البضع مابين العشرة إلى العشرين ، وكذلك كل عَقْدٍ إلى المائة ، فإذا زاد على المائة انقطع البضع ، وصار نيّفاً .

ذكر

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس

حدثنا[1] عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا هشام بن أسحاق وغيره قال : لما كانت سنة مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية[2] بعث إلى الملوك .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : حدثنى عبد الرحمن بن عبْد القارىّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر . فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ، ثم قال ، أما بعد ، فإنى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك العجم فلا تختلفوا على كما اختلف بنوا إسرائيل على عيسى بن مريم ، وذلك أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عيسى ، أن ابعث إلى ملوك الأرض ، فبعث الحواريين ، فأما القريب مكانا فرضى ، وأما البعيد مكانا فكره ، وقال ، لاأحسن كلام من تبعثنى إليه ؛ فقال عيسى ، اللهمّ أمرت الحواريّين بالذى أمرتنى فاختلفوا علىّ ؛ فأوحى الله إليه ، إنى سأكفيك ، فأصبح كل إنسان منهم يتكلم بلسان الذى وُجِّه إليهم .

---

(١) فى نسخة ح زيادة . حدثنا أبوعمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف الكندى قال حدثنا . .

(٢) الحديبية قرية صغيرة على الطريق بين مكة والمدينة ، وقد سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها .

فقال المهاجرون : يارسول الله ، والله لا نختلف عليك أبدا فى شىء ، فمرنا وابعثنا ؛ فبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية[1] ، وشجاع بن وهب الأسدى إلى كسرى ، وبعث دِحيَة بن خليفة إلى قيصر ، وبعث عمرو بن العاص[2] إلى [ابنى] الجُلَنْدِى أميرى عُمان ، ثم ذكر الحديث .

ثم رجع إلى حديث هشام بن اسحاق وغيره قال : فمضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى إلى الإسكندرية وجد المقوقس فى مجلس مشرف على البحر ، فركب البحر . فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب رسول الله ﷺ بين إصبعيه ، فلما رآه أمر بالكتاب، فقبض ، وأمر به ، فأوصل إليه ، فلما قرأ الكتاب قال : ما منعه إن كان نبيا أن يدعو علىّ فيسلّط علىّ ؟

فقال له حاطب : ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه أن يفعل به ، ويُفعل ؟

فوجم ساعة ، ثم استعادها ، فأعادها عليه حاطب ، فسكت .

فقال له حاطب : إنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله به ، ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك ، و إن لك دينا لن تدَعه إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام الكافى اللهُ به فقْد ما سواه ، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به ، ثم قرأ الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، فاسلم تسلم ،

---

(١) يطلق المؤرخون اسم المقوقس على حاكم مصر فى ذلك العصر إطلاقاً خاطئاً ، والمقصود بالمقوقس هو قيرس بطريق الإسكندرية الملكانى الذى جمع له هرقل ولاية الدين وجباية الخراج بأرض مصر .

(٢) جاء فى كتاب الطبرى أن إسلام عمرو بن العاص كان فى السنة الثامنة من الهجرة ، وأن بعثة عمرو إلى جيفر وعباد ابنى جلندى بعمان كانت فى هذه السنة .

واسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تَوَلّوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون .

فلما قرأه أخذه ، فجعله فى حُقّ من عاج، وختم عليه .

حدثنا عبد الله بن سعيد المَذْحِجِىّ عن ربيعة بن عثمان عن أبان بن صالح قال: أرسل المقوقس إلى حاطب ليلة وليس عنده أحد إلا ترجمان له ، فقال :

— ألا تخبرنى عن أمور أسألك عنها ؟ فإنى أعلم أن صاحبك قد تخيَّرك حين بعثك .

قال : لا تسألنى عن شىء إلا صدقتك .

قال : إلى ما يدعو محمد ؟

قال : إلى أن تعبد الله . لا تشرك به شيئا ، وتخلع ما سواه، و يأمر بالصلاة .

قال : فكم تصلّون ؟

قال : خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، و ينهى عن أكل الميتة والدم .

قال : من أتباعه ؟

قال : الفتيان من قومه وغيرهم .

قال : فهل يقاتل قومه ؟

قال : نعم .

قال : صِفْه لى .

فوصفته بصفة من صفاته لم آت عليها ، قال :

— قد بقيت أشياء لم أرك ذكرتها ، فى عينيه حمرة قل ما تفارقه ، وبين

كتفيه خاتم النبوة ، يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزئ بالتمرات والكسر لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم .

قلت : هذه صفته .

قال : قد كنت أعلم أن نبيا قد بقى ، وقد كنت أظن أن مخرجه الشام ، وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج فى العرب فى أرض جهد وبؤس ، والقبط لا تطاوعنى فى اتباعه ، ولا أحب أن يعلم أحد بمحاورتى إياك ، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا ، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا ، فارجع إلى صاحبك .

ثم رجع إلى حديث هشام بن أسحاق قال : ثم دعا كاتبا يكتب بالعربية فكتب :

لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقى ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك . وبعثت إليك بجار يتين ، لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى يونس عن يزيد عن أبى شهاب بن عبد الرحمن بن عبد القارىء قال : لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبّل المقوقس الكتاب وأكرم حاطبا وأحسن نُزله ، ثم سرحه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة يسرجها وجاريتين ، أحداها أم إبراهيم ، ووهب الأخرى لجهم ابن قيس العبدرىّ ، فهى أم زكريا بن جهم الذى كان خليفة عمرو بن العاص على مصر .

ويقال[1] : بل وهبها إلى حسان بن ثابت ، فهى أم عبد الرحمن ابن حسان ، ويقال : بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الأنصارى ، ويقال : لدحْيَة بن خليفة الـكلبى .

حدثنا النضر بن سلمة الشامىّ عن حاتم بن إسماعيل عن أسامة بن زيد الليثى عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه سيرين قالت : حضرتُ موت إبراهيم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صحت أنا وأختى ماينهانا ، فلما مات نهانا عن الصياح .

حدثنا عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البَطائىّ عن محمد بن أسحق عن يعقوب بن عُتبة أن صَفْوان بن المعطّل ضرب حسان بن ثابت بالسيف قال ابن أسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم التميمى أن ثابت بن قيس بن شماس وثب على صفوان بن المعطّل حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ فقال . ضرب حسان بالسيف ، والله ما أراه إلا قد قتله .

قال : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟

قال : لا .

قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل .

فأطلقه ، ثم أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال :

— آذانى يا رسول الله ، وهجانى ، فاحتملنى الغضب ، فضربته .

---

(١) فى نسخة ه زيادة ، ويقال بل حسان بن ثابت حين ضربه صفوان بن معطل ، والقصة مشهورة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن ياحسان فى الذى قد أصابك ».

قال : هى لك .

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا عنها بَيْرَحا وهى قصر بنى حُدَيْلة اليوم ، كانت مالا لأبى طلحة ، تصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها حسان فى ضربته ، وأعطاه سيرين أَمَةً قبطيّة ، فولدت له عبد الرحمن ابن حسان .

حدثنا هانىء بن المتوكل حدثنا ابن لهيعة قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، أن المقوقس لما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمّه إلى صدره ، وقال : هذا زمان يخرج فيه النبى الذى نجد نعتَه وصفته فى كتاب الله ، وإنا لنجد صفته ، أنه لا يجمع بين أختين فى ملك يمين ولا نكاح ، وأنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة ، وأن جلساءه المساكين ، وأن خاتم النبوة بين كتفيه .

ثم دعا رجلا عاقلا ، ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجمل من مارية وأختها ، وهما من أهل حَفْنٍ من كورة أنصِنَا[1] ، فبعث بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له بغلة شهباء وحماراً أشهب وثيابا من قباطىّ[2] مصر ، وعسلا من عسل بنها ، وبعث إليه بمال صدقة .

وأمر رسوله أن ينظر مَن جلساؤه ، وينظر إلى ظهره ، هل يرى شامة كبيرة[3] ذات شعر ؟

---

(١) أنصنا : مدينة قديمة من بلاد الصعيد شرق النيل ، وإليها ينسب قوم من أهل العلم ، ومكانها اليوم الأطلال الواقعة فى حوض مدينة النصلة (المحرفة من أنصنا) رقم ١١ بأراضى ناحية الشيخ عبادة الواقعة شرق النيل بمركز ملوى من أعمال محافظة أسيوط .
وحفن قرية من قراها .

(٢) القباطى : نسيج من الكتان به زخارف اشتهرت به مصر القديمة ، وهو النسيج الذى يطلق عليه الأوربيون اسم Tapestry .

(٣) فى نسخة حسزيادة بين كتفيه .

ففعل ذلك الرسول .

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم الأختين والدابتين والعسل والثياب ، وأعلمه أن ذلك كله هدية ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية، وكان لا يردها من أحد من الناس .

قال : فلما نظر إلى مارية وأختها أعجبتاه ، وكره أن يجمع بينهما ، وكانت إحداهما تشبه الأخرى ، فقال : اللهم اختر لنبيّك ، فاختار الله مارية .

وذلك أنه قال لهما : قولا ، نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

فبدرت مارية ، فتشهدت ، وآمنت قبل أختها ، ومكثت أختها ساعة ، ثم تشهدت وآمنت ، فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها لمحمد بن مسلمة الأنصارى ، وقال بعضهم ، بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبيّ .

قال : فحدثنا هانىء بن المتوكل ، حدثنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى ، أحْسَبُه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمّ إبراهيم أم ولده القبطية ، فوجد عندها نسيباً كان لها ، قدم معها من مصر ، وكان كثيراً ما يدخل عليها ، فوقع فى نفسه شىء ، فرجع ، فلقيه عمر بن الخطاب ، فعرف ذلك فى وجهه ، فسأله ، فأخبره ، فأخذ عمر السيف ، ثم دخل على مارية ، وقريبها عندها ، فأهوى إليه بالسيف .

فلما رأى ذلك كشف عن نفسه ، وكان مجبوبا ، ليس بين رجليه شىء ، فلما رآه عمر رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن جبريل أتانى فأخبرنى أن الله قد برأها وقريبها ، وأن فى بطنها غلاما منى ، وأنه أشبه الخلق بى ، وأمرنى أن أسميه إبراهيم ، وكنّانى بأبى إبراهيم .

وحدثنى دُحَيْم عن عبد الرحمن بن ابراهيم ، حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن الزهرى عن أنس قال : لما ولدت أمُّ ابراهيم ابراهيم كأنه وقع فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم منه شىء حتى جاءه جبريل ، فقال : السلام عليك يا أبا ابراهيم .

ويقال إن المقوقس بعث معها بخصىّ ، فكان يأوى إليها .

حدثنا أحمد بن سعيد القهرى ، حدثنا مروان بن يحيى الحاطبىّ ، حدثنى ابراهيم بن عبد الرحمن بن أدْعَج قال ، حدثنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده حاطب بن أبى بَلْتَعَة قال ، بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الاسكندرية ، فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلنى فى منزل ، وأقمت عنده ليالى ، ثم بعث إلىّ ، وقد جمع بطارقته فقال :

— إنى سأكلمك بكلام ، وأحب أن تفهمه عنى .

قال : قلت ، هَلُمَّ .

قال : أخبرنى عن صاحبك ، أليس هو نبىّ ؟

قال : قلت ، بلى ، هو رسول الله

قال : فما له حيث كان هكذا لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟

قال : فقلت له ، فعيسى بن مريم تشهد أنه رسول الله ، فما له حيث أخذه قومه ، فأرادو أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه فى السماء الدنيا ؟

فقال : أنت حكيم جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسلُ معك مُبَذْرَقَةً[1] يُبَذْرِقُونَك إلى مأمنك .

(١) البذرقة : الخفارة ، لفظ فارسى معرب .

قال : فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار ، منهن أمّ إبراهيم ، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهم بن حُذيفة العبدريّ ، . وواحدة وهبها لحسان بن ثابت ، وأرسل إليه بثياب مع طُرَف من طرفهم ، فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم ، فكان من أحب الناس إليه حتى مات ، فوجد به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا حفص بن سليمان عن كثير بن شِنْظِيرٍ عن أبي نَضْرة عن أبي سعيد الخُدريّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى على ابنه وكبَّر عليه أربعا .

قال : ورشّ على قبره كما حدثنا ابن بكير ، وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا قُرَيْش بن حَيّان عن ثابت البُنانيّ عن أنس بن مالك قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سَيْفٍ ، قَيْنٍ كان بالمدينة ، وكان ظِئْر ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه بإبراهيم فشمّه ، ثم دخلنا عليه ، وهو في الموت ، فذرفت عيناه .

فقال له ابن عوف ، وأنت يارسول الله ؟

قال : إنها رَحْمة ، واتبعها بالأخرى ، تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما لا يُرْضِي ربّنا .

وحدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا مسلم بن خالد الزِنْجِيّ عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم عن شَهْر بن حَوْشَب عن أسماء ابنة يزيد أنها حدثته ،

قالت : لما توفى إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو بكر وعمر : أنت أحق من علم لله حقّه .

قال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يُسخط الرب ، ولولا أنه وعد

صادق وموعد جامع ، وأن الآخر منّا يتبع الأوّل لوجدنا عليك [يا] إبراهيم أشد مما وجدنا ، و إنا بك لمحزونون .

حدثنا على بن معبد ، حدثنا عيسى بن يونس عن محمد بن أبى ليلى عن عطاء بن أبى رَباح عن جابر بن عبد الله قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف ، فانطلق به إلى النخل الذى فيه ابنه ابراهيم ، فوجده يجود بنفسه ، فأخذه ، فوضعه فى حجره ، ثم بكى .

فقال له عبد الرحمن : تبكى ، أو لم تكن نهيتَ عن البكاء ؟ .

قال : لا ، ولكنى نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ، صوتٍ عند مصيبة ، خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان ، وصوت عند نغْمة لهوٍ ومزامير شيطان ؛ وهذه رحمة ، ومن لا يَرحم لا يُرحم ، ولولا أنه أمرٌ حقّ ووعد صدق ، وأنها سبيل مأْتيّة لحزنّا عليك حزناً هو أشد من هذا ، و إنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، يحزن القلب وتدمع العين ، ولا نقول ما يُسخط الرب .

حدثنا النضر بن سلمة ، حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن السلمى ، حدثنا هاشم ابن إسماعيل ، حدثنا أسامة بن زيد عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت عن أمّه سيرين أخت مارية قالت :

— رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فُرْجة فى القبر – يعنى قبر إبراهيم — فأمر بها ، فسدّت ، فقيل يارسول الله .

فقال : أما إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكن تُقَر بعين الحىّ ، و إن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه .

حدثنا دُحيم ، حدثنا مروان بن معاوية عن إسرائيل عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال : كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام رسول الله ، فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ،

لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما فعليكم بالدعاء حتى ينكشفا .

قال : ولما ولدت أم إبراهيم ، كما حدثنا القَعْنَبي عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما ولدت مارية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعتقها ولدُها .

وكان سن إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات كما حدثنا على ابن سعيد عن عيسى بن يونس عن الأعمش عن رجل قد سمّاه عن البَرَاء بن عازِب ستة عشر شهراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له ظِئْراً[1] فى الجنة يتم رضاعه .

وحدثنا يزيد بن أبى سلمة عن عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحجاج بن أرطاة عن أبى بكر بن عمرو عن يزيد بن البراء عن أبيه قال : لما توفى إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له مُرْضِعا فى الجنة تتمّ بقيّة رضاعه .

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبى حبيب قال : وكانت البغلة والحمار أحبّ دوابّه إليه ، وسمى البغلة دُلْدُل ، وسمى الحمار يَعْفُور ، وأعجبه العسل ، فدعا فى عسل بَنْها بالبركة ، وبقيت تلك الثياب حتى كُفن فى بعضها صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الجبار حدثنا موسى بن داود عن سلاّم عن عبد الملك بن عبد الرحمن عن الحسن العُرَنى[2] عن أشعث بن طَليق عن مُرّة بن المطلب — أو الطيّب — عن عبد الله بن عمر عن الثقة عن ابن مسعود قال : قلنا يا رسول الله فيم نَكفّنك ؟ . قال : فى ثيابى هذه ، أو فى ، أو فى ثياب مصر .

---

(١) الظئر : المرضع العاطفة على ولدها .

(٢) فى نسخة ب العربى ، والصحيح ما ذكر (راجع صحيفة ١١٠ من كتاب تقريب التهذيب) .

قال محمد بن عبد الجبار فى حديثه : أو فى ثياب مصر ، أو فى حلّة قال أحدهما ، أو فى يُمْنةٍ .

قال ابن أبى مريم ، قال ابن لهيعة ، وكان اسم أخت مارية قَيْصَرًا ، ويقال بل كان اسمها سيرين .

وحدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا لهيعة عن الأعرج قال : بعث المقوقس صاحب الإسكندرية بمارية وأختها حَنّة ، فأسكنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدقته فى بنى قُرَيْظَة .

وحدثنا هانىء بن المتوكّل ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب وابن هبيرة أن الحسن بن على كلّم معاوية بن أبى سفيان فى أن يضع الجزية عن جميع قرية أم إبراهيم لحِرُمتها ، ففعل ، ووضع الخراج عنهم ، فلم يكن على أحد منهم خراج ، وكان جميع أهل القرية من أهلها وأقربائها . فانقطعوا إلا بيتا واحدا قد بقى منهم أناس .

حدثنا عبد الملك بن عباس عن أبى بكر بن أبى مريم عن راشد بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو بقى إبراهيم ما تركتُ قبطيًّا إلا وضعت عنه الجزية .

وكانت وفاة مارية فى المحرم سنة خمس عشرة ، ودفنت بالبقيع ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ، وكان الرسول بها من قِبَل المقوقس كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة ابنَ جبر .

— ثم إن أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن عُلَىّ بن رَبَاح اللّخْمِىّ بعث حاطبا إلى المقوقس بمصر ، فمر على ناحية قرى الشرقية ، فهادنهم وأعطوه ، فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص فقاتلوه ، فانتقض ذلك العهد .

قال عبد الملك . وهى أول هدنة كانت بمصر

قال - ابن هشام اسم أبى بلتعة عمرو ، وحاطب لخمىّ ، وفى ذلك يقول حسان ابن ثابت كما حدثنا وثيمة بن موسى .

قَوْلُ لِرُسْلِ النبيّ صَاحَ إلَى النَّا … سِ ، شُجَاعٍ وَدِحْيَةَ بنِ خَلِيفَهْ
وَلِعَمْرٍو وَحَاطِبٍ وَسَلِيطٍ … وَلِعَمْرٍو ، وَذَاكَ رَأْسُ الصَّحِيفَهْ

فى أبيات ذكر فيها رسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الملوك .

ذكر

سبب دخول عمرو بن العاص مصر

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال ، فلما كانت سنة ثمانى عشرة[1] ، وقدم عمرو الجابية[2] خلا به عمرو بن العاص ، فاستأذنه فى المسير إلى مصر ؛ وكان عمرو قد دخل مصر فى الجاهلية ، وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها ، وكان سبب دخول عمرو إياها كما حدثنا يحيى بن خالد العدوى عن ابن لهيعة ويحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد أنه بلغه أن عمراً قدم إلى بيت المقدس لتجارة فى نفر من قريش ، فإذا هم بشماس من شمامسة الروم من أهل الاسكندرية قدم للصلاة فى بيت المقدس ، فخرج فى بعض جبالها يسيح ، وكان عمرو يرعى إبله وإبل أصحابه ، وكانت رعية الإبل نوباً بينهم .

فبينا عمرو يرعى إبله إذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد فى يوم شديد الحر ، فوقف على عمرو ، فاستقاه ، فسقاه عمرو من قربة له ، فشرب

---

(١) توافق سنة ٦٣٠ م وكان العرب لا يزالون على حصار مدينة قيصرية .

(٢) الجابية : قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفّر فى شمالى حوران ، وفيها خطب عمر بن الخطاب خطبة مشهورة .

حتى روى ، ونام الشماس مكانه ، وكانت إلى جنب الشماس حيث نام حفرة ، فخرجت منها حيّة عظيمة ، فبصر بها عمرو وفزع لها بسهم ، فقتلها .

فلما استيقظ الشماس نظر إلى حية عظيمة قد أنجاه الله منها ، فقال لعمرو : ما هـــذه ؟

فأخبره عمرو أنه رماها ، فقتلها .

فأقبل إلى عمرو ، فقبّل رأسه ، وقال : قد أحيانى الله بك مرتين ، مرة من شدة العطش ، ومرة من هذه الحية ، فما أقدمك هذه البلاد ؟

قال : قدمت مع أصحاب لى نطلب الفضل فى تجارتنا .

فقال له الشماس : وكم تراك ترجو أن تصيب فى تجارتك ؟

قال : رجائى أن أصيب ما أشترى به بعيرا ، فإنى لا أملك إلا بعيرين ، فأملى أن أصيب بعيرا آخر ، فتكون ثلاثة أبعرة .

فقال له الشماس : أرأيت دية أحدكم بينكم كم هى ؟

قال : مائة من الإبل .

قال الشماس : لسنا أصحاب إبل ، إنما نحن أصحاب دنانير .

قال . يكون ألفى دينار .

فقال له الشماس : إنى رجل غريب فى هذه البلاد ، وإنما قدمت أصلى فى كنيسة بيت المقدس ، وأسيح فى هذه الجبال شهرا ، جعلت ذلك نذرا على نفسى ، وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع إلى بلادى ، فهل لك أن تتبعنى إلى بلادى ؟ ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين ، لأن الله تعالى أحيانى بك مرتين .

فقال له عمر : أين بلادك ؟

قال : مصر ، فى مدينة يقال لها الإسكندرية .

فقال له عمرو : لا أعرفها ، ولم أدخلها قط .

فقال له الشماس : لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها .

فقال له عمرو : تفى لى بما تقول ، وعليك بذلك العهد والميثاق ؟

فقال له الشماس : نعم لك الله ، علىّ العهد والميثاق أن أفىَ لك وأن أردّك إلى أصحابك .

فقال : وكم يكون مكثى فى ذلك ؟

قال : شهرا ، تنطلق معى ذاهباً عشرا ، وتقيم عندنا عشراً ، وترجع فى عشر ، ولك علىّ أن أحفظك ذاهبا ، وأن أبعث معك من يحفظك راجعاً .

فقال له عمرو : انظرنى حتى أشاور أصحابى فى ذلك .

فانطلق عمرو إلى أصحابه ، فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس ، وقال لهم : تقيمون علىّ حتى أرجع إليكم ، ولكم علىّ العهد أن أعطيكم شطر ذلك ، على أن يصحبنى رجل منكم آنس به .

فقالوا : نعم .

وبعثوا معه رجلا منهم .

فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية ، فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير ما أعجبه ، وقال : ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الأموال .

ونظر إلى الإسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال فازداد عجباً .

ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما ، تجتمع فيه ملوكهم

وأشرافهم ، ولهم أُكْرَةٌ من ذهب مُكلَّلة يترامى بها ملوكهم ، وهم يتلقونها بأكمامهم ؛ وفيما أخبروا عن تلك الأكرة على ما وصفها من مضى منهم أنها من وقعت الأكرة فى كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم .

فلما قدم عمرو الاسكندرية أكرمه الشماس الإكرام كله ، وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه ، وجلس عمرو والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالأكرة ، وهم يتلقونها بأكمامهم ، فرمى بها رجل منهم ، فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كمّ عمرو ، فعجبوا من ذلك ، وقالوا : ما كذبتنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة ، أترى هذا الإعرابى يملكنا ؟ هذا ما لا يكون أبداً .

وأن ذلك الشماس مشى فى أهل الإسكندرية ، وأعلمهم أن عمراً أحياه مرتين ، وأنه قد ضمن له ألفى دينار ، وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ، ففعلوا ، ودفعوها إلى عمر[1] .

فانطلق عمرو وصاحبه ، وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا ، وزودهما وأكرمهما حتى رجع وصاحبه إلى أصحابهما ، فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ، ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثرها مالا .

فلما رجع عمرو إلى أصحابه دفع إليهم فيما بينهم ألف دينار ، وأمسك لنفسه ألفا .

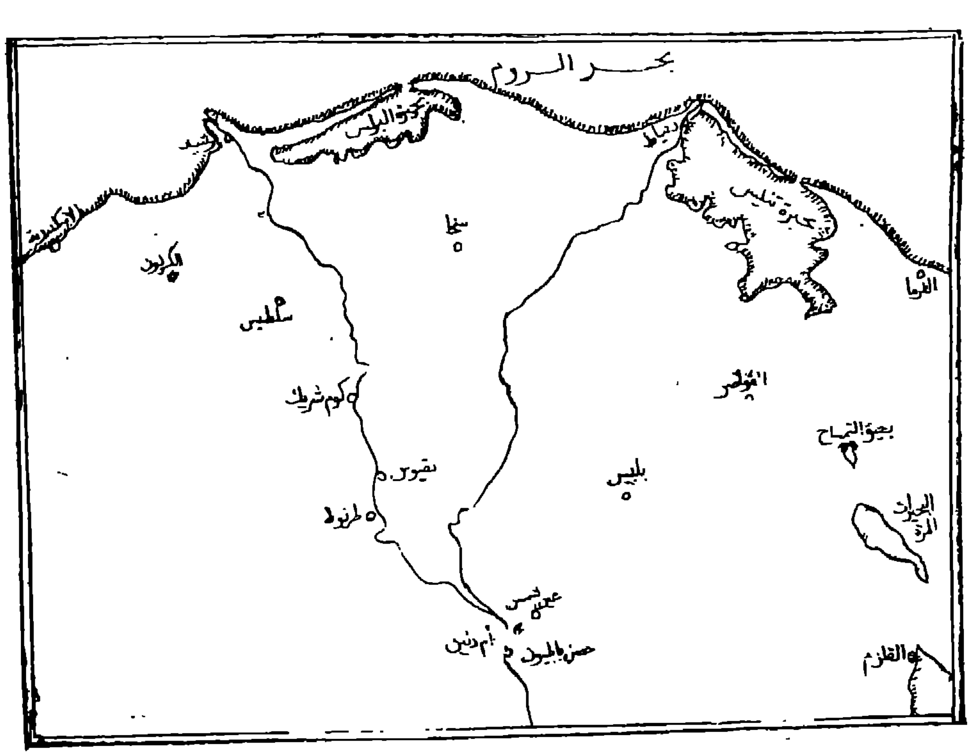
قال عمرو : فكان أول مال اعتقدته وتأثلته .

(١) رواية غير صحيحة تاريخياً ، ولا تتخذ سنداً من الأسانيد الصحيحة،وقد رواها عن ابن عبد الحكم كثير من مؤرخى العرب .

ذكـــر

فتح مصر

حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبى جعفر عَيَّاش ابن عباس القِتْبَانى وغيرهما، يزيد بعضهم على بعض، قال: فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية[1] قام إليه عمرو، فخلا به، وقال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لى أن أسير



مع عمرو بن العاص فى مصر — الوجه البحرى —

(١) فى نسخة ا حاشية فى الهامش: اختلف فى قدوم عمر بن الخطاب الجابية، فقيل إنه فتح بيت المقدس فى سنة ست عشرة، وفيها قدم الجابية، وقيل بل عاد بعد فتح بيت المقدس حتى أتى الجابية فى سنة ثمانى عشرة بعد عوده من سرغ فى سنة سبع عشرة، وقال البخارى: إن عمر قدم الجابية سنة ثمانى عشرة، والتحقيق أن عمر قدم الشام أربع مرات، مرتين فى سنة ست عشرة، ومرتين فى سنة سبع عشرة، ولم يدخلها فى الأولى.

إلى مصر ، وحرّضه عليها ، وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين[1] ، وعونا ، لهم ؛ وهى أكثر الأرض أموالا ، وأعجزها من القتال والحرب.

فتخوّف عمر بن الخطاب على المسلمين ، وكره ذلك ، فلم يزل عمرو يعظّم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ، ويهوّن عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر ، فعقد له على أربعة آلاف رجل ، كلُّهم من عَكٍّ ؛ ويقال : بل ثلاثة آلاف وخمسمائة .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبّار ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاص دخل مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب مثله، إلا أنه قال : ثُلثُهم غافِق .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان قال : فقال له عمر : سر وأنا مستخير الله فى سيرك ، وسيأتيك كتابى سريعاً إن شاء الله ، فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ؛ وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فأمض لوجهك واستعن بالله واستنصره .

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس ، واستخار عمر الله ، فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك ؛ فكتب إلى عمرو بن العاص ، أن ينصرف بمن معه من المسلمين .

فأدرك الكتاب عمراً وهو برَفَح[2] ، فتخوّف عمرو بن العاص إن هو أخذ

---

(١) يروى الطبرى أن أريطبون حاكم الروم على بيت المقدس ، وكان قد هرب من المدينة قبل تسليم الطريق صفرونيوس مدينة القدس للعرب ، قد لاذ بمصر ، وأنه كان يجمع فيها جنود الدولة الرومانية ، فرأى عمرو بن العاص ، أن على العرب ألا يضيعوا الوقت ، بل يجب عليهم أن يوقعوا به قبل أن يستفحل أمره .

(٢) رفح بلد بالقرب من العريش فى الإقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة .

الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه ، وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش[1] ، فسأل عنها ، فقيل ، إنها من مصر .

فدعا بالكتاب ، فقرأه على المسلمين وقال عمرو لمن معه .

ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟

قالوا : بلى .

قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلىّ وأمرنى ، إن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ، ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله .

ويقال : بل كان عمرو بفلسطين ، فتقدم بأصحابه إلى مصر بغير إذن ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر ، وهو دون العريش ، فحبس الكتاب ، فلم يقرأه حتى بلغ العريش ، فقرأه فإذا فيه : (من عمر بن الخطاب إلى العاص ابن العاص ، أما بعد ، فإنك سرت إلى مصر ومن معك ، وبها جموع الروم ، وإنما معك نفر يسير ، ولعمرى لو كانوا ثُكْلَ أُمِّك ما سرت بهم ، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع) .

فقال عمرو : الحمد لله ، أيّة أرض هذه ؟

قالوا : من مصر .

فتقدم كما هو .

حدثنا ذلك عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

---

(١) العريش : بلد قديم فى الطرف الشمالى لشبه جزيرة سيناء تطل على البحر الأبيض المتوسط .

ويقال : بل كان عمرو فى جنده على قيسارّية مع من كان بها من أجناد المسلمين ، وعمر بن الخطاب إذ ذاك بالجابية ، فكتب سرا ، فاستأذن إلى مصر ، وأمر أصحابه فتنحّوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحّوا من منزل إلى منزل قريب.

ثم سار بهم ليلا ، فلما فقده أمراء الأجناد استنكروا الذى فعل ، ورأوا أنه قد غرر ؛ فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : إلى العاص ابن العاص ، أما بعد فإنك قد غررت بمن معك ، فإن أدركك كتابى ولم تدخل مصر فارجع ، وإن أدركك وقد دخلت فامْضِ ، واعلم أنى مُمِدّك .

فيما حدثنا عبد الملك بن مسلمة ويحيى بن خالد عن الليث بن سعد قال : ويقال ، إن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام ، أن أندب الناس إلى المسير معك إلى مصر ، فمن خفّ معك فسِرْ به .

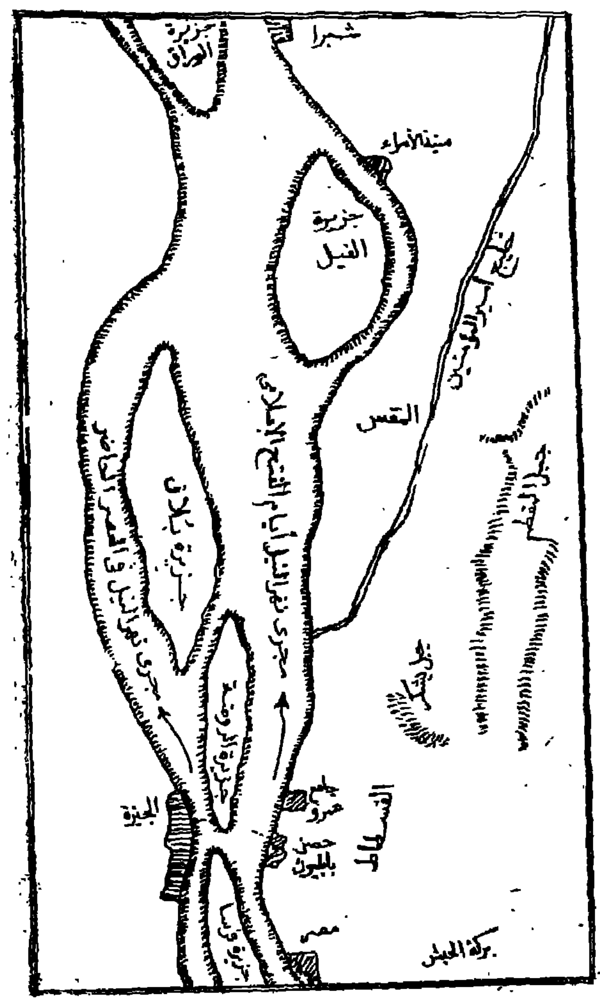
وبعث به مع شريك بن عَبْدَة ، فندبهم عمرو ، فأسرعوا إلى الخروج مع عمرو .

ثم إن عثمان بن عفان دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر : كتبت إلى عمرو ابن العاص ، يسير إلى مصر من الشام .

فقال عثمان . يا أمير المؤمنين ، إن عمراً لَمُجَرَّأٌ ، وفيه إقدام ، وحب للامارة ، وأخشى أن يخرج فى غير ثقة ولا جماعة ، فيعرّض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا .

فندم عمر بن الخطاب على كتابه إلى عمرو إشفاقا مما قال عثمان ، فكتب إليه ، إن أدركك كتابى قبل أن تدخل مصر فارجعْ إلى موضعك ، وإن كنت دخلت فامض لوجهك .

وكانت صفة عمرو بن العاص كما حدثنا سعيد بن عَفَير عن الليث بن سعد ، قصيراً ، عظيم الهامة ، ناتىء الجبهة ، واسع الفم ، عظيم اللّحية ، عريض ما بين المنكبين ، عظيم الكفّين والقدمين .



خريطة لقطاع مصر عند الفتح العربى

قال الليث : يملأ هذا المسجد .

قال : فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص إلى مصر توجّه إلى الفسطاط ، فكان يجهز على عمرو الجيوش ، وكان على القصر [1] رجل من الروم .

(١) هو قصر الشمع : مكانه الآن الدير المحرق بمصر القديمة ، وقد بنى هذا القصر بعد خراب مصر على يد بخت نصر ، وقد اختلف المؤرخون فى الوقت الذى بنى فيه وفيمن أنشأه من الملوك ، وكان الشمع يوقد على هذا القصر فى رأس كل شهر ، ليعلم الناس أن الشمس قد انتقلت من برج الى برج .

وكانت الكنيسة المعلقة بمصر القديمة تقع على باب هذا القصر ، ويرى بعض المؤرخين أن قصر الشمع هو حصن بابليون .

يقال له الأعَيْرِج[1] واليا عليه . وكان تحت يدى المقوقس .

وأقبل عمرو حتى إذا كان بجبل الحلال نفرت منه راشدة وقبائل من لخم[2]، فتوجه عمرو حتى إذا كان بالعريش أدركه النحر[3]. فحدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال : فضحى عمرو عن أصحابه يومئذ بكبش .

وكان رجل ممّن كان خرج مع عمرو بن العاص حين خرج من الشام إلى مصر، كما حدثنا هانىء بن المتوكل عن أبى شريح عبد الرحمن بن شريح عن عبد الكريم بن الحارث أصيب بجمل له . فأتى الى عمرو يستحمله ، فقال له عمر: تحمل مع صحابك حتى نبلغ أوائل العامر ، فلما بلغوا العريش جاء فأمر له بجملين . ثم قال له : لن تزالوا بخير ما رحمتكم أئمتكم ، فإذا لم يرحموكم هلكتم وهلكوا .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال : فتقدم عمرو بن العاص، فكان أول موضع قوتل فيه الفرما[4] ، قاتله الروم قتالا شديدا نحواً من شهر ، ثم فتح الله على يديه .

وكان عبد الله بن سعد كما حدثنا سعيد بن عفير على ميمنة عمرو بن العاص منذ توجّه من قيسارية إلى أن فرغ من حربه .

---

(١) هو القائد جورج الرومانى .

(٢) كان أكثر جند جيش عمرو من قبيلة عك ، ويذكر الكندى ان ثلث الناس كانوا من غافق ، ويروى ابن دقاق أنه قد كان مع جيش العرب جماعة ممن أسلم من الروم ، وقد سماهم فى كتابه .

(٣) كان هذا فى العاشر من شهر ذى الحجة سنة ١٨ هـ ، وهو اليوم الثانى عشر من شهر ديسمبر سنة سنة ٦٣٩ م .

(٤) الفرما اسم عربى لمدينة بلوز ، وكان القبط يسمونها برمون، وكانت على مرتفع من الأرض وعلى نحو ميل ونصف من البحر ، وكان لها مرفأ متصل بها بخليج يجرى من البحر ، وكان فرع من النيل يسمى البلوزى يهوى الى البحر بقربها ، وكانت مدينة قوية الحصون ، بها كثير من آثار المصريين القدماء ، كما كان بها كنائس وأديرة ، وكانت مفتاح مصر من الشرق ، فهى تشرف على الطريق الصحراوى ، وتملك ناصية البحر ، ويجرى اليها فرع النيل الذى يؤدى إلى مصر السفلى ، وقد دك الفرس أسوارها وحصونها وخربوا كنائسها عند فتحهم لمصر قبل الغزو العربى .

وقال غير ابن عفير من مشائخ أهل مصر ، وكان بالاسكندرية أسْقُف للقبط يقال له ، أبو بنيامين[١] ، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلّمهم أنه لاتكون للروم دولة ، وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقّى عمرو .

فيقال إن القبط الذين كانوا بالفَرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا .

قال عثمان فى حديثه ، ثم توجه عمرو لايدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل القَوَاصِر[٢] .

فحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عبد الرحمن بن شُرَيح أنه سمع شراحيل بن يزيد يحدّث من أبى الحُسين أنه سمع رجلا من لَخْم يحدّث كُرَيْب بن أبرهة قال : كنت أرعى غنما لأهلى بالقواصر ، فنزل عمرو ومن معه ، فدنوت إلى أقرب منازلهم ، فإذا بنفر من القبط ، كنت قريبا منهم ، فقال بعضهم لبعض : ألا تعجبون من هؤلاء القوم ؟ يُقْدِمون على جموع الروم ، وإنما هم فى قلّة من الناس .

فأجابه رجل آخر منهم ، فقال : إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خَيْرَهم .

قال : فقمت إليه ، فأخذت بتَلابيبه . فقلت : أنت تقول هذا ؟ انطلق معى إلى عمرو بن العاص حتى يسمع الذى قلت .

---

(١) أبوبنيامين ، وهو كبير أساقفة القبط بالاسكندرية ، وقدخلف المطران مودستوس وقضى أول سنى ولايته مستظلا بحكم الفرس ، وقد كانت ولايته طويلة مليئة بالحوادث . ويروى حنا النقيوسى ، أن بنيامين قد هرب من الإسكندرية تخلصاً من ظلم الروم ولم يعد إلا بعد أن كتب له عمرو بن العاص أماناً أقر فيه بعودته .

(٢) القواصر بلدة قديمة من أعمال مركز التل الكبير ، ومكانها الآن القصاصين ، وقد جاء فى معجم البلدان أنها موضع بين الفرما والفسطاط (أنظر الخريطة) ، ويروى المؤرخون أن مياه بحيرة المنزلة كانت قد طغت على ما حولها بعد استيلاء عمرو بن العاص على الفرما ، وأصبح الطريق الساحلى الذى اعتادت الجيوش الغازية عبوره غير مأمون ، ومسالكه صعبة على جيش عمرو ، وقد كان كله من الفرسان ، فلزم عمرو طريق الصحراء نحو الجنوب حتى وصل الى وادى الطميلات بالقرب من التل الكبير .

فطلب إلىّ أصحابه وغيرهم حتى خلّصوه ، فرددت الغنم إلى منزلى ، ثم جئت حتى دخلت فى القوم .

قال عثمان فى حديثه : فيَقْدم عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بُلْبَيْس [1] ، فقاتلوه بها نحوا من شهر ، حتى فتحها الله عليه . ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أمّ دُنَيْن . فقاتلوه بها قتالا شديداً . وأبطأ عليه الفتح ؛ فكتب إلى عمر يستمدّه ، فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف ، فقاتلهم [2] .

ثم رجع إلى حديث ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح عن شراحيل ابن يزيد عن أبى الحسين أنه سمع رجلا من لَخْم قال : فجاء رجل إلى عمرو بن العاص ، فقال : أنْدُب معىَ خيلا حتى آتى من ورائهم عند القتال .

فأخرج معه خمسمائة فارس . فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بنى وائل قبل الصبح .

---

(١) بلبيس ، قاعدة مركز بلبيس من أعمال محافظة الشرقية ، وكانت بلبيس عاصمة إقليم إلى آخر عهد الحكم الجركسى ، وفى سنة ١٨٣٢ م ، نقلت المصالح الأميرية منها إلى الزقازيق ، وكانت بلبيس تسمى قديماً فلبيس أو فلابيس .
وقد كانت طلائع الروم قد خرجت ترقب قدوم العرب من الصحراء ، فحدث بينهم وبين الجيش العربى قتال ، يقال إن الروم خسروا فيه ألف ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير .
ويذكر الواقدى فى تاريخه أن أرمانوسة بنت المقوقس كانت فى طريقها إلى قيصرية لتزف إلى قسطنطين بن هرقل ، فلما علمت أن قيصرية قد حاصرها العرب عادت إلى مصر بما كان معها من الخدم والمال ، وما إن وصلت إلى بلبيس حتى جاءتها جيوش العرب وحاصرتها ، وقيل إن عمراً أكرمها وأعادها إلى أبيها بما كان معها من الجواهر .

(٢) استولى عمرو على قرية أم دنين ، وكانت إلى الشمال من حصن بابليون ، ويذكر المقريزى أن أم دنين كانت ميناء مصر فى وقت الفتح العربى ، ويذكر بعض المؤرخين من الغرب ، أنه لما تأخر المدد على عمرو بن العاص وعجز عن فتح حصن بابليون أخذ من مسلحة أم دنين سفناً وعبر النيل بجنده فى وجه آخر هو غزو لإقليم الفيوم ، وهو العدوة القصوى ، وتعتمد هذه الرواية على ما جاء فى ديوان حنا النقيوسى ، ولكن مؤرخى العرب يخالفون هنا الرأى ، ويذكرون أن فتح الفيوم كان بعد سقوط حصن بابليون .

وكانت الروم قد خندقوا خَنْدقاً ، وجعلوا له أبوابا . و بثّوا فى أفنيتها حَسَك الحديد[١] . فالتقى القوم حين صبحوا . وخرج اللخمى بمن معه من ورائهم . فانهزموا حتى دخلوا الحصن .

قال غير ابن وهب : بعث خمسمائة عليهم خارجة بن حُذافة ، قال : فلما كان وجه الصبح نهض القوم ، فصلوا الصُّبح ثم ركبوا خيلهم .

وغدا عمرو بن العاص على القتال ، فقاتلهم من وجههم ، وحملت الخيل التى كان وجه من ورائهم[٢] ؛ وأقْحِمَت عليهم ، فانهزموا ، وكانوا قد خندقوا حول الحصن وجعلوا للخندق أبوابا .

قال ابن وهب فى حديثه عن عبد الرحمن بن شريح : فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن . فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ، و يفتحوا له الحصن ، ففعل ذلك ، ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه دينارا وجُبّه و بُرْنُسا ، عمامة وخفّين . وسألوه أن يأذن لهم أن يهيئوا له ولأصحابه صنيعا ، ففعل .

---

(١) حسك الحديد هو أدوات الحرب وآلات العسكر .

(٢) يشير ابن عبد الحكم بهذه الرواية إلى ما حصل بين الجيش العربى وقوات الروم عند ما أحس قائدهم تيودور من نفسه القوة أن يناجزوا العرب وأن يسيروا إليهم بجيوشهم نحو هليوبولس ، عين شمس ، وكانت على مسافة ستة أميال من عسكر العرب ، وعلم عمرو بما يريده الروم ، فأرسل تحت جنح الليل كتيبتين ، إحداهما إلى أم دنين ، والأخرى إلى موضع فى ثنية الجبل بالقرب من القلعة الحالية ، وخرج عمرو بأكثر الجم من العرب للقاء الروم وقد طلب من جند الكتيبتين أن يكمنوا فإذا سنحت لهم الفرصة هبطوا على جانب جيش الروم ومؤخرته ، وخرج الروم من بين البساتين والأديرة التى كانت فى الشمال الشرقى من الحصن ، ولم يكن لهم علم بمكيدة عمرو ، وحدث اللقاء بين الجيشين فى مكان وسط بين معسكريهما ولعله مكان العباسية الآن — ولما حمى القتال أقبلت الكتيبة العربية من جهة الجبل تجتاح مؤخرة الروم ، فاتجه الروم منهزمين نحو أم دنين ، فلقيهم الكمين الآخر بها ، ففر الروم يطلبون النجاة ولكن سيوف المسلمين حصدتهم ، فلم ينج منهم غير ثلاثمائة جندى ، نزلوا إلى السفن وعادوا إلى الحصن .

فحدثنى أبى عبد الله بن عبد الحكم أن عمرو بن العاص أمر أصحابه فتهيأوا ولبسوا البرود ، ثم أقبلوا .

قال ابن وهب فى حديثه : فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو ، كم أنفقتم ؟

قالوا : عشرين ألف دينار .

قال عمرو : لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم ، أدوا إلينا عشرين ألف دينار .

فجاءه النفر من القبط فاستأذنوه إلى قُراهم وأهليهم ، فقال لهم عمرو : كيف رأيتم أمرنا ؟

قالوا : لم نر إلا حسنا .

فقال الرجل الذى قال فى المرة الأولى ما قال لهم : إنكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تَقْتلوا خيركم رجلا .

فغضب عمرو ، وأمر به ، فطلب إليه أصحابُه ، وأخبروه أنه لا يدرى مايقول ، حتى خلّصوه .

فلما بلغ عمراً قتل عمر بن الخطاب أرسل فى طلب ذلك القبطىّ ، فوجده قد هلك ، فعجب عمرو من قوله .

قال غير ابن وهب قال: عمرو بن العاص: فلما طُعِن عمر بن الخطاب قلت : هو ما قال القبطىّ ؛ فلما حُدِّثت أنه إنما قتله أبو لؤلؤة ، رجل نصرانى قلت : لم يَعْنِ هذا ، إنما عنى من قتله المسلمون ؛ فلما قتل عثمان عرفت أن ما قال الرجل حقّ .

قال أبى فى حديثه ، فلما فرغوا من صنيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام ،

فصُنِع له ، وأمرهم أن يحضروا لذلك ، فصنع لهم الثّريد والعُراق[1] ، وأمر أصحابه بلباس الأكسية واشتمال الصّماء[2] والقعود على الرُكب .

فلما حضرت الروم وضعوا كراسىّ الديباج ، فجلسوا وجلست العرب إلى جوانبهم ، فجعل الرجل من العرب يلتقم اللُقْمة العظيمة من الثريد ، ويَنْهش من ذلك اللحم ، فيتطاير على مَن جنبه من الروم ، فبشعت الروم بذلك ، وقالوا : أين أولئك الذين كانوا أتونا قبل ؟ فقيل لهم : أولئك أصحاب المشورة ، وهؤلاء أصحاب الحرب .

وقد سمعت فى فتح القصر وجهاً غير هذا .

حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبى جعفر وعياش



حصن بابليون من الخارج

(١) الثريد مايهشم من الخبز ويبلّ ، والعُراق : جمع عَرْق ، وهو القدرة من اللحم ؛ وقيل إن العرق هو العظم بلحمه ، فإذا أكل لحمه فعُـراق ، وقيل كلاهما لـكليهما .

(٢) اشتمال الصماء أن يتجلّل الرجل بثوبه ولا يرفع منه جانباً ، وإنما قيل لها الصماء لأنه إذا اشتمل بها سد على يديه ورجليه المنافذ ، فيكون الثوب كالصخرة الصماء .

ابن عباس وغيرهما ، يزيد بعضهم على بعض ، أن عمرو بن العاص حصرهم بالقصر الذى يقال بابليون حينا ، وقاتلهم قتالا شديداً ، يصبّحهم ويمسيهم .

فلما أبطأ الفتح عليه كتب إلى عمر بن الخطاب يستمدّه ويعلمه ذلك ، فأمده عمر بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل ، وكتب إليه عمر بن الخطاب :



حصن بابليون من الداخل

إنى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف منهم رجل مقام الألف ، الزُّبَيْر بن العَوَّام ، والمِقْداد بن عمرو ، وعُبادَة بن الصامت ، ومَسْلَمَة بن مُخَلَّد — وقال آخرون بل خارِجَةُ بن حُذافَة الرابع ، لا يعدّون مَسْلمة — وقال عمر بن الخطاب : إن معك اثنى عشر ألفاً ، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلّة .

قال عثمان ، قال ابن وهب ، فحدثنى الليث بن سعد قال : بلغنى عن كسرى

أنه كان له رجال، إذا بعث أحدهم فى جيش وضع من عدة الجيش الذى كان معه ألفاً مكانه لإجزاء ذلك الرجل فى الحرب ، وإذا احتاج إلى أحدهم ، فكان فى جيش ، فحبسه لحاجته إليه زادهم الف رجل .

قال الليث : فأنزلت الذى صنع عمر بن الخطاب فى بعثته بالزبير والمقداد ومن بعث معهما نحو ما كان يصنع كسرى .

حدثنا أبو الأسود النَضْر بن عبد الجَبّار ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال : كان عمر بن الخطاب قد أشفق على عمرو ، فأرسل الزبير فى إثره فى اثنى عشر ألفاً ، فشهد معه الفتح .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر بن الخطاب بعث الزبير بن العوام فى اثنى عشر ألفا .

وقال غير عثمان : فكانوا قد خندقوا حول حصنهم ، وجعلوا للخندق أبوابا ، وجعلوا حسك الحديد مُوَتَّدَة بأفنية الأبواب ، وكان عمرو قد قدم الشام فى عدة قليلة ، فكان يفرّق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر ممّا هم .

فلما انتهى إلى الخندق نادوه ، أن قد رأينا ما صنعت ، وإنما معك من أصحابك كذا وكذا ، فلم يخطئوا برجل واحد ؛ فأقام عمرو على ذلك أياما يغدو فى السَحر ، فيصُفّ أصحابه على أفواه الخندق ، عليهم السلاح ؛ فبينا هو على ذلك إذ جاءه خبر الزبير بن العوام .

ثم قدم الزبير بن العوام فى أثنى عشر ألفا ، فتلقاه عمرو ، ثم أقبلا يسيران ، ثم لم يلبث الزبير أن ركب ، ثم طاف بالخندق ، ثم فرق الرجال حول الخندق .

ثم رجع إلى حديث عثمان عن ابن لهيعة قال ، فلما قدم المدد على عمرو بن العاص ألح على القصر ، ووضع عليه المَنْجَنيق ، وقال عمرو يومئذ :

يَوْمٌ لِهَمْدَانَ وَيَوْمٌ لِلصَّدَفْ وَالمَنْجَنِيقُ فى بَلِىٍّ تَخْتَلِفْ
وَعَمْرُو يُرْقِلُ إِرْقَالَ الشَّيْخِ الْخَرِفْ[1]

وكان عمرو إنما يقف تحت راية بلىّ فيما يزعمون .

وقد كان عمرو بن العاص كما أخبرنى شيخ من أهل مصر قد دخل إلى صاحب الحصن ، فتناظرا فى شىء مما هم فيه ، فقال عمرو : أَخْرُجُ أستشير أصحابى .

وقد كان صاحب الحصن أوصى الذى على الباب إذا مَرَّ به عمرو أن يُلقى عليه صخرة ، فيقتله .

فمرّ عمرو ، وهو يريد الخروج ، برجل من العرب ، فقال له : قد دخلت فانظر كيف تخرج .

فرجع عمرو إلى صاحب الحصن ، فقال له : إني أريد أن آتيك بنفر من أصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعتُ .

فقال العِلْج[2] فى نفسه : قتل جماعة أحبُّ إلىّ من قتل واحد .

وأرسل إلى الذى كان أمره بما أمره من قتل عمرو ، ألاَّ تَعْرِض له رجاء أن يأتيه بأصحابه ، فيقتلهم ، وخرج عمرو .

هذا أو معناه .

حدثنا عيسى بن حُمّاد قال : لما حصر المسلمون الحصن كان عبادة بن الصامت فى ناحية يصلى وفرسه عنده ، فرآه قوم من الروم ، فخرجوا إليه ، وعليه حِلْيَةٌ وبِزَّة .

فلما دنوا منه سلّمَ من صلاته ، ووثب على فرسه ، ثم حمل عليهم ، فلما رأوه غير مكذِّب عنهم ولّوا راجعين ، وتبعهم ، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم ، ولا يلتفت إليهم حتى دخلوا الحصن ؛ ورُمى عبادة من فوق

(١) الإرقال : الإسراع فى السير .
(٢) العلج : الرجل الشديد الغليظ ، أو هو الرجل من كفار العجم .

الحصن بالحجارة فرجع ، ولم يَعْرِض لشيء مما كانوا طرحوا من متاعهم حتى رجع إلى موضعه الذى كان به ، فاستقبل الصلاة ؛ وخرج الروم إلى متاعهم يجمعونه .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا المُفَضَّل بن فَضالة أخبرنا عياش بن عباس القِتْبانى عن شُيَيْم بن بَيْتَان عن شيبان بن أمية ، عن رُوَيْفِع ابن ثابت قال . كان أحدنا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ نِضْوَ(١) أخيه على أن يعطيه النصف مما يغنم، وله النصف ، حتى إن أحدنا ليطير له النَصْل(٢) والريش(٣) وللآخر القِدْح(٤) ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من استنجى برَجيع دابته أو بعَظْم فإن محمداً منه برىء .

قال عياش بن عباس، وأخبرنى شُيَيْم بن بَيْتَان عن أبى سالم الجَيْشَانِىّ، أنه سمع عبد الله بن عمرو وهو مرابط حصن بابليون يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث .

قال عثمان فى حديثه . فلما أبطأ الفتح على عمرو بن العاص قال الزبير : إنى أهب نفسى لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سُلّما إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحَمّام ، ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيرة أن يجيبوه جميعا .

قال غير عثمان : فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف ، وتحامل الناس على السُلّم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان قال : فلما اقتحم الزبير ، وتبعه من تبعه ، وكبّر وكبّر من معه ، وأجابهم المسلمون من خارج لم يشك أهل الحصن أن العرب

(١) النضو : الدابة التى هزلتها الأسفار .

(٢) نصل السيف حديده مالم يكن له مقبض، فإن كان له مقبض فهو السيف، وقيل إنه النصل هو السهم العريض يكون قريباً من فتر .

(٣) راش السهم ريشاً ركّب عليه الريش ليساعد فى دفعه .

(٤) القدح هو السهم الذى يرمى به من القوس .

قد أقتحموا جميعا ، فهربوا ، فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ، ففتحوه ، واقتحم المسلمون الحصن .

فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه ، فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ، ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين عن كل رجل منهم ، فأجابه عمرو إلى ذلك .

حدثنا سعيد بن عُفَير قال : وصعد مع ابن الزبير الحصن محمد بن مسلمة ، ومالك بن أبي سلسلة السلاميّ ، ورجال من بني حَرام ؛ وأن شَرْحبيل بن حُجَيّة المُرادِيّ نصب سُلّماً آخر من ناحية الزَّمامِرة اليوم ، فصعد عليه ، فكان بين الزبير وبين شرحبيل شيء على باب أو مدخل ، فكأن شرحبيل نال من الزبير بعض ما كره ؛ فبلغ ذلك عمرو بن العاص ، فقال له : اسْتَقِدْ منه إن شئت .

فقال الزبير : أمِنْ نَغَفَةٍ[١] من نَغَفِ اليمن استقيد يا ابن النابغة ! ؟

وكانت صفة الزبير بن العوّام ، كما حدثنا هشام بن اسحاق فيما يزعمون ، أبيض ، حسن القامة ، ليس بالطويل ، قليل شعر اللحية ، أَهْلَب[٢] ، كثير شعر الجسد .

وكان مكثهم كما حدثنا عثمان بن صالح عن عبد الله بن وهب عن الليث على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر ؛ وقد سمعت في فتح القصر وجهاً مخالفا للحديثين جميعاً ، والله أعلم .

حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا خالد بن نَجيح عن يحيى بن أيوب وخالد ابن حُمَيد قالا : حدثنا خالد بن يزيد عن جماعة من التابعين ، بعضهم يزيد على بعض ، أن المسلمين لما حاصروا بابليون ، وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤساؤهم وعليهم المقوقس[٣] ، فقاتلوهم بها شهراً .

---

(١) النغف : دود يسقط من أنوف الغنم والإبل ، والعرب تقول لكل ذليل وحقير ما هو إلا نغفة .

(٢) الأهلب : كثير شعر الرأس والجسد .

(٣) في هامش نسخة ا : يقال إن المقوقس اسمه جريج بن مينا بن قرقب ، وهو عامل هرقل على مصر ، وكان مقامه بالاسكندرية .

فلما رأى القوم الجدّ منهم على فتحه ، والحرص ، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم ، فتنحّى المقوقس وجماعة من أكابر القبط ، وخرجوا من باب القصر القِبْلِيّ ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة[1] موضع الصناعة اليوم ، وأمروا بقطع الجسر ، وذلك في جرى النيل .[2]

وزعم بعض مشائخ أهل مصر أن الأُعَيْرِج[3] كان تخلّف في الحصن بعد المقوقس ، فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف ، وكانت سفنهم مُلاصقة بالحصن ، ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة .

ثم رجع الى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حُميد قال : فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص ، أنتم قوم قد ولجتم في بلادنا وأَلْححتم على قتالنا ، وطال مقامكم في أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة وقد أظلّتكم الروم ، وجهزوا إليكم ، ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم اسارى في أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم ، فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا و بينكم على ما تحبّون ونحبّ ، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبتكم ورجائكم ، فابعث إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى به نحن وهم من شيء .

---

(١) هي جزيرة الروضة .

(٢) لقد أدى صبر العرب وشدة بأسهم في القتال الى خور في هزيمة من بالحصن واختلاف في ربهم ، فجمع المقوقس (قيرس) من وثق بهم من الحرس ، ودعا معهم الأسقف الملكانى ، واستشارهم سراً في الأمر ، وبسط لهم رايه ، وكان ذلك في أوائل شهر أكتوبر سنة ٦٤٠ ، أن يبعدوا العرب عن البلاد بمال يبذلونه لهم ، واستقر رأى المجتمعين على أن يذهب قيرس وأصحابه تحت ستار الليل الى جزيرة الروضة ، وتم الأمر في كتمان ، ففتح الباب الحديدى المفضى الى النيل ، واستقل الخارجون السفن من هناك ، ونزلوا في الموضع الذى أنشئت فيه دار الصناعة فيما بعد بجزيرة الروضة .

(٣) في هامش نسخة ا : الأعيرج يقال له المندفور القبطى ، كان يدير مصر من قبل المقوقس ، وهو جورج قائد حرس الحصن ، وقد بقي في الحصن حتى يقضى على ما يشاع من خروج قيرس .

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم منذ يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أنهم يقتلون الرسل ، ويحبسونهم ، ويستحلون ذلك فى دينهم ؟

وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين .

فرد عليهم عمرو مع رسله ، أنه ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال ، إما أن دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا ، وكان لكم ما لنا ، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال لهم : كيف رأيتموهم ؟

قالوا : رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليه من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على رُكَبهم وأميرهم كواحد منهم ، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويتخشّعون فى صلاتهم .

فقال عند ذلك المقوقس : والذى يُحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم .

فرد إليهم المقوقس رسله ، وأن ابعثوا إلينا رسلا منكم ، نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر ، أحدهم عبادة بن الصامت .

حدثنا سعيد بن عُفير قال : أدرك الإسلام من العرب عشرة نفر ، طول كل رجل منهم عشرة أشبار ، عبادة بن الصامت أحدهم .

ثم رجع إلى حديث عثمان قال : وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم ، وألا يجيبهم إلى شيء دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلاث خصال ، فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلى فى ذلك ، وأمرنى ألا أقبل شيئا سوى خصلة من هذه الثلاث خصال

وكان عبادة بن الصامت أسود .

فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة ، فهابه المقوقس لسواده ، فقال :

نَحُّو عنى هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمنى .

فقالوا جميعا : إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما ، وهو سيدنا وخيرنا والمُقَدَّم علينا ، وإنما نرجع جميعا إلى قوله ورأيه . وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به ، وأمرنا بألا نخالف رأيه وقوله .

قال : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ؟ وإنما ينبغى أن يكون هو دونكم .

قالوا : كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعا ، وأفضلنا سابقة وعقلا ورأيا ، وليس يُنْكَر السواد فينا .

فقال المقوقس لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلمنى برفق ، فإنى أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك على ازددت لذلك هيبة .

فتقدم إليه عبادة ، فقال :

« قد سمعت مقالتك ، وإن فيمن خلّفتُ من أصحابى ألف رجل أسود ، كلهم أشد سوادا منى وأفظع منظرا ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى ،

وأنا قد ولّيت وأدبر شبابى ، وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعا ، وكذلك أصحابى ؛ وذلك أنا إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوّنا ممن حارب الله لرغبة دنيا ولا طلبا للاستكثار منها ، إلا أن الله قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالى أحدنا ، أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته لليله ونهاره ، وشملة يلتحفها ، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله ، واقتصر على هذا الذى بيده ، ويبلغه ما كان فى الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة ، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضاء ربه وجهاد عدوه .

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هِبْت منظره ، وإن قوله لأهيب عندى من منظره ، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ، ما أظن مُلْكهم إلا سيغلب على الأرض كلها .

ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت ، فقال : أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمرى ما بلغتم إلا بما ذكرتَ ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ، ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ، ما يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا ، وأنتم فى ضيق وشدّة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرقّ عليكم لضعفكم وقلتكم ، وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل

منكم دينارين ، ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم مالا قوام لكم به .

فقال عبادة بن الصامت : يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك ، أمّا ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، و إنا لا نقوى عليهم ، فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ، ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه ؛ إن كان ما قلتم حقاً ، فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم ، وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذرُ لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه ، إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه وجنّته ، وما من شىء أقر لأعيننا ، ولا أحب إلينا من ذلك ، و إنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحُسْنَيَين ، إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منّا ، والله عز وجل قال لنا فى كتابه «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، واللهُ مَعَ الصَّابِرِين(١)» وما منّا إلا وبدعو ربه صباحاً ومساء أن يرزقه الشهادة، وألا يردّه إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منّا همٌّ فيما خلّفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، و إنما همُّنا ما أمامنا .

وأما قولك أنّا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن فى أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه ، فانظر الذى تريد ، فبيّنه لنا ، فليس بيننا و بينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيّها شئت، ولا تُطْمِع نفسك فى الباطل ، بذلك أمرنى الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلُ إلينا ، إما أجبتم إلى الاسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره ، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته ، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن

---

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة .

فعل كان له مالنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا في دين الله ، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم ، فإن أبيتم إلا الجزية فأدّوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم ، وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم إذا كنتم في ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا ، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم ، هذا ديننا الذي ندين الله به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم .

فقال له المقوقس : هذا مالا يكون أبداً ، ما تريدون إلا أن تتخذونا نكون لكم عبيداً ما كانت الدنيا .

فقال له عبادة بن الصامت : هو ذاك فاختر ما شئت .

فقال له المقوقس : أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال ؟

فرفع عبادة يديه فقال : لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ، ورب كل شيء ، ما لكم عندنا خصلة غيرها ، فاختاروا لأنفسكم .

فالتفت المقوقس عند ذلك لأصحابه فقال : قد فرغ القوم ، فما ترون ؟

فقالوا : أوَ يَرْضَى أحدٌ بهذا الذلّ ، أمّا ما أرادوا من دخولنا في دينهم ، فهذا مالا يكون أبدا ، أن نترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين غيره ، لا نعرفه ، وأما ما أرادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك ، لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا .

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم ، فما ترى ؟ فراجع صاحبك على أن نعطيكم في مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون .

فقأم عباده وأصحابه .

فقال المقوقس عند ذلك لمن حوله : أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث ، فو الله مالـكم بهم طاقة ، ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنّهم إلى ما هو أعظم كارهين .

فقالوا : وأى خصلة نجيبهم إليها ؟

قال : إذاً أخبركم ، أما دخولـكم فى غير دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم أنـكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم . ولابد من الثالثة .

قالوا : أفنـكون لهم عبيداً أبدا ؟

قال : نعم ، تكونون عبيدامسلّطين فى بلادكم ، آمنين على أنفسكم وأموالـكم وذراريكم خير لـكم من أن تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعُوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين أبداً ، أنتم وأهلوكم وذراريكم .

قالوا : فالموت أهون علينا .

وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط ؛ وبالجزيرة وبالقصر من جمع القبط والروم جمع كثير ، فألحّ عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال على من فى القصر حتى ظفروا بهم وأمـكن الله منهم ، فقتل منهم خلق كثير ، وأُسر من أُسر ، وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة ، وصار المسلمون قد أحدق بهم الماء من كل وجه ، لا يقدرون على أن ينفذوا نحو الصعيد ولا إلى غير ذلك من المدائن والقرى ، والمقوقس يقول لأصحابه ألَمْ أعلمـكم هذا وأخافه عليـكم ؟ ما تنتظرون ؟ فو الله لتجيبُنّهم إلى ما أرادوا طوعا أو لتجيبنّهم إلى ما هو أعظم منه كرهـا ، فأطيعونى من قبل أن تندموا .

فلما رأو منهم ما رأوا ، وقال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجزية ، ورضوا بذلك على صُلح يكون بينهم يعرفونه ، وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص :

إنى لم أزل حريصا على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التى أرسلت إلىّ بها ، فأبى ذلك علىّ من خضرنى من الروم والقبط ؛ فلم يكن لى أن أفتات عليهم فى أموالهم ، وقد عرفوا نصحى لهم وحبىّ صلاحهم ، ورجعوا إلىّ قولى ، فأعطنى أمانا اجتمعْ أنا وأنت فى نفر من أصحابى وأنت فى نفر من أصحابك ، فإن استقام الأمر بيننا تم ذلك لنا جميعا ، و إن لم يتم رجعنا إلى ما كنا عليه .

فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك ، فقالوا : لا نجيبهم إلى شىء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا ، وتصير الأرض كلها لنا فيئاً وغنيمة ، كما صار لنا القصر وما فيه .

فقال عمرو : قد علمتم ما عهد إلىّ أمير المؤمنين فى عهده ، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد إلىّ فيها أجبتم إليها ، وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا و بين ما نريد من قتالهم ،

فاجتمعوا على عهد بينهم ، واصطلحوا على ان يُفرَض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس ، شريفهم ووضيعهم ، من بلغ الحُلم منهم ، ليس على الشيخ الفانى ، ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ، ولا النساء شىء . وعلى أن للمسلمين عليهم النُزُل لجماعتهم حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيفٌ واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يُعرْض لهم فى شىء منها .

فشرط هذا كله على القبط خاصة ، وحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليه الديناران ، رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة ، فكان جميع من أحصِىَ يومئذ بمصر ، أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمى قال : لما فتح عمرو بن العاص مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحكم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبى ، فأحصوا بذلك على دينارين ، فبلغت عدتهم ثمانية ألف ألف .

قال : وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن المقوقس صالح عمرو بن العاص على أن يفرض على القبط دينارين على كل رجل منهم .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : وشرط المقوقس للروم أن يخيّروا ، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازما له مفترضاً عليه ممن أقام بالاسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى المقوقس الخيار فى أن الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل[1] ، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم ؛ وإلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه .

وكتبوا به كتابا .

وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتابا يعلمه على وجه الأمر كله ، فكتب إليه ملك الروم يقبّح رأيه ويعجّزه ويرد عليه فعله ، ويقول فى كتابه :

« إنما أتاك من العرب إثنا عشر ألفا وبمصر من بها من كثرة عدد القبط مالا يحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب ، واختاروهم علينا فإن عندك بمصر من الروم بالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف ، معهم العدة والقوة ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت ، فعجزت عن

(١) أخذ قيرس على نفسه أن يبعث بشروط الصلح الى هرقل ، واتفق الروم والعرب على أن تبقى الجيوش حيث هى الى أن يأتى رد هرقل .

قتالهم ، ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم فى حال القبط أذلاء ، ألا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم ؟ فإنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة ، فناهضهم القتال ، ولا يكون لك رأى غير ذلك .

وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم .

فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك الروم : والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا ، إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا ، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، يقاتل الرجل منهم وهو مُستَقتِل يتمنى ألا يرجع إلى أهله ولا بلده ، ويرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منا ؛ ويقولون إنهم إن قُتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة فى الدنيا ولا لذة إلا قدر بُلغة العيش من الطعام واللباس ، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها ، فكيف نستقيم نحن وهؤلاء ؟ وكيف صبرنا معهم ؟ واعلموا معشر الروم ، والله إنى لا أخرج مما دخلت فيه ولا مما صالحت العرب عليه ، وإنى لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى رأيى وقولى ، وتتمنون أن لو كنتم أطعتمونى ، وذلك أنى قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ، ولم يره ، ولم يعرفه ؛ ويحكم ، أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة ؟ .

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له : إن الملك قد كره ما فعلت وعجزنى ، وكتب إلىّ وإلى جماعة الروم ألا نرضى بمصالحتك ، وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه ، وإنما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا متمّ لك على نفسى ، والقبط مُتِمون لك الصلح الذى صالحتهم عليه ، وعاهدتهم ؛ وأما الروم فأنا منهم برىء ، وأنا أطلب إليك أن تعطينى ثلاث خصال .

قال له عمرو : ماهنّ ؟

قال : لا تنقض بالقبط ، وأدخلنى معهم ، وألزمنى ما لزمهم ، وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاهدتك عليه ، فهم متمّون لك على ماتحب ؛ وأما الثانية إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئاً وعبيداً ، فإنهم أهل ذلك ، لأنى نصحتهم ، فاستغشونى ، ونظرت لهم ، فاتهمونى ؛ وأما الثالثة أطلب إليك أن أنامتّ أن تأمرهم يدفنونى فى أبى يُحَنَّس بالإسكندرية .

فأنعم له عمرو بن العاص بذلك ، وأجابه إلى ما طلب على أن يضمنوا له الجسْرَين جميعاً ، ويقيموا له الإنزال والضيافة والأسواق والجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية ، ففعلوا .

وقال غير عثمان : وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء فى الحديث .

ويقال : إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم وهو مُحاصر الإسكندرية .

حدثنا يحيى بن خالد العدوىّ عن الليث بن سعد أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية حاصراً أهلها ثلاثة أشهر ، وألحّ عليهم ، وخافوه ، وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأى الملك .

قال : فحدثنا عبد الله بن صالح،حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن المقوقس الرومىّ الذى كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من الروم من أراد المسير،ويقر من أراد الإقامة من الروم على أمر قدسمّاه،فبلغ ذلك هرقل ملك الروم،فتسخّطه أشد التسخط،وأنكره أشد الإنكار،وبعث الجيوش، فأغلقوا الإسكندرية وآذنوا عمرو بن العاص بالحرب،فخرج إليه المقوقس فقال:أسألك ثلاثة ، قال،ما هن ؟ قال لا تبذل للروم مابذلت لى،فإنى قد نصحت لهم،فاستغشوا

نصحى . ولا ننقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قِبَلَهم ، وأن تأمر بى إذا متّ فادفنّى فى أبى يُحَنّس[١] .

فقال عمرو : هذه أهونهنّ علينا .

ثم رجع إلى حديث عثمان، قال، فخرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم الخروج ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطُرق ، وأقاموا لهم الجسور والأسواق ، وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم ، وسمعت بذلك الروم ، فاستعدت ، واستجاشت ، وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم ، فيها جمع من الروم عظيم بالعدّة والسلاح .

فخرج إليهم عمرو بن العاص من الفسطاط متوجها إلى الإسكندرية، فلم يلق منهم أحدا حتى ترْنُوط[٢] ، فلقى بها طائفة من الروم ، فقاتلوه قتالا خفيفا ، فهزمهم الله .

ومضى عمرو بمن معه حتى لقى جميع الروم كَوْم شَريك[٣] ، فاقتتلوا به ثلاثة أيام ، ثم فتح الله المسلمين وولىّ الرومُ أكتافهم .

---

(١) كنيسة بالاسكندرية .

(٢) ترنوط أو طرنوط أو الطرانة كما يسميها العرب ، مدينة قديمة ، وقد كان عندها معبر يعبر النيل عليه فى الذهاب إلى الاسكندرية ، ومنها يبدأ الطريق المؤدية إلى أديرة القبط فى صحراء ليبيا ، وقد وقف الروم عندها يقاتلون العرب ، وقد هزمهم عمرو ، واستأنف سيره إلى مدينة نقيوس فاستولى عليها بعد هزيمة الروم بقيادة دومنتيانوس .

وترنوط الحالية قرية على النيل بمركز التجيلة المسمى الآن مركز كوم حمادة من أعمال محافظة البحيرة ، وكان بها معاصر للسكر وبساتين كثيرة تتزود منها الاسكندرية بالفاكهة .

والظاهر أن عمرو بن العاص ابتدأ سيره على الضفة الغربية للنيل من ناحية الصحراء ، ففيها مجال أوسع لخيله ، لا يعوقها فيه ما يعترض أرض الدلتا من الترع الكثيرة .

(٣) كان هذا بعد أن عبر عمرو بجيشه النيل إلى الغرب ، وكان عمرو قد أرسل أحد رجاله، وهو شريك بن سمى ليتتبع العدو المنهزم ، فلحقت طائفة المسلمين بالروم عند موضع على ستة عشر ميلا إلى الشمال من ترنوط ، واستطاع الروم أن يردوا العرب ، فأنفذ شريك رسولا إلى عمرو يطلب المدد ، ولما بلغ العدو مجىء الأمداد فر هاربا ، وقد سمى هذا الموضع الذى وقع فيه القتال باسم القائد العربى ، وهو معروف إلى اليوم باسم كوم شريك ، قرية من قرى كوم حمادة .

ويقال : بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سُمَىّ فى آثارهم ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب فأدركهم عند الكوم الذى يقال له كوم شريك ، فقاتلهم شريك ، فهزمهم .

قال غير عبد الملك بن مسلمة ، فلقيهم شريك بكوم شريك ، وكان على مقدمة عمرو بن العاص ، بَترْنُوط ، فألجأوه إلى الكوم، فاعتصم به ، وأحاطت الروم به .

فلما رأى ذلك شريك بن سُمَىّ أمر أبا نَاعِمة ، مالك بن ناعمة الصَدَفى[1] . وهو صاحب الفرس الأشقر الذى يقال له أشْقَر صدف ، وكان لايجارى سرعة ، فانحط عليهم من الكوم ، وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمراً ، فأخبره ، فأقبل عمرو متوجها نحوه وسمعت به الروم ، فانصرفت .

وبالفرس الأشقر سميت خَوْخة الأشقر التى بمصر ، وذلك أن الفرس نفق ، فدفنه صاحبه هنالك ، فسمى المكان به .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حُميد قال : ثم ألتقوا بسُلْطِيس[2] ، فاقتتلوا بها قتالا شديدا ، ثم هزمهم الله ، ثم ألتقوا بالكِرْيَوْن[3]

---

(١) فى نسخة ب زيادة على الهامش ، أن يذهب إلى عمرو فيخبره .

(٢) سلطيس ، كذا فى الأصل ، وصواب الاسم سنطيس ، قرية كبيرة فى نحو منتصف المسافة بين كوم شريك وكريون ، على ستة أميال فى جنوب دمنهور، وكانت الوقعة عندها وقعة شديدة انهزم فيها الروم ، وتدافعوا نحو الشمال إلى الطريق المؤدية إلى الاسكندرية .

(٣) الكريون مدينة قديمة ، زارها ابن حوقل ، وذكر عنها فى كتابه ، أنها كانت فى أيامه مدينة عظيمة جميلة على ضفتى ترعة الاسكندرية ، وكان التجار يركبون منها القوارب إلى الفسطاط فى وقت الصيف إذا علا النيل ، وكان فى المدينة حاكم تحت إمرته مسلحة من الفرسان والمشاة ، وكانت مدينة الكريون آخر حصن من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين حصن بابليون والاسكندرية ، وكان لها شأن عظيم فى تجارة القمح ، وخطر كبير فى الحرب ، إذ كانت تشرف على الترعة التى تعتمد عليها الاسكندرية فى طعامها وشرابها ، ولكن حصونها لم تكن فى المنعة على مثل ما كان عليه حصن بابليون أو حصن نقيوس .

فاقتتلوا بها بضْعة عشر يوما . وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة ، وحامل اللواء يومئذ وَرْدانُ مولى عمرو .

فحدثنا طلق بن السمح ويحيى بن عبد الله بن بكير قالا : حدثنا ضمام ابن إسماعيل المعافرى ، حدثنا أبو قبيل عن عبد الله بن عمرو ، أنه لقى العدو بالكريون ، وكان على المقدمة ، وحامل اللواء وردان مولى عمرو ، فأصابت عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة ، فقال : ياوردان ، لو تقهقرت قليلا نصيب الرَّوْح ؛ فقال وردان : الرَّوْحَ تريد ؟ الروحُ أمامك وليس هو خلفك .

فتقدم عبد الله ، فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه ، فقال عبد الله :

أَقُولُ إِذَا ما جَاشَتِ النَّفْسُ اصْبِرِى   فعَمَّا قَلِيلٍ تُحْمَدِى أَوْ تُلاَمِى(1)

فرجع الرسول إلى عمرو ، وأخبره بما قال ، فقال عمرو : هو ابنى حقاً .

حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو ابن العاص صلى يومئذ صلاه الخوْف(2).

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم والنضر بن عبد الجبار قالا : حدثنا ابن لهيعة عن بكر بن سوادة، أن شيخا حدثهم أنه صلى صلاة الخوف بالاسكندرية مع عمرو بن العاص بكل طائفة ركعة وسجدتين .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : ثم فتح الله المسلمين ، وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة ، واتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية، فتحصن بها الروم ، وكانت عليهم حصون مبنية لا ترام ، حصن دون حصن ،

---

(1) ويروى البيت :

أقول لها إذا جشأت وجاشت   رويدك تحمدى أو تستريحى

وقائله عمرو بن الإطنابة (خطط المقريزى) .

(2) فى نسخة د زيادة : قال ، وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف بكل طائفة ، ركعة وسجدتين .

فنزل المسلمون ما بين حلوة إلى قصر فارس[1] إلى ما وراء ذلك ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة .

قال : فحدثنا هانىء بن المتوكل ، حدثنا ابن لهيعة عن بكر بن عمرو الخولانى ، أن عبد العزيز بن مروان حين قدم الاسكندرية سأل عن فتحها ، فقيل له : لم يبق ممن أدرك فتحها إلا شيخ كبير من الروم ، فأمرهم ، فأتوه به ، فسأله عما حضر من فتح الاسكندرية .

فقال : كنت غلاما شابا ، وكان لى صاحب ابن بطريق من بطارقة الروم ، فأتانى ، فقال ، ألا تذهب بنا حتى تنظر إلى هؤلاء العرب الذين يقاتلوننا ؟ فلبس ثياب ديباج ، وعصابة ذهب ، وسيفا محلى ، وركب برذونا سمينا كثير اللحم ، وركبت أنا برذونا خفيفا ، فخرجنا من الحصون كلها حتى برزنا على شرف ، فرأينا قوما فى خيام ، لهم عند كل خيمة فرس مربوط ورمح مركوز ، ورأينا قوما ضعفاء ، فعجبنا من ضعفهم ، وقلنا كيف بلغ هؤلاء القوم ما بلغوا ؟

فبينا نحن وقوف ننظر إليهم ونعجب إذ خرج رجل منهم من بعض تلك الخيام ، فنظر ، فلما رآنا حل فرسه ، فمعكه[2] ، ثم مسحه ، ووثب على ظهره وهو عرى ، وأخذ الرمح بيده ، وأقبل نحونا ، فقلت لصاحبى ، هذا والله يريدنا .

فلما رأيناه مقبلا إلينا لا يريد غيرنا أدبرنا مولين نحو الحصن ، وأخذ فى طلبنا ، فلحق صاحبى لأن برذونه كان ثقيلا كثير اللحم ، فطعنه برمحه ، فصرعه ، ثم خضخض الرمح فى جوفه حتى قتله .

ثم أقبل فى طلبى ، وبادرت ، وكان برذونى خفيف اللحم ، فنجوت منه حتى دخلت الحصن ؛ فلما دخلت الحصن أمنت ، فصعدت على سور الحصن

---

(١) قصر فارس قلعة كانت فى شرق الإسكندرية ، وقد بناها الفرس عند حصارهم لها .
(٢) معكه أى دلكه دلكا شديدا .

أنظر إليه ، فإذا هو لما أيس منى رجع ، فلم يبال بصاحبى الذى قتله ، ولم يرغب فى سَلبه ، ولم ينزعه عنه ، وقد كان سلَبه ثياب الديباج وعصابة من ذهب ولم يطلب دابّته ، ولم يلتفت إلى شىء من ذلك ، وانصرف من طريق أخرى ، وأنا أنظر إليه . وأسمعه يتكلم بكلام . ويرفع به صوته . فظننت أنه إنما يقرأ بقرآن العرب ، فعرفت عند ذلك أنهم إنما قووا على ما قووا عليه . وظهروا على البلاد لأنهم لا يطلبون الدنيا ولا يرغبون فى شىء منها . حتى بلغ خيمته ، فنزل عن فرسه . فربطه . وركز رمحه . ودخل خيمته . ولم يعلم بذلك أحداً من أصحابه.

فقال عبد العزيز : صف لى ذلك الرجل وهيئته وحالته .

فقال نعم . هو قليل دميم . ليس بالتامّ من الرجال فى قامته ، ولا فى لحمه رقيق آدم كوسج[1] .

فقال : عبد العزيز عند ذلك : إنه ليصف صفة رجل يمانىّ .

قال : وحدثنا هانىء بن المتوكل حدثنا محمد بن يحيى الاسكندرانى قال : نزل عمرو بن العاص بحلوة ، فأقام بها شهرين ، ثم تحول إلى المقس[2] فأخرجت عليه الخيل من ناحية البحيرة مستترة بالحصن ، فواقعوه ، فقتل من المسلمين المسلمين يومئـــذ بكنيسة الذهب اثنى عشر رجلا .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : ورُسُل ملك الروم تختلف إلى الإسكندرية فى المراكب بمادّة الروم ، وكان ملك الروم يقول: لئن ظهرت العرب على الإسكندرية إن ذلك انقطاع مُلك الروم وهلاكهم ،

---

(١) الـكوسج : الرجل لا شعر على عارضيه ، لفظ معرب .

٢٢ حلوة : موضع كان فى الجهة الشرقية من الاسكندرية .

(٢) المَقْس : هى قرية أم دنين على شاطىء النيل تجاه مصر (راجع الخطط المقريزية حل ١٢١ ج ٢) ، وتصور هذه الرواية رغبة عمرو فى القفول الى حصن بابليون ليعلم أهل الدلتا بقربه ويشعرهم شوكته بعد أن عز عليه اقتحام أسوار الإسكندرية ، وقد ترك أمامها جيشاً كافياً للرباط .

لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية ، ولما كان عيد الروم بالاسكندرية حيث غلبت العرب على الشام قال الملك : لئن غلبونا على الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها، فأمر بجهازه ومصلحته لخروجه إلى الإسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه إعظاما لها ، وأمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم ، وقال ما بقاء الروم بعد الإسكندرية .

فلما فرغ من جهازه صرعه الله ، فأماته ، وكفى الله المسلمين مئونته ، وكان موته فى سنة تسع عشرة ، فكسر الله بموته شوكة الروم ، فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه إلى الإسكندرية .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : مات هرقل فى سنه عشرين[1] ، وفيها فتحت قيسارية الشام[2] .

قال : ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : واستأسدت العرب عند ذلك ، وألحت بالقتال على أهل الإسكندرية فقاتلوهم قتالا شديداً .

فحدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب قال : خرج طرف من الروم من باب حصن الإسكندرية ، فحملوا على الناس فقتلوا رجلا من مَهْرة ، فاحتزوا رأسه ، فجعل المهريون يتغضبون ويقولون : لا تدفنه أبداً إلا برأسه ؛ فقال عمرو بن العاص : تتغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالى بغضبكم ، احملوا على القوم إذا خرجوا ، فاقتلوا منهم رجلا ، ثم أرموا برأسه يرموكم برأس صاحبكم ؛ فخرجت الروم إليهم ، فاقتتلوا ، فقتل من الروم رجل من بطارقتهم ، فاحتزوا رأسه ، فرموا إلى الروم ، فرمت الروم ،

---

(١) كان موت هرقل يوم الأحد ١١ من فبراير سنة ٦٤١ م .

(٢) قيسارية الشام : بلد على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين ، وكانت قديما من أمهات المدن .

فخرجت الروم إليهم ، فاقتتلوا ، فقتل من الروم رجل من بطارقتهم ، فاحتزوا رأسه ، فرموا به إلى الروم ، فرمت الروم برأس المهرى إليهم .

فقال : دونكم الآن ، فادفنوا صاحبكم .

وكان عمرو بن العاص كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد يقول ، ثلاث قبائل من مصر ، أما مهرة فقوم يقتلون ولا يُقتلون ، وأما غافق فقوم يقتلون ، وأما بلىّ فأكثرها رجلا صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارساً .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ضمام بن اسماعيل ، حدثنا عياش بن عباس أنه قال : لما حاصر المسلمون الاسكندرية قال لهم صاحب المقدمة ، لا تعجلوا حتى آمركم برأيي ؛ فلما فتح الباب دخل رجلان ، فقتلا ، فبكى صاحب المقدمة ، فقيل له لِمَ بكيت وهما شهيدان ؟. قال ، ليت أنهما شهيدان ، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل الجنة عاص ، وقد أمرت ألا يدخلوا حتى يأتيهم رأيي ، فدخلوا بغير أذنى .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد عن موسى بن على أن رجلا قال لعمرو بن العاص : لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم منه حائطهم ، فقال عمرو . أتستطيع أن تغنى مقامك من الصف ؟

قال الليث : وقيل لعمرو ، إن العدو قد غشّوك ، ونحن نخاف على رائطة ، يريدون امرأته .

قال : إذن[1] تجدون رياطا كثيرة .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال ، حدثنى خالد بن نجيح قال ،

---

(١) فى الأصل إذاً .

أخبرنى الثقة أن عمرو بن العاص قاتل الروم بالاسكندرية يوما من الأيام قتالا شديدا ؛ فلما استحرّ القتال بينهم بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد ، فصرعه الرومى وألقاه عن فرسه ، وهوى إليه ، ليقتله حتى حماه رجل من أصحابه ؛ وكان مسلمة لا يقام لسبيله ، ولـكنها مقادير ، ففرحت بذلك الروم ، وشق ذلك على المسلمين ، وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة [عظيم] اللحم ، ثقيل البدن .

فقال عمرو بن العاص عند ذلك : ما بال الرجل المستَّه الذى يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال و يتشبه بهم ؟

فغضب من ذلك مسلمة ، ولم يراجعه .

ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الإسكندريه ، فقاتلتهم العرب فى الحصن ، ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن إلا أربعة نفر ، بقوا فى الحصن ، وأغلقوا عليهم باب الحصن ، أحدهم عمرو بن العاص ، والآخر مسلمة بن مخلّد ، ولم نحفظ الآخرين ، وحالوا بينهم و بين أصحابهم ، ولا تدرى الروم من هم ؟.

فلما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه التجأوا إلى ديماس من حماماتهم ، فدخلوا فيه ، فاحترزوا به ، فأمروا روميا أن يكلمهم بالعربية ، فقال لهم : إنكم قد صرتم بأيدينا أسارى ، فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم ، فامتنعوا عليهم ؛ ثم قال : إن فى أيدى أصحابكم منا رجالا أسروهم ونحن نعطيكم العهود ، نفادى بكم أصحابنا ، ولا نقتلـكم ، فأبوا عليهم .

فلما رأى ذلك الرومى منهم قال لهم : هل لكم إلى خصلة ، وهى نصَف فيما بيننا و بينكم ، أن تعطونا العهد ونعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل ، ومنا رجل ، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا ، وأمكنتمونا من أنفسكم ، و إن غلب صاحبكم صاحبنا خلّينا سبيلـكم إلى أصحابكم ، فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه ، وعمرو ومسلمة وصاحباهما فى الحصن فى الديماس .

فتداعوا إلى البراز ، فبرز رجل من الروم قد وثقت الروم بنجدته وشدته ، وقالوا : يبرز رجل منكم لصاحبنا .

فأراد عمرو أن يبرز ، فمنعه مسلمة ، وقال : ماهذا ؟ تخطىء مرتين ، تشذّ من أصحابك وأنت أمير ، وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك ، لا يدرون ماأمرك ، ثم لا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل ، فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك ، مكانك ، وأنا أكفيك إن شاء الله تعالى .

فقال عمرو : دونك ، فربما فرجها الله بك .

فبرز مسلمة والرومى ، فتجاولا ساعة ، ثم أعانه الله عليه ، فقتله ، فكبّر مسلمة وأصحابه ، ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ، ففتحوا لهم باب الحصن ، فخرجوا ، ولا تدرى الروم أن أمير القوم فيهم ، حتى بلغهم بعد ذلك ، فأسفوا على ذلك ، وأكلوا أيديهم تغيظاً على ما فاتهم .

فلما خرجوا استحيا عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب ، فقال عمرو عند ذلك :

— استغفر لى ما كنت قلت لك .

فاستغفر له .

وقال عمرو : ما أفحشت قط إلا ثلاث مرات ، مرتين فى الجاهلية ، وهذه الثالثة ، وما منهن مرة إلا وقد ندمت واستحييت ، وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك ، والله إنى لأرجو ألا أعود إلى الرابعة مابقيت .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب قال : أقام عمرو بن العاص محاصراً الاسكندرية أشهراً ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب قال : ما أبطأوا فى فتحها إلا لما أحدثوا .

حدثنا يحيى بن خالد عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص :

أما بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم ، وقد كنت وجّهت إليك أربعة نفر ، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكون غيّرهم ما غيّر غيرهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضّهم على قتال عدوهم ورغّبهم فى الصبر والنيّة ، وقدم أولئك الأربعة فى صدور الناس ، ومُر الناس جميعاً أن يكون لهم صَدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزُّل الرحمة ووقت الإجابة ، وليعجّ الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوه .

فلما أتى عمراً الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا أولئك النفر ، فقدّمهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتطهّروا ويصلّوا ركعتين ، ثم يرغبوا إلى الله عز وجل ، ويسألوه النصر . ففعلوا ، ففتح الله عليهم .

ويقال : إن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلّد كما حدثنا عثمان بن صالح عمّن حدّثه قال : أشر عليّ فى قتال هؤلاء .

فقال له مسلمة : أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس ، فيكون هو الذى يباشر القتال ويكفيك .

قال عمرو : ومَن ذلك ؟

قال : عبادة بن الصامت .

قال : فدعا عمرو عبادة ، فأتاه ، وهو راكب على فرسه ؛ فلما دنا منه أراد النزول ، فقال له عمرو :

— عزمت عليك إن نزلتَ ناولني سِنان رُمحك .

فناوله إياه ، فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاّه قتال الروم .

فتقدم عبادة مكانه ، فصافّ الروم ، وقاتلهم ، ففتح الله على يديه الإسكندرية من يومه ذلك .

حدثني أبي عبد الله بن عبد الحكم قال : لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسكندرية استلقى على ظهره ، ثم جلس فقال : إني فكّرت في هذا الأمر فإذا هو لا يُصلح آخره إلا من أصلح أوله ، يريد الأنصار ؛ فدعا بعبادة بن الصامت ، فعقد له ، ففتح الله على يديه الإسكندرية في يومه ذلك .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حُميد قال : حاصروا الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك ، وفتحت يوم الجمعة لمستهلّ المحرم سنة عشرين [1] .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن بكير بن عبد الله عن بُسْر بن سعيد عن جنادة بن أبي أمية قال : دعاني عبادة بن الصامت يوم الاسكندرية ، وكان على قتالها ، فأغار العدوّ على طائفة من الناس ولم يأذن لهم

---

(١) كان فتح الإسكندرية الأول صلحاً تم بين عمرو بن العاص وقيرس بعد عودته من المنفى عقب موت هرقل ، وذلك في يوم ٨ من شهر نوفمبر سنة ٦٤١ ، وقد اختلفت الروايات في ذكر شروط هذا الصلح ، ولكن حنا النقيوشي أوردها في كتابه ، وهي :

(أ) أن يدفع الجزية كل من دخل في العقد .

(ب) أن يبقى العرب في مواضعهم مدة الهدنة ، وأن يكف الروم عن القتال .

(ح) أن ترحل مسلحة الإسكندرية في البحر .

(د) أن يبعث الروم من قبلهم رهائن (١٥٠ جندياً + ٥٠ مدنياً) ضماناً لإنفاذ العقد .

(هـ) أن تعقد هدنة لمدة أحد عشر شهراً تنتهي في سبتمبر سنة ٦٤٢ .

(و) ألا يعود جيش من الروم إلى مصر .

(ز) أن يباح لليهود الإقامة في الإسكندرية .

بقتالهم ، فسمعنى ، فبعثنى أَحْجُزُ بينهم ، فأتيتُهم ، فحجزت بينهم ، ثم رجعت إليه ، فقال : أقتل أحد من الناس هنالك ؟

فقلت : لا .

قال : الحمد لله الذى لم يُقتل أحد منهم عاصيا .

قال : وحدثنا عبدالملك بن مسلمة عن مالك بن أنس ، أن مصر فتحت سنة عشرين .

قال . فلما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية كما حدثنا عبد الله ابن صالح عن الليث ، وهرب الروم فى البرّ والبحر خلّف عمرو بن العاص بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ، ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البحر إلى الاسكندرية ، فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلاّ من هرب منهم .

و بلغ ذلك عمرو بن العاص فكرّ راجعاً ، ففتحها وأقام بها ، وكتب إلى عمر بن الخطاب : إن الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد . فكتب إليه عمر بن الخطاب يقبّح رأيه ، و يأمره ألا يجاوزها .

قال ابن لهيعة . وهو فتح الاسكندرية الثانى .

وكان سبب فتحها هذا كما حدثنا إبراهيم بن سعيد البلوى أن رجلا يقال له ابن بَسَّامة كان بوّابا ، فسأل عمرو بن العاص أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ، و يفتح له الباب .

فأجابه عمرو إلى ذلك ، ففتح ابن بَسَّامة الباب ، فدخل عمرو ، وكان مدخله هذا من ناحية القَنْطَرة التى يقال لها قنطرة سليمان ، وكان مدخل عمرو بن العاص الأول من باب المدينة الذى من ناحية كنيسة الذهب .

وقد بقى لابن بَسّامة عقب بالإسكندرية إلى اليوم(١) .

حدثنا هانىء بن المتوكل ، حدثنا ضِمام بن إسماعيل المعافرى قال . قُتل من المسلمين من حين كان من أمر الإسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنان وعشرون رجلا ، و بعث عمرو بن العاص كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة معاوية بن حُدَيج وافداً إلى عمر بن الخطاب بَشِيراً بالفتح ، فقال له معاوية : ألا تكتب معى ؟ فقال له عمرو : وما أصنع بالكتابة ألستَ رجلا عربيًّا ، تبلغ الرسالة ، وما رأيتَ وحضرت ؟

فلما قدم على عمر أخبره بفتح الإسكندرية ، فخرّ عمر ساجداً ، وقال : الحمد لله .

وحدثنا عبد الله يزيد المُقْرىء ، حدثنا موسى بن عُلَىّ عن أبيه أنه سمعه يقول : سمعت معاوية بن حُدَيج يقول : بعثنى عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية ، فقدمت المدينة فى الظهيرة ، فأنخت راحلتى بباب المسجد ، فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب ، فرأتنى شاحبا علّى ثياب السفر ، فأتتنى ، فقالت :

— من أنت ؟

قال : فقلت : أنا معاوية بن حُديج ، رسول عمرو بن العاص .

فانصرفت عنى ، ثم أقبلت تشتد ، أسمع حفيف إزارها على ساقها حتى دنت منى فقالت :

— قُمْ فأجب أمير المؤمنين يدعوك .

فتبعتها .

---

(١) المراد أيام ابن عبد الحكم .

فلما دخلتُ فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه ، و يشد إزاره بالأخرى ، فقال :

ما عندك ؟

قلت : خير يا أمير المؤمنين ، فتح الله الإسكندرية .

فخرج معى إلى المسجد ، فقال المؤذّن :

أذّن فى الناس ، الصلاة جماعة .

فاجتمع الناس ، ثم قال لى :

قم فأخبر أصحابك .

فقمت فأخبرتهم .

ثم صلى ، ودخل منزله ، واستقبل القِبْلة ، فدعا بدعوات ، ثم جلس ، فقال :

— ياجارية ، هل من طعام ؟

فأتت بخبز وزيت .

فقال : كلُ .

فأكلت على حَياء ؛ ثم قال :

— يا جارية ، هل من تمر ؟

فأتت بتمر فى طبق ، فقال : كلُ

فأكلتُ على حياء .

ثم قال : ماذا قلت يامعاوية حين أتيت المسجد ؟

قال : قلتُ أمير المؤمنين قائل .

قال : بئس ماقلت أوبئس ماظننت ، لئن نمتُ النهار لأضيّعَنّ الرعيّة ، ولئن نمت الليل لأضيّعن نفسى ، فكيف بالنوم مع هذين يامعاوية ؟

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك ، كما حدثنا إبراهيم بن سعيد العلوىّ

إلى عمر بن الخطاب : أما بعد ، فإنى فتحت مدينة لا أَصِفُ ما فيها غير أنى أصبتُ فيها أربعة آلاف مُنْية بأربعة آلاف حَمَّام ، وأربعين ألف يهودىّ عليهم الجزية ، وأربعمائة مَلْهًى للملوك .

قال حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبى قَبيل ، أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وجد فيها أثنى عشر ألف بقّال ، يبيعون البقل الأخضر .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن مِقْلاص عن يحيى بن عبد الله ابن داود قال : أراه عن حَيْوَة بن شُريح ، أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقّال .

حدثنا هانىء بن المتوكل ، حدثنا محمد بن سعيد الهاشمى قال ، ترحّل من الاسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص أو فى الليلة التى خافوا فيهادخول عمرو سبعون ألف يهودى .

حدثنا هانىء بن المتوكل عن موسى بن أيوب ورِشْدين بن سعد عن الحسن ابن ثَوْبان عن حسين بن شَفَىّ بن عبيد قال : كان بالأسكندرية فيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ديماساً ، أصغر ديماس[1] منها يسع ألف مجلس ، كل مجلس منها يسع جماعة نفر ، وكان عدة من الاسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال ، فلحق بأرض الروم أهل القوّة ، وركبوا السفن ، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار ، فحمل فيها ثلاثون ألفاً مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل ، وبقى من بقى من الأسارى ممّن بلغ الخراج ، فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصِبْيان .

فاختلف الناس على عمرو فى قَسْمهم ، وكان أكثر النـاس يريدون قَسْمَها فقال عمرو :

---

(١) الديماس هو الحمام .

— لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه يعلمه بفتحها . وشأنها ، ويعلمه أن المسلمين طلبوا قَسمها .

فكتب إليه عمر : لا تَقْسِمها ، وذَرْهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوّهم .

فأقرها عمرو ، وأحصى أهلها ، وفرض عليهم الخراج ، فكانت مصر صُلْحا كلها بفريضة ،دينارين ، دينارين ، على كل رجل ، لا يزاد على أحد منهم فى جزية رأسه أكثر من دينارين ، إلا أنه يُلزم بقدر مايتوسع فيه من الأرض والزرع ، إلا الاسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يُرى من وليّهم ، لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ، ولم يكن لهم صُلْح ولا ذمّة .

وقد كانت قرية من قرى مصر ، كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب قاتلت ، فسَبَوْا منها قرية يقال لها بَلْهِيب ، وقرية يقال لها الخَيْس ، وقرية لها سُلْطَيْس ، فوقع سباياهم بالمدينة وغيرها ، فردّهم عمر بن الخطاب إلى قُراهم وصيّرهم وجماعة القبط أهل ذمّة .

حدثنا عثمان بن صالح أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمراً سبى أهل بَلْهِيب[1] وسُلْطَيْس وقَرْطَسا[2] وسَخَا ، فتفرقوا ، وبلغ أولهم المدينة حين نقضوا .

ثم كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بردّهم ، فردّ من وجد منهم .

حدثنا عبد الملك بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر بن الخطاب كتب فى أهل سلطيس خاصة ، من كان منهم فى أيديكم فخيّروه بين الإسلام ، فإن أسلم فهو من المسلمين ، له مالهم وعليه ما عليهم ، وإن اختار دينه فخلوا بينه

---

(١) بَلْهِيب : وردت فى معجم البلدان بلهيب ، وفى كتاب المسالك والممالك وفى خطط المقريزى باسم بلهيت ، وكذلك فى قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد ، وهى منية الزناطرة بالبحيرة ، ومحلّها اليوم قزارة بمركز المحمودية .

(٢) قَرْطسا : وردت فى معجم البلدان أنها من قرى مصر بالحوف الغربى (البحيرة) وقد خربت ولا تزال أطلالها باقية بناحية بسنتاواى بمركز أبى حمص غربى مدينة المحمودية .

وبين قريته ، فكان البلهيبي خيَّر يومئذ ، فاختار الإسلام .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن يحيى بن أيوب أن أهل سلطيس ومصيل[١] وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم ، فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم ، وقالوا : هؤلاء لنا فىء مع الاسكندرية .

فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر ابن الخطاب ، أن تُجعل الاسكندرية وهذه ثلاث القريات[٢] ذمّةً للمسلمين على عددهم ، ولا يُجْعلون فيئا ولا عبيدا ؛ ففعلوا ذلك .

ويقال : إنما ردّهم عمر بن الخطاب لعهد كان تقدم لهم .

حدثنا عبدالملك بن مَسْلمة حدثنا ابن لهيعة وابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن حِطّان من أنه كان لقريات من مصر ، ومنها[٣] أم دُنَيْن وبلهيب عهد ، وأن عمر لما سمع بذلك كتب إلى عمرو بن العاص يأمره أن يخيرّهم ، فإن دخلوا فى الاسلام فذاك ، وإن كرهوا فارددهم إلى قُراهم .

قال : وكان من أبناء السُلْطَيسيَّات عِمران بن عبد الرحمن بن جعفر بن ربيعة وأم عِياض بن عقبة وأبو عبيدة بن عقبة[٤] ، وأم عون بن خارجة القُرَشىّ ، ثم العدوى ، وأم عبد الرحمن معاوية بن حديج ، وموالى أشراف بعد ذلك وقعوا عند مروان بن الحكم ، فهم أبّان وعمه أبو عياض وعبد الرحمن البَلْهيبى .

ذكر من قال إن مصر قد فتحت بصلح

قال ، ثم رجع إلى حديث موسى بن أيوب ، ورِشْدين بن سعد عن الحسن ابن ثَوْبان عن حسين بن شُفَىّ أن عمراً لما فتح الاسكندرية بقى من الأسارى

---

(١) وردت فى الخطط المقريزية باسم محلة مصيل من أعمال البحيرة ، وهى بالقرب من قرطسا .

(٢) فى الأصل : الثلاث قريات .

(٣) فى الأصل : منهم .

(٤) فى هامش نسخة ا واسمه مرة بن عقبة ، قاله ابن يونس ، وهو ابن نافع الفهرى من الطبقة الثالثة ، وهم التابعون ، مقبول ، وقد مات سنة سبع ومائة .

بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان ، فاختلف الناس على عمرو فى قسمهم ، فكان أكثر المسلمين يريدون قسمها ، فقال عمرو : لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها ، وأن المسلمين طلبوا قسمها .

فكتب إليه عمر : لا تَقْسِمها وذَرْهم يكون خراجها فيئا للمسلمين ، وقوة لهم على جهاد عدوهم .

فأقرها عمرو ، وأحصى أهلها ، وفرض عليهم الخراج ، فكانت مصر كلها صُلْحًا بفريضة ، دينارين على كل رجل لا يزاد على أحد منهم فى جزية رأسه أكثر من دينارين إلا أنه يُلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع إلا الاسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يُرى من وليهم . لأن الاسكندرية فتحت عنوةً بغير عهد ، ولم يكن لهم صلح ولا ذمّة .

حدثنا عثمان ، أخبرنا الليث قال ، كان يزيد بن أبى حبيب يقول : مصر كلها صُلْح إلا الاسكندرية فإنما فتحت عنوة .

حدثنا عثمان بن صالح عن بكر بن مُضَر عن عبيد الله بن أبى جعفر قال : حدثنى رجل ممن أدرك عمرو بن العاص قال : للقبط عهد عند فلان ، وعهد عند فلان ، فسمّى ثلاثة نفر .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن أبى جعفر عن شيخ من كبراء الجند أن عهد أهل مصر كان عند كبرائهم .

حدثنا هشام بن اسحق العامرىّ عن الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبى جعفر قال : سألت شيخا من القدماء عن فتح مصر فقال :

هاجرنا إلى المدينة أيام عمر بن الخطاب ، وأنا محتلم فشهدت فتح مصر .

قلت له : فإن ناسا يذكرون أنه لم يكن لهم عهد .

فقال : ما يبالى ألا يصلّى من قال ، إنه ليس لهم عهد .

فقلت : فهل كان لهم كتاب ؟

فقال : نعم ، كتب ثلاثة ، كتاب عند طَلْمَا صاحب إخْنَا(١) ، وكتاب عند قُزْمَان صاحب رشيد(٢) ، وكتاب عند يُحَنّس(٣) صاحب البُرُلّس(٤) .

قلت : فكيف كان صلحهم ؟

قال : دينار بن على كل إنسان جزية ، وأرزاق المسلمين .

قلت : فتعلم ما كان من الشروط ؟

قال : نعم ستة شروط ، لا يُخْرَجون من ديارهم ، ولا تُنْزَع نساؤهم ، ولا كفورهم ، ولا أرضيهم ، ولا يزاد عليهم .

وحدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أنه حدثه عن أبى جُمْعة مولى عُقْبة قال : كتب عقبة بن عامر إلى معاوية بن أبى سفيان يسأله أرضاً يسترفق فيها عند قرية عقبة ؛ فكتب له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع ؛ فقال له مولى له كان عنده : أنظر أصلحك الله أرضاً صالحة .

---

(١) قريه كانت قريبة من البرلس على شاطىء البحر الابيض ، وقد ذكرها المقريزى عند الكلام على طرف مما يتعلق بالاسكندرية فقال إن إخنا حصن على شاطىء البحر المالح .

(٢) رشيد : من البلاد المصرية المشهورة ، وتقع على الضفة الغربية لفرع النيل المسمى بها عند مصبه فى البحر ، وقد ذكر علماء الافرنج أنها أخذت فى الظهور فى خلافة المتوكل على الله العباسى سنة ٨٧٠ م ، وقبل حدوثها كان مرسى جميع المراكب مدينة فوة ، ولما تراكمت الرمال فى البوغاز تعسر وصول المراكب فوضعت مدينة رشيد .

وقد ذكر العالم دنويل أن مدينة بوليتين القديمة كانت على بعد قليل من رشيد ، ولعل الآثار التى وجدت فى رشيد من آثار تلك المدينة الفرعونية التى تكلم عنها استرابون وأنيتى البيزنطى .

(٣) يوحنا .

(٤) بلدة قديمة على البحر الأبيض تقع على البحيرة المسماة باسمها ، ويذكر مؤرخو الفرنج أن البرلس كانت خطا ، وكانت تسمى « بوطو » .

فقال عقبة : ليس لنا ذلك ، إن فى عهدهم شروطاً ستة ، ألا يؤخذ من أنفسهم شيء ولا من نسائهم ولا من أولادهم ، ولا يزاد عليهم ، ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم ، وأنا شاهد لهم بذلك .

حدثنا عبدالملك بن مسلمة حدثنا ابن وهب عن أبى شُريح عن عبيد الله ابن أبى جعفر عن أبى جمعه حبيب بن وهب قال : كتب عقبة بن عامر إلى معاوية يسأله بقيعاً فى قرية يبنى فيها منازل ومساكن ، فأمر له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع .

فقال له مواليه ومن كان عنده : انظر إلى أرض تُعجبك ، فاختطّ فيها وابْتَنِ .

فقال : إنه ليس لنا ذلك ، لهم فى عهدهم ستة شروط ، منها ألا يؤخذ من أرضهم شيء ، ولا يزاد عليهم ، ولا يكلّفوا غير طاقتهم ولا يؤخذ ذراريّهم ، وأن يقاتل عنهم عدوّهم من ورائهم .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن جعفر عن رجل من كبراء الجند قال : كتب معاوية بن أبى سفيان إلى وَرْدان أن زِد على كل رجل منهم قيراطاً .

فكتب وردان إلى معاوية : كيف تزيد عليهم ؟ وفى عهدهم ألا يزاد عليهم شيء .

فعزل معاوية وردان .

ويقال : إن معاوية إنما عزل وردان كما حدثنا سعيد بن عفير أن عتبة بن أبى سفيان وفد إلى معاوية فى نفر من أهل مصر ، وكان معاوية ولّى عتبة الحرب ووردان الخراج وحُوَيْث بن زيد الديوانَ ، فسأل معاوية الوفدَ عن عتبة ، فقال عبادة بن صُمَّل المعافرى : حُوتُ بحر يا أمير المؤمنين ، وَوَعْل برّ .

فقال معاوية لعتبة : اسمع ما تقول فيك رعيّتك .

فقال : صدقوا يا أمير المؤمنين ، حجبتني عن الخراج ، ولهم على حقوق ، وأكره أن أجلس فأُسْأَل فلا أفعل ، فأُبْخَل .

فضم اليه معاوية الخراج .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وابنُ وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن حطّان أنه قال : كان لقريات من مصر ، ، منها[1] أم دُنَيْن وبَلْهِيب عهد ، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع بذلك كتب إلى عمرو بن العاص ، يأمره أن يخيّرهم ، فإن دخلوا في الإسلام فذاك ، و إن كرهوا فارددهم إلى قراهم .

قال : وحدثنا عبدالملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن يحيى بن ميمون الحضرميّ قال : لما فتح عمرو بن العاص مصر صُولِحَ على جميع من فيها من الرجال القبط ممن راهق الحكم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ على دينارين دينارين ،فأحصوا لذلك ،فبلغت عدّتهم ثمانية آلاف ألف .

حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب قال . سمعت حَيْوة بن شُريح قال : سمعت الحسن بن ثَوْبان الهمدانيّ يقول ، حدثني هشام بن أبي رُقَيّة اللخمي أن أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر : إن من كتمني كنزاً عنده فقدرتُ عليه قتلته .

وأن نَبَطِيًّا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذُكر لعمرو أن عنده كنزاً ، فأرسل إليه ، فسأله فأنكر وجحد ، فحبسه في السجن ، وعمرو يسأل عنه ، هل يسمعونه يسأل عن أحد ؟

---

(١) في الأصل : منهم .

فقالوا : لا ، إنما سمعناه يسأل عن راهب فى الطور .

فأرسل عمرو إلى بطرس ، فنزع خاتمه من يده ، ثم كتب إلى ذلك الراهب ، أن أبعث إلىّ بما عندك ، وختمه بخاتمه .

فجاءه رسوله بقلّة شامية ، مختومة بالرصاص ، ففتحها عمرو ، فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها ، مالكم تحت الفسقيّة الكبيرة .

فأرسل عمرو إلى الفسقية ، فحبس عنها الماء ، ثم قلع البلاط الذى تحتها ، فوجد فيها اثنين وخمسين إردبا[1] ذهبا ، مضروبة ؛ فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد .

فذكر ابن رُقَيّة أن القبط أخرجوا كنوزهم شفقًا أن يُبْغَى على أحد منهم ، فيُقتلوا كما قُتل بطرس .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاصى استحلّ مال قِبطى من قبط مصر ، لأنه استقر عنده أنه يُظهر الروم على عورات المسلمين ، ويكتب إليهم بذلك ، فاستخرج منه بضعة وخمسين إردبا دنانير .

قال : ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : ففتح الله أرض مصر كلها بصُلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الرومَ على المسلمين ، فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها ، وقالوا : هؤلاء لنا فى الاسكندرية .

فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر . ان تُجْعَل الاسكندرية وهذه ثلاث القريات[2] ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ، ويكون خراجُهم وماصالح عليه القبطُ كله قوة للمسلمين ، لا يُجعلون فيئا ولا عبيدًا .

ففعلوا ذلك إلى اليوم .

---

(١) كذا فى الأصل ، والرواية غير معقولة .

(٢) وهؤلاء الثلاث قريات كذا فى الأصل .

ذكر
من قال فتحت مصر عنوة

وقال آخرون . بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الملك بن سلمة وعثمان بن صالح قالا : حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عمن سمع عبيد الله بن المُغيرة بن أبى بُرْدة يقول : سمعت سفيان بن وهب الخَولانىّ يقول : إنا لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوّام فقال : اقْسِمْها يا عمرو بن العاص . فقال عمرو : والله لا أقسمها .

فقال الزبير : والله لتقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه عمر : أقِرَّها حتى يغزو منها حَبَلُ الحَبَلة .

قال ابن لهيعة ، وحدثنى يحيى بن ميمون عن عبيد الله بن المغيرة عن سفيان بن وهب بهذا إلا أنه قال : فقال عمرو : لم أكن لأُحدث فيها شيئاً حتى أكتب إلى عمر بن الخطاب .

فكتب إليه .

فكتب إليه بهذا .

قال عبد الملك فى حديثه : وإن الزبير صُولح على شىء أُرْضى به .

حدثنا عبد الملك بن سلمة وعثمان بن صالح قالا : حدثنا ابن لهيعة عن عبدالله ابن هُبَيرة أن مصر فتحت عنوةً .

حدثنا عبد الملك ، حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعَم قال : سمعت أشياخنا يقولون ، إن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

قال ابن أنعم ، منهم أبى يحدثنا عن أبيه ، وكان ممن شهد فتح مصر .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن وهب عن ابن أنعم قال : سمعت أشياخنا يقولون ، فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة ، أن مصر فتحت عنوة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى قنان أيوب بن أبى العالية عن أبيه ، وأخبرنا عبدالملك بن مسلمة عن ابن وهب عن داود بن عبدالله الحضرمى أن أبا قنان حدثه عن أبيه أنه سمع عمرو بن العاص يقول : لقد قعدت مقعدى هذا وما لأحد من قبط مصر علىّ عهد ولا عقد إلا أهل أنطابُلُس (١) فإن لهم عهدا يُوفَى لهم به .

قال ابن لهيعة فى حديثه : إن شئتُ قتلت ، وإن شئتُ خمستُ ، وإن [شئت] بعت .

حدثنا عبد الملك بن المسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عياض بن عبد الله الفِهرى عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عقد ولا عهد ، وأن عمر بن الخطاب حبس دَرّها وصَرّها أن يُخرج منه شىء نظراً للإسلام وأهله .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن شُريح عن يعقوب ابن مجاهد عن زيد بن أسلم قال : كان تابوتٌ لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه و بين أحد ممن عاهده ، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد .

قال عبد الرحمن بن شريح : فلا أدرى أعن زيد حدَّثَ أم شىء قاله ؛ فمن أسلم منهم فأُمَّةٌ (٢) ، ومن أقام منهم فذِمَّةٌ .

---

(١) أنطابلس أو بنطابولس : وهو الإقليم الذى يلى مصر غرباً من بلاد الدولة الرومانية ويشمل مدناً وقرى بين الإسكندرية وبرقة .

(٢) أى من أمة المسلمين ، وقد جاء فى لسان العرب « قوله فى الحديث أن يهود بنى عوف أمة من المؤمنين يريد أنهم بالصلح الذى وقع بينهم وبين المؤمنين كجماعة منهم ، كلمتهم وأيديهم واحدة .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار وعبد الله بن مسلمة قالا : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الملك بن جُنادة كاتب حيّان سُرَيْح ، من أهل مصر من موالى قريش ، قال : كتب حيّان إلى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جِزْية مَوْتَى القبط على أحيائها .

فسأل عمر عِرَاك بن مالك ، فقال عِراك : ما سمعت لهم بعهد ولا عقد ، وإنما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد .

فكتب عمر إلى حيّان بن سُرَيح، أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم.

قال ، سمعت يحيى بن بكير يقول ، خرج أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية في سفينة ، فأحتاج إلى رجل يَقْذِفُ به ، فسخر رجلا من القبط ، فكُلِّم في ذلك ، فقال : إنما هم بمنزلة العبيد إن احتجنا إليهم .

حدثنا عبد الملك بن سلمة عن ابن لهيعة عن الصَّلْت بن أبي عاصم، أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيّان بن سُرَيح ، أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن شُرَيح عن عبيدالله بن أبي جعفر أن كاتب حيّان حدثه، أنه احتيج إلى خشب لصناعة الجزيرة ، فكتب حيان إلى عمر يذكر له ذلك ، وأنه وجد خشباً عند بعض أهل الذِّمة ، وأنه كره أن يأخذ منهم حتى يُعلمه .

فكتب إليه عمر : خُذْها منهم بقيمة عَدْلٍ ، فإني لم أجد لأهل مصر عهدا أفي لهم به .

حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا عبد الملك بن مسلمة قال ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن سريح، أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبد الرحمن بن كعب ابن أبى لبابة أن عمر بن عبد العزيز قال لسالم بن عبد الله : أنشد تقول ليس لأهل مصر عهد ؟. قال : نعم .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب فى رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وليس له وارث ؛ فكتب إليه عمر ، أن من كان منهم له عقب فادفع ميراثه إلى عقبه ، ومن لم يكن له عقب فأجعل ماله فى بيت مال المسلمين ، فإن ولاءه للمسلمين .

حدثنا يحيى بن خالد عن رشدين بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه قال : كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة و بعضها عنوة ، فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعاً ذمة ، وحملهم على ذلك ؛ فمضى ذلك فيهم إلى اليوم .

ذكر

الخطط (١)

قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الحكم ، حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية ورأى بيوتها و بناءها مفروغا منها هم أن يسكنها ، وقال : مساكن قد كفيناها .

فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك ، فسأل عمر الرسول ، هل يحول بينى و بين المسلمين ماء ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، إذا جرى النيل .

فكتب عمر إلى عمرو ، إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى و بينهم فى شتاء ولا صيف .

---

(١) جمع خطة بمعنى محلة أو بلد .

فتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفسطاط .

وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب ، وحدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى ، و إلى عامله بالبصرة ، و إلى عمرو بن العاص ، وهو نازل بالإسكندرية ، ألا تجعلوا بينى و بينكم ماء ، متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت .

فتحول سعد بن أبى وقاص من مدائن كسرى إلى الكوفة ؛ وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه ، فنزل البصرة ؛ وتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفسطاط .

قال : و إنما سميت الفسطاط كما حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم وسعيد ابن غفير ، أن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فإذا فيه يمام قد فرّخ .

فقال عمرو بن العاص : لقد تحرم منا بمتحرّم ، فأمر به ، فأُقر كما هو ، وأوصى به صاحب القصر ؛ فلما قفل المسلمون من الإسكندرية ، فقالوا : أين ننزل ؟ قالوا : الفسطاطَ ، لفسطاط عمرو الذى كان خلّفه ، وكان مضروبا فى موضع الدار التى تُعرف اليوم بدار الحصى ، عند دار عمرو الصغيرة اليوم .

و بنى عمرو بن العاص المسجد كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث ابن سعد ، وكان ما حوله حدائق وأعناباً ، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ، ووضعوا أيديهم ، فلم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا القبلة ، وأن عمراً وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وضعوها ؛ واتخذ فيه منبراً ، كما حدثنا عبدالملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن أبى تميم الجيشانى .

قال : فكتب إليه عمر بن الخطاب ، أما بعد ، فإنه بلغنى أنك اتخذت

منبراً ترقى به على المسلمين ، أوَ مايحسْبك أن تقوم قائماً ، والمسلمون تحت عقبيك ؟ فعزمت عليك لمـا كسرته .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير ، أن أبا مسلم الغافقى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤذّن لعمرو بن العاص ، فرأيته يبخّر المسجد .

قال : واختط الناس .

حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، أخبرنا ابن وهب عن يحيى بن أزْهَر عن الحجّاج ابن شداد عن أبى صالح الغفارىّ قال : كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، إنا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع .

فكتب إليه عمر ، أنّى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر ؟ وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين .

قال ابن لهيعة : هى دار البِرْكة ؛ فجعلت سوقا ، فكان يباع فيها الرقيق . هكذا قال ابن لهيعة .

قال : وأما الليث بن سعد ، فإن عبد الملك حدثنا عنه أنه دار البِرْكة خطّة لعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فسأله إياها عبد العزيز بن مروان ، فوهبها له ، فلم يُثِبْه منهـا شيئا .

حدثنا أحمد بن عمرو ، حدثنا ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله قال : شهد عبد الله بن عمر فتح مصر ، واختط فيها دار البِركة ، بركة الرقيق . قال ، فوهبتها لمعاوية رجاء أن يثيبنى منها ، فلم يُثِبْنى منها حتى مات ، فهو فى حِلّ[1] .

(١) فى نسختى ا ، ح : زيادة : قال على بن الحسن بن قديد ، وحدثناه أحمد بن عمرو .

وكان مَنْ حُفِظ من الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُرَيش وغيرهم ومن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه وسلم صُحبة، كما حدثنا عبدالملك بن مسلمة، وغير عبدالملك قد ذكر بعض ذلك أيضاً، الزبير ابن العوام، وسعد بن أبي وقّاص[2]، وعمرو بن العاص وهو كان أمير القوم، وعبدالله ابن عمرو، وخارجة بن حُذَافة العدوى، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وقيس ابن أبي العاص السَّهْمِيّ، والمقداد بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح العامريّ، ونافع بن عبد القيس الفهريّ[3]، وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عَبَدَة، وعبد الرحمن، وربيعة ابنا شرحبيل بن حَسَنة، ووردان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص؛ وقد اختلف فى سعد ابن أبي وقاص، فقيل إنما دخلها بعد الفتح.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد أن سعد بن أبي وقاص قدم مصر، وشهد الفتح من الأنصار، عُبادة بن الصامت، وقد شهد بدرا وبيعة العقبة؛ ومحمد بن مَسلمة الأنصارى وقد شهد بدرا، وهو الذى كان بعثه عمر بن الخطاب إلى مصر، فقاسم عمرو بن العاص ماله، وهو أحد من صعد الحصن مع الزبير بن العوام، ومسلمة بن مُخَلّد الأنصارى، يقال له صُحبة.

---

(١) الصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويرى بعض العلماء أنه لا يعد صحابياً إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة: من طالت مجالسته، أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه، أو استشهد بين يديه، وكذلك اشترط فى صحة الصحبة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت.

(٢) هو سعد بن مالك بن أبى وقاص أحد الذين شهد لهم الرسول بالجنة وأحد العشرة سادات الصحابة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وقد جمع ابن عبد الحكم فى هذه الرواية الصحابة وغيرهم.

(٣) كان نافع أخا العاص بن وائل لأمه.

حدّثونا عن وكيع ، حدثنا موسى بن عُلَيّ عن أبيه قال : سمعت مسلمة بن مخلد يقول : ولدت حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر ، وكان قد ولى البلد فى أيام معاوية . وصَدْراً من خلافة يزيد ، وتوفى مسلمة بمصر سنة اثنتين وستين .

وأبوأيوب الأنصارى ، واسمه خالدبن زيد، وقد شهد بدرا وتوفى بالقسطنطينية فى سنة خمسين ، وأبو الدرْداء ، واسمه عُوَيْمر ، قال ابن هشام : عُويمر بن عامر ويقال عويمر بن زيد .

ومن أفناء القبائل ، أبو بَصْرة الغِفارىّ ، واسمه جُمَيل بن بصرة ، وأبو ذر الغفارىّ ، واسمه جندب بن جُنادة ، ويقال بُرَيْر .

قال ابن هشام : سمعت غير واحد من العلماء يقول : أبوذرّ جندب بن جنادة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعه عن يزيد بن أبى حبيب قال : وكان أبو ذرّ ممن شهد الفتح مع عمرو بن العاص .

وهُبَيْب بن مُغْفِل ، ولهم عنه حديث واحد ، وهو حديث ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب أن أسلم أبا عمْران أخبره عن هبيب بن مُغفل أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من جُرَّه خُيَلاء — يعنى إزاره — وَطِئَه فى النار » . وإليه ينسب وادى هبيب الذى بالمغرب .

وعبد الله بن الحارث بن جزء الزُبيدىّ ، وكان اسمه العاص ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

حدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن عبد الله بن بكير قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزبيدى قال : توفىّ رجل ممن قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو عند القبر : ما اسمك ؟ فقلت : العاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « العاص ، أنتم عُبُد الله ، انزلوا . »

قال : فوارينا صاحبنا ، ثم خرجنا من القبر ، وقد بدلت أسماؤنا .

وكعب بن ضِنّة العبسى ، ويقال : كعب بن يسار بن ضنّة ، وعقبة بن عامر الُجهَنىّ ، يكنّى أبا حماد ، وهو كان رسول عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع إن لم يكن قد دخل مصر .

وأبو زَمْعة البلوىّ ، وبِرْح بن حُسْكُل ، وكان ممن قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مَهْرة ، وشهد الفتح مع عمرو ، واختط ، هكذا قال ابن عُفَير، بِرْح بن حُسْكل ، والمهريُّون يقولون : برح بن عُسْكل .

وجنادة بن أبى أمية الأزدى ، وسفيان بن وهب الخولانى ، وله صحبة .

حدثنا عمرو بن سوّاد ، حدثنا ابن وهب ، حدثنى عبد الرحمن بن شريح قال : سمعت سعيد بن أبى شمر السبائى يقول: سمعت سفيان بن وهب الخولانىّ يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لاتأتى المائةُ وعلى ظهرها أحد باقٍ » .

قال: فحدثت بها ابن حُجَيْرة فقام ، فدخل على عبد العزيز بن مروان ، فحُمل سفيان وهو شيخ كبير، حتى أدخل على عبد العزيز بن مروان ، فسأله عن الحديث فحدّثه ، فقال عبد العزيز ، فلعله يعنى ، لا يبقى أحد ممن كان معه إلى رأس المائة .

فقال سفيان : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .

ومعاوية بن حُدَيج الكندى ، وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية .

وقد اختلف فى معاوية بن حُدَيج فقال قوم : له صحبة ، واحتجوا فى ذلك

بحديث حدثناه أبي عبد الله عبد الحكم وشعيب بن الليث وعبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية ابن حُدَيج، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوماً، فسلّم، ثم انصرف، وقد بقى من الصلاة ركعة، فأدركه رجل، فقال: قد بقيت من الصلاة ركعة؟ فرجع، فدخل المسجد، فصلى بالناس ركعة، فأخبرتُ بذلك الناس، فقالوا: أتعرف الرجل؟ قلت: لا، إلا أن أراه.

وقال آخرون: ليست له صحبة، واحتجوا بحديث حدثناه يوسف بن عَدِيّ عن عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن عُلَيّ بن رَبَاح قال: سمعت معاوية بن حديج يقول: هاجرنا على عهد أبي بكر رحمه الله، فبينما نحن عنده إذ طلع المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه قُدِم علينا برأس يُنَاق البطريق، ولم يكن لنا به حاجة، إنما هذه سنّة العجم، ثم قال: يا عقبة، فقام رجل يقال له عقبة، فقال: إني لا أريدك، إنما أريد عقبة بن عامر، قُم يا عقبة فقام رجل فصيح قارىء، فافتتح سورة البقرة، ثم ذكر قتالهم، وما فتح الله لهم، فلم أزل أحبّه من يومئذ. وعامر مولى جَمَل الذى يقال له عامرُ جَمَل، شهد الفتح وهو مملوك، وإنما قيل له عامر جَمَل، أنه كان مع عمرو بن العاص عند معاوية بن أبي سفيان، فقال عامر لعمر: تكلّم، فإنني من ورائك؛ فقال له معاوية: ومن أنت؟ قال، أنا عامر مولى جمل. فقال له معاوية: بل أنت عامر جَمَل. فقيل له: عامر جمل لقول معاوية ذلك.

منهم من أهل بَدْر ستة نفر، الزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وأبو أيوب الانصارى، ومحمد ابن مسلمة.

وقد كان عمّار بن ياسر دخل مصر، ولكن دخل بعد الفتح فى أيام عثمان.

حدثنا عبد الحميد بن الوليد ، حدثنا أبو عبد الرحمن عن مجالد[1] عن الشَّعْبِي ،
أن عمار بن ياسر دخل مصر فى أيام عثمان بن عفان ، وجّهه اليها فى بعض أموره ،
ولهم عنه حديث واحد .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى عُشَانة
قال : سمعت أبا اليَقْظان عمار بن ياسر يقول : أبشروا ، فوالله لأنتم أشد حُبًّا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عَامَّة من قد رآه .

قال : منهم مَن اختطّ بالبلد ، فذكرنا خِطّته ، ومنهم من لم يُذكر له خطة .
فالله أعلم كيف كان الأمر فى ذلك .

قال : فاختط عمرو بن العاص داره التى هى له اليوم عند باب المسجد ، بينهما
الطريق ، وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها (وفيها دفن عبد الله بن عمرو بن العاص
فيما زعم بعض مشائخ البلد لحدث كان يومئذ فى البلد ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن
بكير قال : توفى عبد الله بن عمرو بن العاص بأرضه بالسَّبْع من فِلَسطين ،
ويقال ، بل مات بمكة ، والله أعلم ، ويكنى أبا محمد ، وكان وفاته سنة ثلاث
وسبعين ، ولأهل مصر عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قريب من مائة حديث ،
والحمّام الذى يقال له حَمّام الفار (وإنما قيل له حَمّام الفار ، أن حمامات الروم
كانت ديماسات كِبار ، فلما بُنى هذا الحمام ورأوا صغره قالوا ، من يدخل هذا ؟
هذا حَمّام الفار .) ودارَ عمرو التى هنالك ، ويقال : بل اختط عمرو لنفسه
فى الموضع الذى فيه دار ابن أبى الرزّام .

واختط عبد الله ابنه هذه الدار الكبيرة التى عند المسجد الجامع ، وهو الذى
بناها هذا البناء ، وبنى فيها قصراً على تربيع الكعبة الأولى ، واحتج من زعم

(١) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانى بسكون الميم ، أبو عمرو الكوفى ، وهو ليس
بالقوى ، وقد تغير فى آخر عمره ، من صغار الطبقة السادسة (راجع صحيفة ٤٨٢ من كتاب
تقريب التهذيب) .

أن هذه الدار الكبيرة التى عند المسجد هى خطة عمرو نفسه، بحديث ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبى تميم الجيشانى ، أنه سمع عمرو بن العاص يقول : أخبرنى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله قد زادكم صلاة ، فصلّوها فيما بين صلاة العشاء إلى صلاة الصبح ، الوِتْرَ الوِتْرَ ، ألا إنه أبو بَصْرة الغفارىّ .

قال أبو تميم الجيشانى ، وكنت أنا وأبو ذر قاعدين ، فأخذ أبو ذر بيدى فانطلقنا إلى أبى بصرة ، فوجدناه عند الباب الذى إلى دار عمرو ؛ فقال أبو ذر : يا أبا بصرة ، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله قد زادكم صلاة ، فصلّوها فيما بين العشاء إلى الصبح ، الوتر الوتر » ؟

قال : نعم .

قال : أنت سمعته ؟

قال : نعم .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن هُبيرة ، وحدثنا عمرو بن سَوّاد عن ابن وهب عن ابن لهيعة ، وقد حدثنى طَلْق ابن السّمْح عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبى تميم الجيشانى ببعضه .

ولهم عن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث عدّة ، منها حديث موسى بن عُلَىّ عن أبيه عن أبى قبيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فَصْل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلَة السَحَر .

حدثناه أبى عن الليث عن موسى بن عُلَىّ ، وحدثناه عبد الله بن صالح عن موسى عن نفسه ، ومنها حديث نافع بن يزيد عن الحارث بن سعيد العُتَقى عن عبد الله بن مُنَيْن من بن عبد كلال عن عمرو بن العاص قال : أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة ، منها فى المُفَصّل ثلاث ، وفى سورة الحج سجدتان . حدثناه سعيد بن أبى مريم .

ذكر

من اختط حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص

واختط حول عمرو والمسجد قريشٌ والأنصار وأسْلم وغِفار ، وجُهَينة ، ومن كان فى الراية ممن لم يكن لعشيرته فى الفتح عدد مع عمرو .

فاختطّ وَرْدان مولى عمرو القصر الذى يُعْرف بقصر عمر بن مَرْوان ، وإنما نسب إلى عمر بن مروان ، أن أَنْتَناس صاحب الجند وخراج مسلمة سأل معاوية أن يجعل له منزلا قرب الديوان ، فكتب معاوية إلى مسلمة بن مُخَلد يأمره أن يشترى له منزل وَرْدان ويُخَطَّ لوردان حيث شاء ، ففعل ، فأخذ أَنْتَناس المنزل ، وبعث مسلمة مع وردان السِمْط مولى مسلمة وأمره أن يُقْطِعه غَلْوَة نُشابه ، فخرج معه حتى وقفا على موضع مناخ الإبل ، وكان ذلك فناء يتوسع فيه المسلمون فيما بينهم وبين البحر ، فقال السِمْط لوِردان : لنعلمنّ اليوم فضل غِلاء فارس على الروم .

وكان السمط فارسيا ووردان روميًّا ، فمَغَط السمط فى قوسه ، ونزع له بنُشّابه ، فاختطها وردان ، فلما مات انتناس أَقطِعَت عمَر بن مروان ، ويكنى وردان بأبى عبيد .

ويقال : إن قصر عمر بن مروان من خِطة الأَزْد ، فابتاع ذلك عبد العزيز ابن مروان ، فوهبه لأخيه عمر بن مروان ، وذلك أن ذلك الزقاق من قصر عمر بن مروان إلى الاصطبل ، والاصطبل من خطة الأزد .

واختط قيس بن سعد بن عُبادة فى قِبلة المسجد الجامع دارَ الفِلْفِل ، وكانت فضاء ، فبناها لما ولى البلد ، ولاّه إياها على بن أبى طالب ، ثم عزله ، فكان الناس يقولون ، إنها له ، حتى ذكر له ذلك ، فقال ، وأىّ دار لى بمصر ؟ فذكروها له ، فقال : إنما تلك بنيتُها من مال المسلمين لا حق لى فيها .

ويقال ، إن قيس بن سعد أوصى حين حضرته الوفاة ، فقال : إنى كنت بنيت دارا بمصر ، وأنا واليها ، واستعنت فيها بمعونة المسلمين ، فهى للمسلمين ينزلها وُلاتُهم .

ولهم عن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثان ، أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ربُّ الدابّة أحق بصدر دابته .

حدثنا أبو الأسود حدثنا ابن لهيعة عن عبد العزيز بن عبد الملك بن مُلَيْل عن عبد الرحمن بن أبى أُمَيّة[1] عن قيس بن سعد ، ويقال ، بل كانت دار الفِلْفل ودار الزلابية التى إلى جنبها لنافع بن عبد القيس الفهرى ، ويقال ، بل هو عقبة بن نافع ، فأخذها قيس بن سعد منه وعوّضه عنها دار الفِهْريّين التى فى زقاق القناديل ، ويقال ، بل كانت تلك الدار خطة عقبة بن نافع .

ويقال ، بل كانت دار الفِلْفل لسعد بن أبى وقّاص ، فتصدّق بها على المسلمين ، واقتصر على داره التى بالمَوْقِف ، والله أعلم .

ويقال : إن داره التى بالموْقِف التى تعرف بالفندق ليس هو خطة لسعد ، وإنما كان مولى سعد ، فمات ، فورثها عنه آل سعد ؛ وإنما سميت دار الفِلْفل لأن أُسامة بن زيد التنُوخِيّ إذ كان واليا على خراج مصر ابتاع من موسى بن وَرْدان فِلْفلاً بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليدُ بن عبد الملك ، أراد أن يُهْدِيَه إلى صاحب الروم ، فَخزَنه فيها ، فشكا ذلك موسى بن وردان إلى عمر ابن عبد العزيز حين ولى الخلافة ، فكتب إليه أن يُدفع له .

حدثنا طَلْق بن السَمْح ، حدثنا ضِمام بن اسماعيل حدثنى موسى بن وَرْدان قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فحدّثته بأحاديث عمّن أدركته من إصحاب

---

(١) قيّده السلفى : عبد الرحمن بن أبى أمه فى أصله ، وفى تاريخ ابن يونس عبد الرحمن ابن أبى أمية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت عنده بمنزله ، أدخل إذا شئت وأخرج إذا شئت ، فكنت أحدثه عمّن أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته الكتاب إلى حيّان بن شُرَيْح فى عشرين ألف دينار ، استوفيها من ثمن فلفل، ليكتب إليه يدفعها إلىّ ؛ فقال لى: ولمن العشرون الألف الدينار ؟ قلت: هى لى . قال : ومن أين هى لك ؟ قلت له: كنت تاجرا . فضرب بمخصَرته ، ثم قال : التاجر فاجر ، والفاجر فى النار ، ثم قال اكتبوا إلى حيّان بن سريح ، فلم أدخل عليه بعدها ، وأمر حاجبه الا يُدخلنى عليه ، وصارت دار الزَلابية للحكم بن أبى بكر ، و يقال : بل دار الزلابيـة خِطّة عَبْدَة بن عَبْدة .

واختط مسلمة بن مُخَلّد دار الرَمْل ، واختط مع مسلمة فيها أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختطّ معهم عقبة بن عامر الجُهَنىّ ، فلما ولى مسلمة بن مخلّد سأله معاوية داره ، فأعطاه اياها ، وخطّ له فى الفضاء داره ذات الحمّام التى بسوق وردان ، ثم صارت إلى بنى أبى بكر بن عبد العزيز ، فحازها بنو العباس مع ما حيز من أموال بنى مروان ، فامتدح ابن شافع صالحَ بن علىّ ، فأقطعه إياها .

و إنما صارت لبنى أبى بكر بن عبد العزيز، أن مسلمة بن مُخلّد توفّى ولم يترك ذَكَراً ، فورثته ابنته أم سهل ابنة مسلمة ، و إليها تُنسب مُنْية أم سهل ، مع زوجتَيْه وعَصَبَته بنى أبى دُجَانة ، فتزوج عبد العزيز امرأتَىْ مسلمة بعد وفاته ، وقضى عنه عشرين ألف دينار كانت عليه ،وتزوّج أبو بكر بن عبد العزيز ابنته ، أم سهل ابنة مسلمة .

وكان الذى صار اليهم من رَبْع مسلمة بالميراث الذى ورثوا عن نسائهم ؛ فكانت دار مسلمة من رَحَا الكَعْك إلى حمام سوق وردان مما صار لعبد العزيز ولأبى بكر بن عبد العزيز ، وكان لأبى بكر من مُنْية أم سهل ما ورثه عن امرأته

أم سهل ؛ وما كان فى أيدى الناس غيرهم من ذلك مما كان لابن الأشتر الصَدَفىّ ولبنى وردان ، ولحَمّادة ابنة محمد ، ولموسى بن عُلَىّ ، فمن حقوق عَصَبَة مسلمة مما باعه يحيى بن سعيد الانصارى ، وكان العصبة قد وكّلوه بذلك ، وبهذا السبب قدم يحيى بن سعيد مصر ، وكانت الدار المعروفة بدار المغازل بالحمراء مما باع يحيى ابن سعيد أيضاً ، فاشتراها منه ابن وردان وابن مِسكين .

وكان مسلمة بن مُخَلّد كما حدثنا سعيد بن عفير بن أبى لهيعة أحسبُه أيّام عمرو على الطواحين .

واشترى معاوية أيضاً دار عقبه بن عامر ، وخط له فى الفضاء قُبالة الطريق إلى دار مَحْفُوظ بن سليمان ، وكانت من الخطّ الأعظم إلى البحر ، ويقال : بل مسلمة ابن مخلّد أقطعها عقبة ، فحَبَسها عقبه على ابنته أم كلثوم ابنة عقبه ، وقد يجوز أن يكون مسلمة إنما أقطعها لعقبة بأمر معاوية عِوَضاً من الذى أخذ منه من داره .

وكانت دار أبى رافع قد صارت إلى مولاه السائب مولى أبى رافع ، فاشتراها منه معاوية ، وأقطع السائب الفائض عند حَيّز الوز ، ويقال : بل اختط المقداد ابن الأسود دارا كانت إلى جانب دار الرمل ، وكانت إلى جنبها دار لعقبة بن عامر ، وهى خطّته : فابتاع عقبة دار المقداد بن الأسود ، فهدمها وهدم داره فبناها جميعاً داراً لرملة ابنة معاوية ، فكتب إليه معاوية ، لا حاجة لنا بها ، فاجعلها للمسلمين ؛ وبرملة سميت دار الرَمل ، لما ينقل إليها من الرمل لدار الضَرْب .

سمعت يحيى بن عبد الله بن بُكير فيما أَحْسب يقوله ، ولا أَعْلَمُنى سمعت ذلك من غيره ، يكنّى المقداد ، أبا مَعْبَد .

حدثنا يعقوب بن إسحق بن أبى عبّاد ، حدثنا حَمّاد بن شعيب عن منصور عن هِلال بن كِساف قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد على سَرِيّة

فلما رجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف رأيت الإمارة أبا معبد ؟ قال : خرجت يارسول الله وما أرى أن لى فَضْلا على أحد من القوم ، فما رجعت إلا وكأنهم عبيد لى . قال « كذلك الإمارة أبا معبد إلا من وقاه الله شَرَّها » قال : والذى بعثك بالحق لا أعمل على عمل أبدا .

قال : ويقال : بل كتب معاوية حين استخلف إلى عقبة بن عامر يسأله أن يسلّمها ليزيد لقُرْبها من المسجد ويُعْطيه ما هو خير منها . ففعل ، فأقطعه معاوية داره التى بسوق وردان ، وبناها له ، وبنى سُفْلَ دار الرمل ليزيد ، وأقطع معاوية أيضا يزيد قرية من قرى الفَيّوم ، فأعظم الناس ذلك ، وتكلموا فيه .

فلما بلغ ذلك معاوية كره قالة الناس ، فردّ تلك القرية إلى الخَراج كما كانت للمسلمين ، وجعل دار الرمل للمسلمين تنزلها وُلاتُهم ، ولم يكن بنى منها إلا سُفْلها حتى بنى عُلْوها القاسم بن عبيدالله بن الحَبْحاب .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى قَبيل عن فَضالة بن عبيد قال : كنا عند معاوية يوما ، وعنده معاوية بن حُدَيج ، وكان معاوية كالجمل الطَّبِّ ، يقدّم رجلا ويُؤَخّر أخرى ، يرمى بالكلمة ، فإن ذلّت العرب أمْضاها وإن أنكروها لم يُمْضها ، فقال ذات يوم : ماأدرى فى أى كتاب الله تجدون هذا الرزق والعَطاء ؟ فلو أنا حبسناه ، فضرب معاوية بن حديج بين كتفيه مراراً حتى ظننا أنه يجد ألَمَ ذلك ؛ ثم قال : كلا والذى نفسى بيده ياابن أبى سفيان ، أولنأخذنّ بنُصُولها ثم لتقفنّ على أنادرها ، ثم لايخلص منها إلىّ دينارٌ ولادرهم ، فسكت معاوية . ويكنّى معاوية بن أبى سفيان بأبى عبد الرحمن ، ومعاوية بن حديج بأبى نعيم .

وكان الديوان كما حدثنا سعيد بن عفير عن ابن لهيعة فى زمان معاوية أربعين ألفا ، وكان منهم أربعة آلاف فى مائتين مائتين ، حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن رَزين بن عبد الله مثله وزاد ، فكان إنما يُحمل إلى معاوية ستمائة ألف فَضْل أعطيات الجُند .

حدثنا هانىء ، حدثنا ضمام عن أبى قَبيل قال: كان معاوية بن أبى سفيان قد جعل على كلّ قبيلة من قبائل العرب رجلا ، فكان على المعافر رجل يقال له : الحسن ، يصبح كل يوم فيدور على المجالس، فيقول: هل وُلِد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل؟ فيقال: ولد لفلان غلام ولفلان جارية ؛ فيقول : سمُّوهم ، فيكتب .

ويقال : نزل بها رجل من أهل اليمن بعياله ، فيسمّونه وعياله ، فإذا فرغ من القبائل كلها أتى الديوان ، وكان الديوان كما حدثنا سعيد بن عفير عن ابن لهيعة فى زمان معاوية أربعين ألفا ، وكان منهم أربعة آلاف فى مائتين مائتين .

قال ابن عفير فى حديثه عن ابن لهيعة قال : فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح إلى الحجاز ، وبعث إلى معاوية بستمائة ألف دينار فضلا .

قال ابن عفير : فنهضت الإبل، فلقيهم برح بن حسكل، فقال : ما هذا ؟ ما بال مالنا يخرج من بلادنا ؟ ردوه. فرده حتى وقف على المسجد ، فقال : أخذتم عطاءكم وأرزاقكم وعطاء عيالاتكم ونوائبكم ؟ قالوا : نعم . فقال : لا بارك الله لهم .

قال : وخِطة بِرْح بن حُسْكل عند دار زُنَيْن فى الزقاق الذى يعرف بخَلف القَمّاح .

واختط قيس بن أبى العاص السهمى داره التى عند دار ابن رُمّانة وكانت دار ابن رمانة بينها وبين المسجد ، ودخل بعضها فى المسجد حين زاد فى عرضه عبد الله بن طاهر ، وقد كان عمرو بن العاص ولاه القضاء .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ابن لهيعة قال : كان قيس بن أبى العاص بمصر، ولاّه عمرو بن العاص القضاء .

واختط إلى جانب قيس بن العاص عبد الله بن جَزْء الزُبيدىّ مما يلى

زقاق البَلاط دار ابن رُمانة وما يليها ، فاشترى ذلك عبد العزيز بن مروان ، فوهب لابن رمانة حين قدم عليه ما بنى ، وكان ما بقى للاصبغ بن عبد العزيز .

وكانت دار عبد الله تلى المسجد ، وقِبْلِىّ بابها اليوم مِرْحاض بيت المال ، وكان ابن رمانة مع عبد العزيز بن مروان فى الكتاب ، وكان عبد العزيز قد وهب لابن رُمّانة خاتما كان له ، فلما صار عبد العزيز إلى ماصار إليه قدم عليه ابن رُمّانة من الحجاز على بعير ليس عليه إلا فَرْوة له ، فقال للحاجب : استأذن لى على الأمير . فكأنّ الحاجب تثاقل عنه ، فقال له ابن رُمّانة : استأذن لى اليوم أستأذن لك غدا ، فدخل الحاجب على عبد العزيز فأخبره بقوله ، فقال : أَدْخِله . فلما دخل عليه ابن رمّانة وكلّمة أخرج الخاتم لعبد العزيز فعرفه ، فنزع عبد العزيز خاتم نفسه ، فدفعه إلى ابن رُمّانة ، و بنى له داره ، وغرس له نَخْلهم الذى لهم اليوم بناحية حُلوان .

وعبد العزيز أيضا الذى غرس لعُمَير بن مُدْرِك نخله الذى بالجيزة الذى يعرف بجنان عُمَير ، وكان سبب ذلك كما حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم أن عمير ابن مدرك كان غرسه أصنافا من الفاكهة ، فلما أدرك سأل عبد العزيز أن يخرج إليه ، فخرج معه عبد العزيز إليه ، فلما رآه قال له عبد العزيز : هَبْه لى فوهبه له . فأرسل عبد العزيز إلى صاحب الجزيرة ، فقال له : لئن أتت عليه الجُمعة وفيه شجرة قائمة لأقطعنّ يدك ؛ وكان بالجزيرة خمسمائة فاعل ، عُدّة لحريق إن كان فى البلاد أو هَدْمٍ ، فأتى بهم صاحب الجزيرة ، فكانوا يقطعون الشجرة بحملها ، وعمير يرى حَسَرات ، فلما فرغ من ذلك أمر ، فنُقِل إليه ودىٌّ من حلوان وغرسه نخْلا ، فلما أدرك خرج إليه عبد العزيز وخرج بعمير معه ، فقال له : أين هذا من الذى كان ؟ فقال عُمَيْر : وأين أبلغ أنا مابلغ الأمير ؟ قال : فهو لك ، وحَبِّسْه على ولدك . فهو لهم إلى اليوم .

واختط إلى جنب عبد الله بن الحارث ثَوْبان مولى رسول صلى الله عليه وسلم ،

ويقال بل هو عَجْلان مولى قيس بن أبى العاص ، وهى الدار التى زادها فى المسجد سلمة مولى صالح بن علىّ .

واختط عُبادة بن الصامت إلى جانب ابن رُمّانة ، وأنت تريد إلى سوق الحمّام ، وهى الدار التى كان يسكنها جُوجُو المؤذن ، ودار إلى جنبها ، فابتاع إحداهما عبدالعزيز بن مروان ، فكانت له ، وصارت الأخرى لبنى مسكين .

واختط خارجة بن حذافة غَرْبِىّ المسجد بينه وبين دار ثوبان قبالة المَيْضأة القديمة إلى أصحاب الحِنّاء إلى أصحاب السويق بينه وبين المسجد الطريق .

وكان الربيع بن خارجة يتيما فى حجر عبد العزيز ، فلما بلغ اشترى منه داره بعشرة آلاف دينار للإصبغ بن عبد العزيز ، فلما ولى عمر بن العزيز ركب إليه وأخرج له كتاب حُبس الدار ، فردّها عليه بعد أن يدفع إليه الثمن ، فسأله أن يُعْطَى كِرَاءها ، فقال : أما الكراء فلا ، الكراء بالضمان ، فردها عليه ، ولم يأمر له بالكراء .

قال الليث بن سعد : فرأيت الربيع فيها وأنا إذ ذاك غلام ، ثم خاصم فيها الإصبغ إليه ، وابن شهاب قاضيه يومئذ ، فقضى ابن شهاب لابن خارجة بالدار ، وقَبْضها ، أنه لا يجوز اشتراء الولىّ ممن يلى أمره ؛ ثم خاصم إلى يزيد بن عبدالملك بعد عُمر ، فقضى له بالكراء ، فسلمها له بنو الإصبغ حتى مات يزيد ، ثم رفعوا إلى هشام بن عبد الملك ، فقضى الأكراء عليهم ، فردّ الكراء إلى بنى الاصبغ.

وخارجة بن حذافة كما حدثنا شعيب بن الليث وعبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب أولُ من بنى غُرْفة بمصر ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتب إلى عمرو بن العاص :

« أما بعد فإنه بلغنى أن خارجة بن حذافة بنى غرفة ، ولقد أراد خارجة أن يطلع على عوارت جيرانه ، فإذا أتاك كتابى هذا فاهدمها إن شاء الله والسلام » .

ولأهل مصر عن خارجة بن حذافة عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث واحد ليس لهم عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم غيره ، وهو حديث الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن راشد الزَّوْفِىّ عن عبد الله بن أبى مرة الزوفى عن خارجة بن حذافة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله قد أمدكم بصلاة هى خير لكم من حُمر النعَم ، الوِتْر ، جعله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر .

حدثناه أبى وشعيب بن الليث وعبد الله بن صالح عن الليث بن سعد .

ولهم عنه حكايات فى نفسه ، وكان خارجة بن حذافة على شُرط عمرو بن العاص أيام عمر وأيام معاوية حتى قتله الخارجى ، وذلك أن عمرو بن العاص كان أصابه فى بطنه شىء ، فتخلف فى منزله ، وكان خارجة يعشّى الناس . فضربه الحرُورىّ ، وهو يظن أنه عمرو ، فلما علم أنه ليس عمراً قال : أردت عمراً وأراد الله خارجة . فكان عمرو يقول ، ما نفعنى بطنى قط إلا ذلك اليوم .

حدثنا معاوية بن صالح حدثنا يحيى بن معين عن وهب بن جرير عن أبيه ، قال : ذهب حرورى ليقتل عمرو بن العاص بمصر ، فلما قدمها إذا رجل جالس يُغَدّى قد ولى شرطة عمرو ، فظن أنه عمرو ، فوثب عليه ، فقتله ، فلما أدخل على عمرو قال : أما والله ما أردت غيرك . قال : لكن الله لم يُرِدْنى . فَقُتِل الرجل .

وقد قيل إن خارجة إنما قتل بالشام ، والله أعلم .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الهِقْل بن زياد عن معاوية بن يحيى الصَّدَفِىّ حدثنى الزُّهرِىّ قال : تعاقد ثلاثة نفر من أهل العراق عند الكعبة على قتل معاوية وعمرو بن العاص وحَبيب بن مُسْلَمة ، فأقبلوا بعد ما بويع معاوية على الخلافة حتى قدموا إيلياء ، فصلوا من السَّحَر فى المسجد ما قُدر لهم ، ثم انصرفوا ، فسألوا بعض من حضر المسجد من أهل الشام ، أى ساعة يوافون فيها خَلوة أمير

المؤمنين ، فإنا رهط من أهل العراق أصابنا غُرْم فى أعطياتنا ، ونريد أن نكلمه وهو لنا فارغ . فقال لهم : أمهلوا حتى إذا ركب دابته فاعترضوا له ، فكلّموه ، فإنه سيقف عليكم حتى تفرغوا من كلامه .

فتعجلوا ذلك ؛ فلما خرج معاوية لصلاة الفجر كبّر ، فلما سجد السجدة الأولى انبطح أحدهم على ظهر الحَرَسىّ الساجد بينهم وبينه حتى طعن معاوية فى مأكمته ، يريد فخذه ، بخنجر ، فانصرف معاوية ، وقال للناس : أتمّوا صلاتكم ، وأخذ الرجل ، فأوثق ، ودعى لمعاوية الطبيب ، فقال الطبيب : إن هذا الخنجر إلاّ يكون مسمومًا فإنه ليس عليك بأس ، فأعدّ الطبيب العقاقير التى تُشرب إن كان مسموما ، ثم أمر بعض من يعرفها من أتباعه أن يسقيه إن عقل لسانه حتى يلحس الخنجر ، ثم لحسه ، فلم يجده مسمومًا ، فكبّر وكبر من عنده من الناس ، ثم خرج خارجة بن حذافة ، وهو أحد بنى عدىّ بن كعب من عند معاوية إلى الناس ، فقال : هذا أمر عظيم ليس بأمير المؤمنين بأس بحمد الله ، وأخذ يذكّر الناس ، وشد عليه أحد الحروريين الباقيين يحسبه عمرو بن العاص ، فضربه بالسيف على الذابة فقتله ، فرماه الناس بالثياب وتعاونوا عليه حتى أخذوه وأوثقوه ، واستل الثالث السيف ، فشد على أهل المسجد ، وصبر له سعيد بن مالك بن شهاب ، وعليه ممطر تحته السيف مُشرج على قائمه ، فأهوى بيده ، فأدخلها الممطر على شرج السيف ، فلم يحلّها حتى غشيه الحرورى ، فنحّاه لمنكبه ، فضربه ضربة خالطت سَحْرَه ، ثم استلّ سعيد السيف فاختلف هو والحرورىّ ضربتين ، فضرب الحرورىُّ ضربةَ العين أذهب عينه اليسرى ، وضربه سعيد فطرح يمينه بالسيف ، وعلاه بالسيف حتى قتله ، ونُزِف سعيد ، فاحتمل نزيفًا ، فلم يلبث أن توفى ، فقال ، وهو يُخبر من يدخل عليه : أمَا والله لو شئت لنجوت مع الناس ، ولكنى تحرّجت أن أولّيه ظهرى ومعى السيف .

ودخل رجل من كلب فقال . هذا طعن معاوية ؟ قالوا : نعم . فامتلخ

السيف ، فضرب عنقه ، فأُخذ الكلبيّ ، فسُجن ، وقيل له : قد اتّهمتَ بنفسك ، فقال : إنما قتلته غضباً لله ، فلما سئل عنه وُجِد بريئاً ، فأُرسل ، ودفع قاتل خارجة إلى أوليائه من بنى عَدِىّ بن كعب ، فقطعوا يديه ورجليه ، ثم حملوه حتى جاءوا به العراق ، فعاش كذلك حينا ، ثم تزوّج امرأة فولدت له غلاما ، فسمعوا أنه ولد له غلام ، فقالوا ، لقد عجزنا حين نترك قاتل خارجة يولَد له الغلمان(1) ، فكلّموا معاوية ، فأذن لهم بقتله ، فقتلوه .

وقال الحروريّ الذى قتل خارجة : أما والله ما أردت إلا عمرو بن العاص ، فقال عمرو حين بلغه : ولكن الله أراد خارجة ، فلما قتل خارجة ولّى عمرو بن العاص شُرَطه السائب بن هشام بن عمرو أحد بنى مالك بن حِسل ، وهشام بن عمرو هو الذى كان قام فى نقض الصحيفة التى كان كتبت قريش على بنى هاشم : ألا ينا كحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه يقول حسان بن ثابت :

هَلْ تُوفِيَنَّ بَنُو أُمَيَّةَ ذِمَّةً ... عَهْدًا ، كَمَا أَوْفَى جِوَارُ هِشَامِ

مِنْ مَعْشَرٍ لاَ يَغْدِرُونَ بِجَارِهِم ... لِلْحَارِثِ بْنِ حُبَيِّبِ بن سُخَامِ

وإِذَا بَنُو حِسْلٍ أَجَارُوا ذِمَّةً ... أَوْفَوْا وأَدَّوْا جَارَهُم بِسَلَامِ

قال ابن هشام ، سخام ، وخالف ابن هشام غيرُه من أهل العلم بالشعر ، فقال : إنما هى سِخَامُ .

وقد كان خارجة بن حذافة القرشيّ ، ثم بنى عدىّ بن كعب قد بنى غُرفة فى عهد عمر بن الخطاب فأشرفت ، فشكت جيرانه إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إلى عمرو بن العاص ، أن انصُبْ سريراً فى الناحية التى شُكِيَتْ ، ثم أَقِمْ عليه

---

(1) فى نسخة ه : فسمع أولياء خارجة بذلك .

رجلا لا جسيما ولا قصيراً ، فإن أشرفت فسُدّها . فسئل يزيد من حدّثك بهذا الحديث ؟ فقال مشائخ الجند .

قال : واختط عبد الرحمن بن عُدَيْس البلوىّ الدار البيضاء ، ويقال ، بل كانت الدار البيضاء صَحْناً بين يدى المسجد ، ودارِ عمرو بن العاص ، مَوْقفاً لخيل المسلمين على باب المسجد حتى قدم مروان بن الحكم مصر فى سنة خمس وستين ، فابتناها لنفسه دارا ، وقال : ما ينبغى للخليفة أن يكون ببلد لا يكون له بها دار ، فبنيت له فى شهرين(١) .

وابن عُديس ممن بايع تحت الشجرة ، ولأهل مصر عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث واحد ، ليس لهم عنه غيره عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسة : أن رجلا حدّثه عن عبد الرحمن بن عُدَيْس أنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج ناس يَمْرُقُون من الدين كما يَمرق السهمُ من الرمية ، يقتلهم الله فى جبل لُبنان والجليل ، أو الجليل وجبل لبنان .

واختط عبد الله بن عويس أخو عبد الرحمن بن عويس عند القبة دار المعافرىّ .

وكانت دار بنى جُمَح بركة يجتمع فيها الماء ، فقال عمرو بن العاص : اختطوا لابن عمّى إلى جانبى ، يريد وهب بن عُمَيْر الجُمَحِى ، وهو ممن شهد الفتح ، فردمت ، وخطّت له .

(١) فى نسخة ا زيادة : قال أبو القاسم بن فريد ، وأخبرنى عبد الله بن سعيد بن عفير قال : حدثنا أبى قال : قال البناءون لمروان : نبنى لك بناء لا يقيم أكثر من مائة سنة ، وكان قال لهم : أريد أن تبنوها أطول ما يكون من البناء ، قال : فبنيت له ، قال : فأخبرنى أبى ، قال : إنى لرائح إلى المسجد فى أيام المهدى لتمام مائة سنة ، فلما صرت فى أول زقاق القناديل إذا الناس راجعون فقلت مالهم ؟ فقالوا : وقعت دار البيضاء كلها فى مرة واحدة ، وكانت بنيت له فى أربعين يوماً .

ويقال بل عمير بن وهب بن عمير ، ويقال : بل هى قطيعة من معاوية .

وكان عمير قد قدم مصر فى أيام معاوية بن أبى سفيان ، فكتب أن يُبْنى له دار ، وكان ما هنالك فضاء ليس لأحد فيه دار ، وكانت مَغيضا الماء ، وهذا مما يحتجّ به على أن ما حول المسجد كان فضاء لموقف خيل المسلمين ، كما فعل عمرو بن العاص حين قدم عليه من بنى سَهْم من لم يكن شهد الفتح ، فبنى لهم دار السِلْسلة التى فى غربىّ المسجد .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : كان وهب بن عُمير أمير أهل مصر فى غزوة عَمُّورية سنة ثلاث وعشرين ، وأمير أهل الشام أبو الأعور السُّلَمى .

واختطّ ابن الحويرث السَهْمِىّ إلى جانب داربنى جُمَح وقبلىّ دار زكريّاء ابن الجَهْم العَبْدَرىّ .

واختطت ثقيف فى ركن المسجد الشرقى إلى السَرّاجين ، وكانت دار أبى عَرَابه خطة حبيب بن أوس الثقفى الذى كان نزل عليه يوسف بن الحكم بن أبى عقيل ومعه ابنه الحجاج بن يوسف مَقْدَم مروان بن الحكم مصر ، ثم لثقيف ما كان متصلاً بدار أبى عَرابة إلى الدرب الذى يخرجك إلى دار فَرَج .

واختط زكرياء بن جَهْم العبدرىّ داره التى فى زقاق القناديل ، وهى دار عباس بن شُرَحْبيل اليوم ذات الحَنِيَّة .

واختط عبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حَسَنة دار عباس بن شرحبيل الأخرى التى إلى جانبها ، ودار سَلَمة بن عبد الملك الطحاوىّ ، حدثنا سعيد بن عُفَير ، حدثنا ابن لهيعة قال : كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة على المَكْس .

قال : واختط أبو ذرّ الغفارىّ دار العُمُد ذات الحمّام التى أخذ بركة بن منصور الكاتب بَيْرَها ، بابها فى زقاق القناديل ، وبابها الآخر مما يلى دار بركة ،

ومن هنالك راجعاً إلى سوق بَرْبَر إلى قصر ابن جبر قِبَلك خطّة غفار ، وكان ابن جبر قد والى غفار ، وابن جبر هذا كان رسول المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية وأختها و بما أهدى معهما ، وتزعم القبط أن رجلا منهم قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريدون ابن جبر ؛ وأبو ذرّ الذى كان عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مصر ما عهد .

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم حدثنا رشدين بن سعد، وحدثنا عبدالملك ابن مسلمة، حدثنا ابن وهب عن حرملة بن عمران عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال : سمعت أبا ذرّ يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمّة ورحماً ، فإذا رأيتم أخوين يقتتلان فى موضع لبنة فاخرج ، فمرّ بعبد الرحمن وربيعة ابنى شرحبيل بن حسنة ، وهما يتنازعان فى موضع لبنة فخرج منها .

قال ابن وهب: سمعت الليث يقول لا أرى النبى صلى عليه وسلم قال له ذلك، إلا للذى كان من أمر أهل مصر فى عثمان .

واختط إياس بن عبد الله القارىء غربى دار بنى شرحبيل بن حسنة .

واختط رويفع بن ثابت وعقبة بن كريم الأنصاريّان مع ربيعة وعبدالرحمن ابنى شرحبيل بن مسلمة .

واختط رُوَيفع بن ثابت الأنصارى أيضاً الدار التى صارت لبنى الصِمّة ، وتوفى رويفع بن ثابت ببَرقة ، وكان قد وليها .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال: ولى رُوَيفع بن ثابت أَنطَابُلُس سنة ثلاث وأربعين .

واختط أبو فاطمة الأزدىّ دارا لدَوْسىّ والدار التى فيها أصحاب الحمائل اليوم، ولهم عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث واحد ، وهو ابن لهيعة عن الحارث

ابن يزيد، حدثنى كثير الأعرج الصَدَفى قال: وهو معنا بذى الصوارى يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا فاطمة أكثر من السجود ، فإنه ليس مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة ، حدثناه أبو الأسود وسعيد بن أبى مريم عن ابن لهيعة ، وقد رواه عنه غير أهل مصر .

قال : والدار التى كان يسكنها عمرو بن خالد خطّة لرجل من بنى تميم ، وأصحاب السَويق أيضاً خطة لرجل من بنى تميم كان شهد الفتح ، ثم اشترى ذلك عمرو بن سُهَيل من بعده .

واختط عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح داره اللاصقة بقصر الروم ، يقال لها دار الجنيّة، والدار التى يقال لها دار الموز ، وليس قصره هذا الكبير الذى يعرف بقصر الجنّ خطة، وإنما بناه بعد ذلك فى خلافة عثمان بن عفان ، أمر ببنائه حين خرج إلى المغرب لغزو إفريقية .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة أنه سمع يزيد بن أبى حبيب يذكر أن المقداد كان غزا مع عبد الله بن سعد إفريقية ، فلما رجعوا قال عبد الله للمقداد فى دار بناها ، كيف ترى بنيان هذه الدار ؟ فقال له المقداد : إن كان مال الله فقد أَسْرَفْتَ ، وإن كان من مالك فقد أفسدت . فقال عبدالله بن سعد: لولا أن يقول قائل أفسد مرتين لهدمتها .

وكان عبدالله يكنى بأبى يحيى ، ولهم عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث واحد، ليس لهم عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم غيره، وهو حديث ابن لهيعة عن عياش ابن عباس القِتبانى عن الهَيثم بن شَفىّ أبى الحُصَين عن عبد الله بن سعد بن أبى سرح قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرة من أصحابه معه ، أبو بكر، وعمر ، وعثمان ، وعلى، والزبير ، وغيرهم على جبل إذ تحرك بهم الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسكن حراء ، فإنه ليس عليك إلا نبىّ أو صدّيق أو شهيد . ولهم عنه حكايات فى نفسه ، لم يرو عنه غير أهل مصر .

واختط كعب بن ضِنّة ، ويقال كعب بن يسار بن ضنة العبسيّ الدار التى فى طرف زقاق القناديل مما يلى سوق بربر ، تعرف بدار النخلة ، وكعب هو ابن بنت خالد بن سِنان العبسيّ أو ابن أخته ، قال عبد الرحمن : أنا أشك .

وخالد بن سنان الذى تزعم فيه قيس أنه كان نبياً فى الفترة فيما بين النبى وعيسى صلوات الله عليهما .

ولخالد بن سنان حديث فيه طول ، حدثنا المقرىء عبد الله بن يزيد ، حدثنا حَيْوَة بن شُريح . حدثنا الضحاك بن شُرحبيل الغافقيّ عن عمار بن سعد التُّجيبيّ ، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن يجعل كعب بن ضِنّة على القضاء ، فأرسل إليه عمرو ، فأقرأه كتاب أمير المؤمنين ، فقال كعب : لا والله لا يُنجّيه الله من الجاهلية وما كان فيها من الهلكة ثم يعود فيها بعد إذ نجّاه الله منها ، فأبى أن يقبل القضاء ، فتركه عمرو .

قال ابن عفير . وكان كعب بن ضِنّة حكما فى الجاهلية .

ولقيس أيضا الدار التى تعرف بدار الزير ، وهى اليوم لبنى وَردان ، وكان يقال لزقاق القناديل زقاق الأشراف ، لأن عمراً كان على طرفه مما يلى المسجد الجامع ، وكعب بن ضِنّة على طرفه الأخر مما يلى سوق بربر ، وفيما بين ذلك دار عياض بن جُرَيْبة الكلبيّ ؛ وهبها له عبد العزيز بن مروان ، ودار بن حُذَيْفة الكلبى ، ودار أبى فراس الكنانى ، ودار نافع بن عبد القيس الفهرىّ ، ويقال بل هو عقبة ابن نافع ، ودار محمد بن عبد الرحمن الكنانى ، ودار أبي ذرّ الغفاريّ ، ودور ربيعة وعبد الرحمن ابنى شرحبيل بن حسنة ، وإياهم يتولى بكر بن مُضَر ، ودار زكرياء بن الجهم العبدريّ ، ودار إلياس بن عبد الله القارىء ، ودار أبى حكيم مولى عتبة بن أبى سفيان ، بناها له معاوية بن أبى سفيان .

واختط ابن عَبَدة داره التى فى السرّاجين وفيها العقّابين اليوم ، وصارت

لبنى مسكين ، وكانت دار نَصْر لرجل من قريش ، فمات ، فاشتراها عبد العزيز بن مروان ، فوهبها للإصبغ .

ودار سهل التى فيها السرّاجين وحمّام سهل كان ذلك لعبد الله بن عمرو بن العاص اشتراها ، فوهبها لابنته أم عبد الله ابنة عبد الله بن عمرو فتزوجها عبد العزيز ابن مروان ، فأولدها سَهْلا وسُهَيلا ، فورثاها من أمّهما .

والقصر الذى يقال له قصر مارِّية كان خطّة لابن رفاعة الفهمى ، فوهبه لعبد العزيز بن مروان فبناها لأمّ ولد له رومية ، يقال لها مارية ، فنُسب إليها ، ويقال : إنه عوّضه من ذلك موضعه بالحَمْراء ، ويقال : بل ذلك خِطّتهم ، ثم هدمه عيسى ابن يزيد الجلوديّ ، مَدْخَلَه مصر مع عبد الله بن طاهر فبناه سجنا ، وهو السجن الذى عند مَحْرس بُنَاته عند منزل عمرو بن سَوّاد السَّرْحِيّ ، وبناته كانت حاضنة لبعض بنى مروان أو ظِئْرَالهم ، فنسب المحرس إليها . ومارية أم محمد بن عبد العزيز ، ولم يعقِّب .

وقد كان عمرو بن العاص كما حدثنا سعيد بن عفير عن ابن لهيعة عن ابن هُبيرة قد دعا خالد بن ثابت الفهمى جدّ بنى رِفاعة ليجعله على المَكْس ، فاستعفاه ، فقال عمرو : ما تكره منه ؟ قال : إن كَعْبا قال ، لا تقرُب المكس ، فإن صاحبه فى النار .

واختط جَهْم بن الصلت المطّلبىّ مما يلى أصحاب الزيت الدارَ التى تقابل حمّام بُسْر .

واختط ابن مُلْجم بالراية فى أصحاب الزيت الدار المبنىّ وجهها بالحجارة .

واختط إياس بن البُكير وابنه تميم بن إياس الدار التى عند دار ابن أبرهة ، الدار التى فيها أصحاب الأوتاد النافذة إلى السوق ، وهو إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيَرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حُلَفاء بنى عدى بن كعب .

واختط مجاهد بن جبر مولى بنت غَزْوان داره التى فى النحّاسين التى صارت لصالح صاحب السوق .

واختط أبو شَمِر بن أَبْرَهة إلى جنب دار شُتَيم الليثى .

واختط ابن وَعْلة إلى جنبه ، فأخذوا ومن معهم إلى سوق الحمّام والدور التى كانت لبنى مروان ؛ وأخبرنى حُميد بن هشام الحِمْيرىّ قال ليس لابن أبرهة خُطّة بفسطاط مصر ، وإنما خطّتهم بالجيزة ، وإنما صارت المنازل التى لهم بالفسطاط وارثة ، ورثوها من الوَعْلِيّة ، لأنهم كانوا صاهروا إلى ابن وَعْلة ، فصارت المنازل لهم بالميراث . وكان بنو أبرهة أربعة ، كُرَيب بن أبرهة أبو رِشْدين ، وأبو شَمِر بن أبرهة ، ومعدى كرب بن أبرهة ، ويَكْسُوم بن أبرهة .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ابن لهيعة قال : هاجر كريب بن أبرهة وأخوه أبو شمر بن أبرهة فى خلافة عمر بن الخطاب ، حدثنا هرون بن عبد الله الزُّهْرىّ ، حدثنا محمد بن عمر ، أخبرنى عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن أبى حبيب أن عبد العزيز بن مروان سأل كريب بن أبرهة بن الصباح عن خُطْبة عمر بن الخطاب بالجابية أشهدتَها؟ فقال : شهدتها وأنا غلام علىّ إزار ، أسمعُها ولا أعيها ، ولكن أدلّك على من سمعها وهو رجل ، قال : منْ ؟ قال : سفيان بن وهب الخولانىّ ، فأرسل إليه ، فسأله ، فقال : أشهدت عمر بالجابية ؟ قال : نعم . ثم ذكر الحديث .

حدثنا سعيد بن عُفير ، حدثنا ميمون بن يحيى عن مَخْرَمة بن بُكير عن يعقوب بن عبد الله بن الأشَجّ قال ، قدمت مصر فى أيام عبد العزيز بن مروان فرأيت كريب بن أبرهة يخرج من عند عبد العزيز وإن تحت ركابه خمسمائة رجل من حِمْيَر .

واختط كعب بن عَدىّ العبادىّ فى القَيْسارية ، فلما أراد عبد العزيز بناءها اشتراها منهم وخطّ لهم دارهم فى بنى وائل .

والحمام الذى يعرف اليوم بحمام أبى مُرّة كان خطة لرجل من تنوخ ، هو جدّ ابن عاقمة أو أبوه ، فسأله أياه عبد العزيز بن مروان ، فوهبه له، فبناه حماماً لزبّان بن عبد العزيز ، وبزبّان كان يعرف ، وفيه يقول الشاعر :

مَنْ كانَ فى نَفْسِهِ للبَيْضِ مَنْزِلَةٌ   فليأْتِ أبيضَ فى حمّامِ زبّانِ
لا رُوحَ فيهِ وَلا شُفْرٌ يُقَلِّبُه   لكِنَّهُ صَنَمٌ فى خَلْقِ إنسانِ

فى أبيات له .

وكان فيه صنم من رخام على خلقة المرأة ، عجبٌ من العجب حتى كُسرت فى السنة التى أمر يزيد بن عبد الملك فيها بكسر الأصنام ، وكان أمر بكسرها فى سنة اثنتين ومائة ، وغرس له عبد العزيز نَخْلَهُ التى بالجيزة اليوم التى تعرف بجنان كعب عوضا من ذلك .

واختط الزبير بن العوام داره التى بسوق وردان اليوم ، والخطّة لبِلَىّ ، وفيها السلم الذى كان الزبير نصبه وصعد عليه الحصن ، وفيها كان عبد الله بن الزبير ينزل إذا قدم مصر فيما ذكر بعض المشائخ ، وقدكان عبد الملك بن مروان اصطفاها ، فردّها عليهم هشام بن عبد الملك ، ثم أخذها منهم يزيد بن الوليد ، فلم تزل فى أيديهم حتى كانت ولاية أمير المؤمنين أبى جعفر ، فكلّمه فيها هشام ابن عروة ، وكانت لهشام ناحية من أبى جعفر، فأمر بردّها عليهم ،وقال : ما مثلُ أبى عبد الله — يريد الزبير — يؤخذ له شىء .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن الزبير ابن العوام اختط بالفسطاط .

واختط أبو بصرة الغفارىّ عند دار الزبير بن العوام ، وأقرّ عمرو بن العاص القصر لم يقسمه وأوقفه ؛ ولأهل مصر عن أبى بصرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث منها ، حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن يزيد بن أبى

حبيب عن أبى الخير عن أبى بصرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنا راكبون غدا إلى يهود ، فإذا سلّموا عليكم فقولوا : عليكم .

ومنها حديث الليث بن سعد عن خير بن نُعيم عن عبد الله بن هُبَيرة عن أبى تميم الجيشانى عن أبى بصرة الغفارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى صلاة بالمُخَمَّص وادياً من أوديتهم ، ثم انصرف ، فقال : إن هذه الصلاة قد عرضت على من كان قبلكم فتوانوا عنها ، وتركوها ، فمن صلاها منكم كتب الله له أجرها ضعفين ؛ ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد .

حدثناه عبد الله بن صالح وحدثناه إدريس بن يحيى الخولانى عن ابن عياش القِتْبانى عن ابن هبيرة .

ومنها حديث الليث أيضا عن يزيد بن أبى حبيب عن كُلَيب بن ذُهْل الحضرمى عن عُبيد بن جَبْر أنه سافر مع أبى بصرة الغفارى فى رمضان ، فلما دفعوا من الفسطاط دعا بطعام ونحن ننظر إلى الفسطاط ، فقلت له : نأكل ، ولو نريد أن ننظر إلى الفسطاط نظرنا ؛ فقال : أترغب عن سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟ فأفطرنا .

ومنها حديث ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبى الهيثم عن أبى بصرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل فى معىً واحد . حدثناه سعيد بن عفير

قال : واختطت أسْلَمَ مما يلى دار أبى ذرّ ، ومن خططها دار الصّبّاح ، والزقاق الذى فيه دار ابن بُلاَدَه ، الشرق منه لأسلم ، ولهم أيضا من قصر ابن جبر إلى الحجّامين الذين بسوق بربر ؛ ويزعم بعض مشائخ أهل مصر قال : ولخُزامة داران ، الدار التى تُنسب إلى ابن نيزَك ، كانت لرجل منهم ، يقال له الحارث بن فلان ، أو فلان بن الحارث ، والدار التى جانبها تليها القضاة .

واختطّ اللّيثيّون الذين كانوا مع عمرو بن العاص ، وهم آل عُرْوَة بن شكَيْم عند أصحاب القراطيس ، واختط خلفهم بُسرْ بن أبى أرطاة .

ولبنى مُعاذ بن مُدْلج داران ، أحداهما فى زقاق عبد الملك بن مسلمة ، كانت لأشهب الفقيه ، والأخرى فى عَقَبَة سوق بربر فى الزقاق الذى فيه دار مُصْعَب الزهرىّ .

ولَعَنْزَة من ربيعة دور مجتمعة ، نحوٌ من عشر ، ومسجد فى أصل العَقَبة التى عند دار ابن صامت .

واختطت بلىّ خَلْفَ خارجة بن حُذَافة ، ثم مضوا بخِطّتهم من دار عمرو بن يزيد إلى دار سلمة ودار واضح حتى جازوا دار مُجاهد بن جبر إلى درب الزجاج ، ثم مضوا حتى شرعوا فى أصحاب الزيت ، ثم مضوا يشرعون فى قِبلة سوق وردان حتى بلغوا مسجد القُرون ، ثم داخل الزقاق إلى مسجد بنى عَوْف من بلىّ ، وهو المسجد الذى فى الزقاق ، ودار ابن يَبُولَةَ التى بسوق وردان جزاء إلى المعاصير .

وكانت بلىّ إنما يقفون عن يمين راية عمرو بن العاص لأن أم العاص بن وائل بَلَوِيّة .

حدثنا عبد الملك بن هشام ، حدثنا زياد بن عبد الله عن محمد بن اسحق أن أم العاص بن وائل امرأة من بلىّ بمصر كما حدثنا العباس بن طالب عن عبد الواحد ابن زياد عن عاصم الأَحْوَل عن أبى عثمان النّهْدِىّ قال : نادى رجل من بلىّ — وهو حىّ من قضاعة — بالشام ، يا آل قضاعة . فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فكتب إلى عامل الشام أن تُسَيِّر ثُلث قضاعة إلى مصر ، فإذا بلىّ ثُلْثُ قضاعة ، فسُيِّروا إلى مصر .

قال : ثم اختطت بنو بَحْر مما يلى بلىّ ، وهم قوم من الأزد فى لخم ، ثم شرعوا إلى البحر .

ثم اختطت بعدهم الحمْراء ، وسأذكر حديثهم فى موضعه إن شاء الله .

ثم شرعت طائفة من سَلامان البحر ، ثم شرعت من بعدهم طائفة من فَهْم وكنانة فَهْم ، ثم الحمراء أيضا إلى القَنْطرة .

وكان أول القبائل بَلِىٌّ أهلِ الراية مما يلى بلىّ بن عمرو ، والراية قريش ومن معها ، وإنما سُمِّيت الراية لراية عمرو بن العاص ، حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة قال : الراية قريش ، كانت معهم راية عمرو بن العاص ، ويقال إنما سميت الراية ، أن قوما من أفناء القبائل من العرب كانوا قد شهدوا مع عمرو ابن العاص الفتح ، ولم يكن من قومهم عدد ، فيقفوا مع قومهم تحت رايتهم ، وكرهوا أن يقفوا تحت راية غيرهم فقال لهم عمرو : أنا أجعل راية لا أنسبها إلى أحد أكثر من الراية ، تقفون تحتها ، فرضوا بذلك ، فكان كل من لم يكن لقومه عدد وقف تحتها ، فقيل الراية من أجل ذلك ، والله أعلم .

والحِجْرُ من الأزد فمسجد الهَيْثَم حتى تبلغ زقاق السمىّ ، ثم يَرْفَا ، ثم شُجاعة ، ثم تُراد ، ثم لقيتها هُذَيل وفَهْم ، ثم قطعت هذيل بينهم وبين سَلامان حتى انتهت هُذَيل إلى سُوَيقة عَدْوان ، وهى السُوَيْقة التى عند زقاق المكىّ ، فدار سَبرة والزقاق الذى كان ينزله بن الأغلب إلى هذه السويقة لهُذَيل ، والزقاق من كُتّاب إسماعيل إلى منزل بُنانة لفَهْم ؛ ومسجد الهيثم بناه الحكم بن أبى بكر ابن عبد العزيز بن مروان ، فهو من الاصْطَبْل ، وكان الاصطبل للأَزْد فاشتراه منهم الحكم ، فبناه ؛ وكان يُجرى على الذى يقرأ فى المصحف الذى وضعوه فى المسجد الذى يقال له مصحف أسماء لمن كراه فى كل شهر ثلاثة دنانير .

فلما حِيزت أموالهم وضمت إلى مال الله ، وحيز الاصطبل فيما حيز كُتب جامع المصحف إلى أمير المؤمنين أبى العباس ، فكتب أن أقِرّوا مصحفهم فى مسجدهم على حاله ، وأجروا على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير من مال الله فى كل شهر .

وكان سبب المصحف فيما حدثنا يحيى بن بُكير وغيره، يزيد بعضهم على بعض، أن الحجاج بن يوسف كتب مصاحف، و بعث بها إلى الأمصار، ووجّه بمصحف منها إلى مصر، فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك، وقال: يُبْعَث إلى جند أنا به بمصحف. فأمر فكتب له هذا المصحف الذى فى المسجد الجامع اليوم؛ فلما فرغ منه، قال: مَن وجد فيه حرفاً خطأً فله رأس أحمر[1] وثلاثون ديناراً؛ فتداوله القراء، فأتى رجل من أهل الحمراء، فنظر فيه، ثم جاء إلى عبد العزيز، فقال: قد وجدت فى المصحف حرفاً خطأً. قال: مصحفى؟ قال: نعم، فنظروا فإذا فيه « إنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً » فإذا هى مكتوبة « نَجْعَةً » قد قدمت الجيم قبل العين؛ فأمر بالمصحف، فأصلح ما كان فيه، ثم أمر له بثلاثين ديناراً ورأس أحمر.

ثم توفى عبد العزيز فاشتراه فى ميراثه أبو بكر بن عبد العزيز بألف دينار، ثم توفى أبو بكر، فبيع فى ميراثه فاشترته أسماء ابنة أبى بكر بن عبد العزيز بسبعمائة دينار فأمكنت منه الناس، وشهرته، فنُسب إليها؛ ثم توفيت أسماء فاشتراه الحكم بن أبى بكر، فجعله فى المسجد وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير فى كل شهر من كِراء الاصطبْل، والحكم بن أبى بكر الذى بنى المسجد المعروف اليوم بقُبَّة سوق وَرْدان.

قال: ثم عَدْوان حتى تنتهى إلى السوق، ثم لقيتهم سَلامان، فدار ابن أبى الكَنُود شارعة فى سويقة عَدْوان، وزقاق المكىّ خطة دارِس، ونفر من يَرْفا، ثم مضت سلامان حتى شرعوا فى البحر إلى جِنان حُوَىّ، ثم اعترضتهم كِنانة من فَهْم، فلهم من زقاق ابن رفاعة حتى يشرعوا فى البحر، ثم تلَقّى سلامان من تِلقاء جنان حُوَىّ بنو يشكر من لَخْم فجنان حُوَىّ، وسفح الجبل الغربى

---

(١) عبد حبشى.

ليشكر بن جَزِيلة من لخم ، وثمّ خطة عُلَيّ بن رَبَاح اللَّخمى بالحمراء عند جنان حُوَىّ على يسارك وأنت ذاهب تريد القنطرة .

قال : واختطت مَهْرَة أول ما دخلت بدار الخيل وما والاها على سَفح الجبل الذى يقال له جبل يَشْكُر مما يلى الخندق إلى شرقىّ العسكر إلى جنان بنى مسكين اليوم .

وكان مسجد مهرة هنالك ، قُبّة سوداء حتى أدخله طَرِيف الخادم فى دور الخيل حين بناها .

وكانت جنان بنى مسكين اليوم خطّة لرجل من مهرة يقال له الجرّاح ، فمات ولم يترك عقبا ، فقدم شُرَيح بن ميمون المهرىّ فورثه وتزوج امرأته ، وعقد له على البحر ، فلم يكن يُعْلَم مَدَدِىّ نال من الشرف فى زمانه ما نال إلا تَوْبة بن نَمِر الحضرمى ، كان مَدَدِيًّا ، فولى القضاء .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : قدمت سُفُن إفريقية سنة ثمان وتسعين ، عليهم ابن أبى بُرْدة ، فغزوا هم وأهل مصر ، عليهم شُرَيح بن ميمون ، فَشَتَوْهم ، والسفن الأولى عمر بن هبيرة وأبو عبيدة على أهل المدينة بالبُنْطُس .

وكانت منازل مهرة قبلىّ الراية مما يلى منازل ابن سعد بن أبى سرح حَوْزاً حازوه ، وكانوا إذا أتوا الجُمُعة ربطوا خيولهم ، ثم نقلهم عمرو بن العاص بعد ذلك وضمّهم إليه ، وعطلوا منازلهم هنالك ، فذهبت مَهرة بخطتها حتى لقيت غافقا فى السوق ، ولقوا الصدف ، ولقوا غَنْثًا مما يلى الغرب .

واختطت لخم ، فاختطت قبلى ثقيف مما يلى السَرّاجين فالدار التى صارت لعيّاش بن عُقبة لهم ودار الزَلاَّبية ، ومضوا بخططهم إلى عَقَبة مَهْرة إلى زقاق أبى حكيم ، ومعهم نفر من جُذام ، ثم انحدروا فى زقاق وردان ، مولى ابن أبى سَرْح .

وثمّ خطّة أبى رُقَيّة اللَّخمىّ ، ومنزله هنالك قائم بحاله لم يغيّر ، يقابل المسجد

الذى عند دور بنى وردان، ثم انحدروا إلى مسجد عبد الله، فما كان عن يمينك وأنت تريد المسجد الجامع فى الطريق إلى دور الوَرْدانيين من مسجد عبد الله فهو للخم، وما كان عن يسارك فلغافق، ثم جازت لخم بخطّها إلى دور مَطَر التى بسوف برير، فإن الأزد تلقاهم بدور أبى مريم، وباقى خطها فإن ذلك لحِجْر وحاء.

ومسجد حاء المسجد الذى عند دار اسحق بن مُتوكل ذو المنارة، والمسجد الذى على الطريق وأنت تريد إلى مَخْرَس ابن أبى حبيب مجلس كان لهم، يجلسون فيه فاذا أقيمت الصلاة خرجوا من خَوْخَات لهم ثلاث شَوَارِع إلى الطريق، فاذا صلوا رجعوا إلى مجالسهم، ثم يلقون حُشَياً ومَازِناً من الأزد مما يلى دار ابن فُلَيْح ثم يلقون تَنُوخاً مما يلى دار البراء بن عثمان بن حَنَيف، ثم يلقون غَنْثاً من الأزد مما يلى دار ابن بَرْمَك التى كانت الوكلاء تنزلها، فذلك الزقاق والرَحْبة وما شرع فى مسجد عبد الله من دار ابن الهيْثَم الأيْلى وما بينهما، فَلغَنْث من الأزد إلى منزل أشهب، وإذا سلكت زقاق أشهب فما كان عن يمينك وأنت تريد المَوْقف فهو لغافق، وما كان عن يسارك فهو للأزد حتى تنتهى إلى الموقف، والموقف كان لابنة مَسْلَمة بن مخلّد، فتصدقت به على المسلمين، ودار أبى قدامة أيضا مما كانت تصدقت به، ودار إبراهيم بن صالح، وهى دار بنى عبد الجبار من غافق.

ثم مضت الأزد حتى أخذت ما شرع فى السويقة قُبالة دار سعيد بن عُفَيْر، وزقاق الرّواسين حتى تنتهى إلى دار حُوَىّ ودار عبد الرحمن بن هاشم، ثم تَلَقّى مما يلى السويقة العُتَقاء، وهم قليل، ومسجد العتقاء هنالك مشهور؛ وللعتقاء من دار زياد الحاجب حتى تهبط إلى بَيْطَار بلال إلى السوق.

وكان زهير بن الحارث الحجْرِىّ حَجْرَ حِمْيَر، كان عداده فى العتقاء، وكان عريفَهم، وكان سعيد بن الجَهْم يقول لعبد الرحمن بن القاسم: أنت منا، فيضيق لذلك — يعنى أن زبيد بن الحارث من حَجْر، وأنه مولى لهم — وكان عبدالرحمن ابن القاسم يتولى العُتقاء.

فاذا جئت من السويقة وأنت تريد المسجد الجامع فما كان عن يمينك فللأزده وما كان عن يسارك مما يلى محرّس أبى حبيب فلهم ، ثم تلقاهم شُجاعة بسقيفة الغزل ، وتلقاهم فهم عند كُتّاب اسماعيل، وتلقاهم بنو شَبَابة الأزد عند دار حوىّ، فما كان على الخط الأعظم إذا انتهيت إلى درب دار حُوَىّ وتركته ، وأَمَّمْتَ العسكر فهو لفَهْم حتى تبلغ العسكر ، وتلك خطة بنى شَبَابة من فَهْم، ولبنى شبابة أيضا المسجد الذى له المنارة التى تخرجك إلى سَقيفه تُرْكِىّ. ولهم أيضا المسجد الذى فى رحبة السُّوسىّ ، وإذا هبطت من درب حُوَىّ البحرىّ وقعت فى هُذَيل ، فما كان عن يمينك وأنت تريد الخندق فلهُذَيْل وما كان عن يسارك فلدهْنَة من الأزد حتى تلقى يشكر من لخم فى جبل يشكر .

ثم اختطت غافق بين مهرة ولخم ، ثم مضوا بخططهم حتى برزوا إلى الصحراء مما يلى الموقف ، ولقوا من وجه مهبّ الشمال لَخْماً وغنْثاً ، ولقوا مما يلى القبلة الصَدِف ومهرة ، واختطت فاتسعت خططها لكثرتهم .

وكانت غافق كما حُدّثنا عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ثُلُث الناس مدخَلَ عمرو بن العاص مصر ، ولغافق من درب السرّاجين إلى دور بنى وردان، فما كان عن يمينك فلغافق حتى تنتهى إلى مسجد فَهْم الجَرَات ، ثم جرى إلى الصَّفا إلى مسجدىْ حُذْران ، وحُذْران بطن من غافق، إلى مسجد أُحْدُب و إلى مسجد الزمام فى موضع مسجد الزمام دفن محمد بن أبى بكر الصّديق فيما يزعمون .

ثم ارجع إلى حمّام سهل فما كان عن يسارك وأنت تريد مهرة فلغافق ، وثمّ زقاق حَمْد من غافق الذى قبالة حمّام سهل الذى للنساء ، وفيه مسجد أبى موسى الغافقى ليس فى الزقاق مسجد غيره ، ولأبى موسى صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسم أبى موسى عبد الله بن مالك ، ولهم عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان .

حدثنا محمد بن يحيى الصَدَفى ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث ، أن يحيى بن ميمون الحضرمىّ حدّثه عن وَدَاعة الجُدِىّ ، حدثه ، أنه سمع أبا موسى الغافقى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من افترى علىّ كذبا فليتبوأ بيتا — أو مَقْعَداً — من النار .

حدثنا أسد بن موسى وسعيد بن عفير قالا ، حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله ابن سليمان عن ثعلبة أبى الكنود عن عبد الله بن مالك ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا توضأت وأنا جنب أكلت وشربت ، ولا أصلى ولا أقرأ حتى أغتسل .

ثم جرى إلى زقاق الموزة ، فإذا جاوزت زقاق الموزة إلى مسجد سيبان ، وهو المسجد ذى القبة الذى عند دار خالد بن عبد السلام الصدفى (وسيبان من مهرة) فما كان عن يسارك وأنت تريد إلى سقيفة جواد فلغافق ، وما كان عن يمينك فلصدف إلى مسجد أحدب إلى ما فوق ذلك إلى الدرب الذى يخرجك إلى الصحراء ، غير أن دار ابن سابور ، وهى الدار التى صارت لإسماعيل بن أسباط خِطّة رجل من حِمْير .

وللربّانيّين أيضاً من غافق من دار مَطَر ما كان عن يمينك وأنت تريد إلى مسجد عبد الله ، وعبد الله الذى يُنسب إليه المسجد هو عبد الله بن عبد الملك ابن مروان ، وكان عبد الملك ولاّه مصر بعد موت عبد العزيز بن مروان ، وكانت ولايته فى جمادى سنة ست وثمانين كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد ، وكان حَدَثاً ، وكان أهل مصر يسمونه مَكَيِّسًا ، وهو أول من نقل الدواوين إلى العربية ، وإنما كانت بالعجميّة ، وهو أول من نهى الناس عن لباس البرانس ، ثم إلى دار ابن هُجالة الغافقى ، فإذا بلغت دار ابن هُجالة فلغافق ما كان عن يمينك وعن شمالك .

وفى دار ابن هجالة كان تغيّب محمد بن أبى بكر حين دخل عمرو بن العاص مصر عام المُسَنّاة ، وكانت المُسَنّاة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد فى صفر سنة ثمان وثلاثين .

وكانت للغافقى أخت ضعيفة ، فلما أقبل معاوية بن حُدَيج ومن معه فى طلب قتلة عثمان قالت أخت الغافقى : من تطلبون ؟ محمد بن أبى بكر ؟ أنا أدلكم عليه ولا تقتلوا أخى ، فدلّتهم عليه ، فلما أخذ قال : أحفظوا فىّ أبا بكر . فقال معاوية بن حُدَيج : قتلت سبعين من قومى بعثمان وأتركك وأنت قاتله ؟ فقتله .

وهى الدار الملاصقة بمسجد الزنج . تعمل على بابها النعال السِنْدِيّة وفى داخلها الأرْحاء . ولغافق من مسجد بادى إلى دار إبراهيم بن صالح إلى مسجد القَرّاط . وتلك دِهْنَة غافق . ولغافق من الخطة أكثر مما ذكرنا غير أن هذه جُمَلُها .

واختطت الصَدِف قبلىّ مهرة ، فمضوا بخططهم حتى برزوا بطرف منها ، فلقوا حضرموت دون الصحراء ، ولقوا ما يلى القبلة بنى سعد من تُجيب ، ولقوا آل أَيْدَعان بن سعد ، ولقوا بطرف منها سِلْهَماً من مُراد ، ثم لقوا حضر موت ، حالوا بينهم وبين الصحراء ، وكانت راية الأجْذُوم مدخَلَ عمرو مع حَيّان — أو حبّان — بن يوسف ، فلما استقرت الصَدِف عُرِّفَ عليهم عمران بن ربيعة ، فأقام عريفا سنين ، ثم عُرّف ابنه ، ولم يزل بالبلد منهم قوم لهم شرف وسخاء ، كان منهم ابن سُليك الصدفى .

واختطت حضرموت وبطن من يَحْصُب فيهم فى موضعهم اليوم ، فى زمان عثمان ابن عفان إلا عبد الله بن المتهلّل ، ودخل مع عمرو بن العاص الفسطاط من حضر موت عبد الله بن كُليب من الأشْباء خطّتُه فى آل أَيْدَعان عند دار ابن الرَوّاغ ؛ ومالك بن عمرو بن الأجدع من الحارث ، وداره دار هبيرة بن أبيض ، والمُلامس

ابن جَذِيمة بن سَرِيع ، وخطته عند الصفا عند دار الفَرَج بن جعفر ؛ ونَمِر بن زُرْعة بن نَمِر بن شاجى البَبِّىّ، والأَعْيَن بن مالك بن سريع ، وأبو العالية مولًى لهم ، وهو جدّ أبى قَنان ؛ وكانوا مع أخوالهم فى تُجيب ، ثم قدمت مادّتُهم فى أيام عثمان فاختطوا شرقى سِلْهِم والصَدِف حتى أصحروا ، فتحول إليهم من أراد التحوّل ممن كان منهم بتُجيب .

واختط بمكانهم عبد الله بن كُلَيب من الأشباء خطته فى بنى أيدعان عند دار ابن الروّاغ ، وكان أخوه قيس بن كليب فى حُجّاب عمرو بن العاص أيام معاوية ، وهو فتى شاب جميل ، فرآه معاوية مع عمرو فقال : من هذا الفتى ؟ فقال عمرو : أحد حُجّابى . فقال معاوية : ما يُعان من حجبه مثل هذا . ثم حجب بعد ذلك عبد العزيز بن مروان .

وفى قيس بن كليب يقول أبو المُصْعَب البَلَوِىّ فى قصيدته التى هجا فيها أشراف مصر .

وَظِلْتُ أُنادِى الكُماة قيسًا لِتُدْخِلَنِى وَقَدْ حضَرَ الغَدَاء
ولَيْسَ بماجِدِ الجَدّات قيسٌ ولكن حضرميات قِمَاء
وَأَعْرَضَ نفْحهُ اليَرْبُوعُ عَنِّى يَزِيدُ بَعْدَ ما رُفِعَ اللِّوَاء[1]
أشار بكَفّهِ اليُمْنى وكانتْ شِمالاً لا يَجُوزُ لها عطاء
أُكلّمُ عائذاً ويَصُدُّ عَنِّى وَيمْنعُهُ السّلامَ الكِبْرِيَاء
وَجُرْفٌ قَدْ تهدّمَ جانِباهُ كُرَيْبٌ ذاكُمُ البَرِمُ العَياء
وَأَمّا القَحْزَمِىُّ فَذاكَ بَغْلٌ أَضرَّ بِهِ مَعَ الدَّبَرِ الحَفَاء[2]
وَهذاكَ القُصَيِّرُ مِنْ تُجِيبٍ وَلَوْ يَسْتَطِعُ ما نفَضَ الخَلاء

---

(١) اليربوع : نوع من الفيران .

(٢) قحزم الرجل : حرفه عن قصده .

وتروى : أَضَرَّ بِهِ مَعَ الدَّبَرِ الخُصاءُ .

قال : وكان معاوية إذا قدم عليه أحد من أهل مصر سأله ، هل تَرْوِى قَصِيدَ أبى المصعب ؟ ، وهذه الأبيات فى قصيدة له ، يريد بيزيد يزيد بن شُرَحبيل بن حَسَنة ، وقيسَ قيسَ بن كليب الحاجب ، وعائذ بن ثعلبة البلوىّ ، وقتل عائذ بالبَرَلُّس[1] فى سنة ثلاث وخمسين مع وردان مولى عمرو بن العاص وأبى رُقَيَّة اللخمىّ ، وسأ ذكر حديثهم فى موضعه إن شاء الله ؛ والقَحْزَمىّ عمرَو ابنَ قَحْزَم وكريبَ بن أبرهة ، والقصير من تُجيب زياد بن حُناطة التجيبى ، ثم الخلاوىّ ، وهو صاحب قصر ابن حناطة الذى بتُجيب .

ولم يزل الملامس بن جذيمة عريفَ حضرموت ، يَدَّعُون له الأشياء والحارث حتى كان زمان معاوية بن أبى سفيان فإنه وقع بين مسلمة بن مُخَلَّد وبين الملامس كلام ، فاستأذن الملامس معاوية فى النقلة إلى فِلَسْطِين بحضرموت ، فأذن له ، وكتب له بذلك إلى مسلمة ، فكره مسلمة ذلك ، فقال له رجل من حضرموت يقال له فلان بن مسلم : أنا أمشى بينهم فأُكَرِّه إليهم الخروج . ففعل . فلما تَنَجَّز الملامس ذلك من مسلمة قال له : إن رضى قومك .

ثم جمعهم ، فذكر لهم ماقال الملامس ، فقال رجل منهم : مانفارق بلادَنا .

فقال له : من أنت ؟

فقال . أنا ابن أُمَيَّة .

قال : فمن قومك ؟

قال : بنو عوف .

---

(١) البرلس : بليدة قرب البحر الأبيض المتوسط من جهة الإسكندرية ، يشتغل أهلها بصيد السمك ، ويقصدها الناس فى الصيف للتمتع بجوها ، وقد ذكر أبو بكر الهروى أن بالبرلس أثنى عشر رجلا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينسب اليها جماعة من أهل العلم ، وهى من أعمال محافظة كفر الشيخ .

ثم تتابعوا على مثل قوله فكتبهم وعرفهم .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن عتبة بن أبى حكيم عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حضرموت خير من بنى الحارث .

حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد أن معاوية بن أبى سفيان كتب إلى مسلمة بن مخلد ، وهو على مصر ، لا تولِّ عملك إلا أزْدِيٌّ أو حضرمىٌّ ، فإنهم أهل الأمانة .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن تُبَيْع قال : لا يُدْرِكُ أَحَدٌ من حضرموت الدجّال .

قال ثم اختطت تُجِيب ، فأخذت بنو عامر شرقى الحصْن قبلىّ منزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، ثم مضوا بخططهم حتى لقوا مهرة والصَّدِف من مَهبّ الشمال ، ولقوا سِلْهِماً مما يلى الشرق ، ولقوا وَعْلان من مُراد وطرفاً من خَوْلان من مهب الجنوب ، ثم لقوا بنى غُطَيْف وقبائل من مراد ، وحالت سِلْهِمٌ بينهم وبين الصحراء .

فخطّة كنانة بن بشر بن سَلْمان الأيْدَعِىّ دارُ هُبيرة ، وثَمّ مسجده ثم صارت بعد ذلك لعثمان بن يونس ، أبى السمح جدّ ابن دهقان لأمه .

وكان لكنانة سيف يقال له المُقَلَّد ، صار إلى سعيد بن عبيد ، فكان سعيد يقول : إنما لتُجِيب سيفان ، عريض بنى حُدَيج ، والمقلّد ، فقد صار المقلّد إلىّ .

قال : واختطّت خَوْلان الشرق قبلىّ الحصن ، ومهبّ الجنوب ، ثم مضوا بخططهم حتى لقوا وائل والفارسيّين فى السّهل ، ولقوا تُجِيبَ ورُعَيناً فى الجبل ، ولقوا بنى غُطَيف و بنى وعْلان من مراد فى الشرق ، وتجيب من مهبّ الشمال ، فجاوزهم غطيف ، فتحول بينهم و بين خططهم ، وكان رَائِم بن ثعلبة الخولانى من الحَيَاوِيّة ، يقال ، إنه رجل من كنانة معروف النسب ، فيهم وفيه يقول ابن جِذْل الطّعّان :

مَنْ مُبْلِغٌ خَوْلانَ عنّى رِسالةً ... يُربِّضُها ابْنَا فِراس بنِ مالِكِ
بِأَنَّ أَخَانَا رائِمَ الخَيْرِ فيكمُ ... مُقِيمٌ بِلاَ ذَنْبٍ بِأَزْلِ المَهَالِكِ
إلى مالكٍ ينْمِى إذَا عُدَّ أَصْلُهُ ... كِنانَةَ أَهْلِ المَكْرُماتِ المَوالِكِ

فأجابه رجل من خولان فقال .

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى فِرَاسًا رِسالةً ... فنَحْنُ لِخَوْلانَ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ
إلَى سَبَإٍ الأَمْلاَكِ أَصْلِى ومَنْبِتِى ... يُحَدِّثُنى جَدِّى بهِ غَيْرَ هالِكِ

قال : واختطْت مَذْحِج بين خولان وتجيب ؛ واختطت وَعْلاَن مما يلى القصر ، ثم مضوا ينازلون خولان وتجيب ، هم و بنو غُطيف ، ثم مضت مراد بخطتها حتى لقوا قبائل نافع ورُعَين ، وفيهم بنو عبس بن زَوْف ، ثم مضوا بخطتهم حتى لقوا بنى مَوْهَب من المعافر ، ولقو السُّكَف وسبأ ، وحالوا بينهم و بين الصحراء .

وقد غلط بعض الناس فى بنى عبس بن زَوْف والزقاق المنسوب إلى بنى عبس ، فقال : هم عَبْس قيس ، وليس كما قال .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن عتبة بن أبى حكيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . أكثر القبائل فى الجنة مَذْحِج .

واختطت القبائل المنسوبة إلى سَبَأٍ ، منهم ابن ذى هَجَران ، ومعهم السُّكَف شرقىّ جَنْبٍ ، مما يلى مراد ، ثم مضوا بخطتهم بين المعافر وحضرموت حتى أصحروا .

واختطت حمير قبلىّ خَوْلان وشرقيّها وشرقى بديعة من مَذْحِج ، فكانت يَحصُب قبلىّ المعافر حتى قطعوا الجبل .

واختطت يافع ورُعين شرقى خولان ، ثم لقوا قبائل الكلاع ، ثم مضوا بين قبائل سبأٍ والمعافر و بين اصطبل قُرّة بن شَرِيك حتى أصحروا .

واختطت المعافر وفيهم الأشعريون والسكاسك شرقي الكلاع ، فوليهم من ذلك الأكنوعُ وهم من الأشعريين ، وبنو مَوْهب ثم السكاسك ، ثم المعافر ، وهم مختلطون .

ثم مضوا بخطتهم حتى أصحروا ينازلون حمير وطائفة من خولان ، وحُمير والمعافر على الجبل مُوفُون على قبائل مصر ، وليس فى هذا الجبل إلا هذه القبائل ، غير أن جُهينة قد كانت نزلت بجرف تَبَّة ، وكانت المعافر قد نزلت إلى جنب عمرو بن العاص ، فآذاهم البعوض ، وكان جَرْى النيل ، فشكوا فى ذلك إلى عمرو ، وسألوه أن ينقلهم ، فقال : لا أجد قوماً أحملَ لى من أصحابى ، فنقل قريشا إلى موضعهم ، ونقل المعافر إلى موضعها التى هى به اليوم .

وقال عمرو لأصحابه: اغتنموا فكأنى أنظر إلى المسجد وما حوله قد صار فيه الناس ورغبوا فيه وإلى موضعهم قد خرب ، فكان كما قال .

حدثنا هانىء بن المتوكل ، حدثنا ضمام بن اسماعيل عن أبى قُبَيل عن شُفَىّ ابن ماتع قال : كان الناس إذا كان فَزَعٌ خرجوا براياتهم ، وكان لكل قوم موقف ، فكان موقف المعافر تحت الكوم — بريد بالاسكندرية — وقصر فَهْد الذى بالمعافر ، ومسجد لسبأ خطة ، وهو فهد به كثير بن فهد ، وكان ولى برقة ايام أسامة بن زيد الأولى ، وكان قد ولى جزيرة الصناعة ، وهو القصر الذى عند مسجد الزينة .

وفى الأشعريين والسكاسك جاء الحديث .

حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك ، حدثنا الرُكن بن عبد الله بن سعد عن مكحول عن مُعاذ أن النبى صلى الله عليه وسلم يوم بعثه إلى اليمن حمله على ناقة وقال : يا معاذ ، انطلق حتى تأتى الجند ، فحيث بركت بك هذه الناقة فأذّن ، وصلّ ، وابْن فيه مسجدا .

فانطلق معاذ حتى إذا انتهى إلى الجند ، دارت به ناقته وأبت أن تبرك ، فقال : هل من جند غير هذا ؟

قالوا . نعم ، جند رخامة .

فلما أتاه دارت و بركت، فنزل معاذ ، فنادى بالصلاة ، ثم قام فصلّى ، فخرج إليه ابن يُخامِر السَّكسكى ، فقال : من أنت ؟

فقال : أنا رسول رسول رب العالمين .

فقال : ما تريد ؟

قال : أريد أن أقاتل من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أن قص عليه معاذ ما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ابن يخامر : مرحباً بمن جئت من عنده ، ومرحبا بك ، ابسط يدك .

فبايعه ، ووثب إليه ثُلَّة من الأشعريين ووثب عليه الأمْلوك رَدْمان ، فقال ابن يخامر: إن العَرْصَة التى بنيت فيها المسجد لى .

فقال معاذ : خذ ثمنها ..

فقال : لا ، بل هى لله والرسول .

فقاتل معاذ من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثُّلّة من الأشعريين، والاملوك أملوك رَدْمان حتى أجابوه .

فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنى قاتلت حتى أجابنى أهل اليمن بثُلَّة من الأشعريين والسكاسك والأملوك أملوك ردمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر للسكاسك والأملوك أملوك ردمان وثلة من الأشعريين .

حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنى الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب، أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم بخير قبائل ؟

قالوا : بلى . قال: الأملوك أملوك ردمان ، وفرق بين الأشعريين، وفرق من خولان والسكاسك والسَّكُون .

قالوا ، واختطت بنو وائل فى مهب الشمال ، ثم مضوا بخطتهم شارعين على النيل حتى لقيت راشدة من لخم مما يلى الاصطبل ، وبين طائفة منهم وبين يَحْصُب وهم فى الجبل ، الفارسيّون ، وهم قليل .

ثم انحطّت طائفة من لَخم خلف بنى وائل وشرعوا فى النيل ، ثم مضوا ينازعون يَحْصُب، وهم فى جبل، حتى برزوا إلى أرض الحرث والزرع ؛ وكان بين القبائل فضاء من القبيل إلى القبيل ، فلما مدّت الأمْداد فى زمان عثمان بن عفان وما بعد ذلك وكثر الناس وسع كل قوم لبنى أبيهم حتى كثر البنيان والتأم .

خطط الجيزة

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، وابن هبيرة ، يزيد أحدهما على صاحبه . قال : فاستحبّت همْدان ومن والاها الجيزة ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما صنع الله للمسلمين ، وما فتح عليهم ، وما فعلوا فى خِططهم ، وما استحبت همدان ومن والاها من النزول بالجيزة .

فكتب إليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ، ويقول له : كيف رضيتَ أن تفرق عنك أصحابك ؟ ألم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينهم وبينك بحر ، لا تدرى ما يفجأهم ، فلعلك لا تقدر على غياثهم حتى ينزل بهم ما تكره ، فاجمعهم إليك ، فإن أبوا عليك وأعجبهم موضعهم فابْنِ عليهم من فَىْء المسلمين حِصنًا .

فعرض عمرو ذلك عليهم ، فأبوا ، وأعجبهم موضعهم بالجيزة، ومن والاهم على ذلك من رهطهم ، يَافِعٌ وغيرها ، وأحُبُّوا ما هنا لك ، فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن الذى بالجيزة فى سنة إحدى وعشرين ، وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين .

قال غير ابن لهيعة من مشايخ أهل مصر، أن عمرو بن العاص لما سأل أهل الجيزة أن ينضموا إلى الفسطاط قالوا : مُتَقدَّمًا قدّمْناه فى سبيل الله ، ما كنا لنرحل منه إلى غيره .

فنزلت يافع الجيزة ، ، فيها مُبَرِّحُ بن شهاب ، وهَمْدان ، وذو أَصْبح ، فيهم أبو شِمر بن أبرهة وطائفة من الحَجْر ، منهم علقمة بن جنادة ، أحد بنى مالك ابن الحَجْر ، وكانت منهم طائفة قد اختطوا بالفسطاط أسفل من عَقَبة تنوخ ، قد بيّنت ذلك فى صدر كتابى .

قال : وقد كان دخل مع عمرو بن العاص قوم من العجم ، يقال لهم الحَمْراء والفارسيّون ، فأما الحمراء فقوم من الروم ، فيهم بنو ينّة و بنو الأزرق ، و بنو روبيل ؛ والفارسيون قوم من الفرس ، وفيهم زعموا قوم من الفرس الذين كانوا بصنعاء ، وكان حامل لوائهم ابن ينّة ، و إليه تنسب سقيفة ابن ينّة التى بفسطاط مصر بالحمراء .

فقالت الروم والفارسيون : إنهم العرب ، إنا لا نأمنهم ونخاف الغدر من قبلهم.
قالوا : فما الرأى ؟ .

قال : ننزل نحن فى طرف ، وأنتم فى ظرف ، فإن يكن منهم غدر كانوا بيننا .

فقال بعضهم : فإن يكن منهم غدر كانوا بين لَحْيَىَ الأسد ، وكنا قد أخذْنا بالوثق .

فنزلت الروم الحمراء التى بالقنطرة ، ونزلت الفرس بناحية بنى وائل ، فمسجد الفارسيّين هنالك مشهور معروف .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة عن شيخ من موالى فَهْم عن عُلَىّ بن رَبَاح قال : قدم عمرو بن العاص بالحمراء والفارسيين من الشام ، قال ابن لهيعة : سمّاهم الحمراء لأنهم من العجم .

ذكـــر
أخائذ[1] الإسكندرية

قال : وأما الاسكندرية فلم يكن بها خطط غير أن أبا الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن الزبير بن العوام اختط بالاسكندرية .

وإنما كانت أخائذ ، من أخذ منزلا نزل فيه هو وبنو أبيه ، وأن عمرو ابن العاص لما فتح الاسكندرية أقبل هو وعُبادة بن الصامت حتى علوا الكَوْم الذى فيه مسجد عمرو بن العاص ، فقال معاوية بن حُديج : ننزل . فنزل عمرو بن العاص القصر الذى صار لعبدالله بن سعد بن أبى سرح ، ويقال إن عمراً وهبه له لما ولى البلد .

ونزل أبو ذر الغفارى منزلا كان غربى المُصَلَّى الذى عند مسجد عمرو مما يلى البحر ، وقد انهدم ، ونزل معاوية بن حديج موضع داره التى فوق هذا التلّ ، وضرب عبادة بن الصامت بناء ، فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ، ويقال، إن أبا الدَّرْداء كان معه ، والله أعلم .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب وابن هبيرة

(١) أخائذ جمع أخيذة ، بمعنى المأخوذ .

فى حديثهما قال : فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ، رُبْع للناس ، وربع فى السواحل ، والنصف مقيمون معه ، وكان يصيّر الاسكندرية خاصة الربع فى الصيف بقدر ستة أشهر ، ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر ، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه ، واتخذوا فيه أخائذ .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبى حبيب ، أن المسلمين لما سكنوها فى رباطهم، ثم قفلوا ، ثم غزوا ابتدروا، فكان الرجل يأتى المنزل الذى فيه صاحبه قبل ذلك ، فيبتدره ، فيسكنه .

فلما غزوا قال عمرو : إنى أخاف أن تخربوا المنازل إذا كنتم تتعاورونها.

فلما كان عند الكِرْيَوْن قال لهم : سيروا على بركة الله ، فمن ركز منكم رُمحه فى دار فهى له ولبنى أبيه . فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى منزل منها ، ثم يأتى الآخر فيركز رمحه فى بعض بيوت الدار ، فكانت الدار تكون لقبيلتين أو ثلاث .

وكانوا يسكنونها حتى إذا قفلوا سكنها الروم ، وعليهم مَرَمَّتُها ، فكان يزيد بن أبى حبيب يقول : لا يحل من كِرَائِها شىء ولا بيعها ، ولا يورّث فيها شىء ، إنما كانت لهم يسكنونها فى رباطهم .

الزيادة فى المسجد الجامع

ثم إن مسلمة مخلّد الانصارى زاد فى المسجد الجامع بعد بنيان عمرو له ، ومسلمة الذى كان آخذ أهل مصر ببنيان المنار للمساجد، كان أخذه أياهم بذلك فى سنة ثلاث وخمسين ، فبنيت المنارة وكتب عليها اسمه.

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال : أخذ مسلمة بن مخلّد الناس ببناء

منار المساجد ، ووضع ذلك عن خولان ، لأنه كان صاهر اليهم وأسقط ذلك عنهم .

ثم هدم عبد العزيز بن مروان المسجد فى سنة سبع وسبعين و بناه ، ثم كتب الوليد بن عبد الملك فى خلافته إلى قُرَّة بن شريك العبسى ، وهو يومئذ واليه على أهل مصر ، وكانت ولاية قرة بن شريك مصر فى سنة تسعين ، قدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وعُزل عبدالله بن عبدالملك ، وفى ذلك يقول الشاعر :

عَجَبًا ما عَجِبْتُ حِينَ أَتَانَا   أَنْ قَدْ أَمَّرْتَ قُرَّةَ بنَ شَرِيكْ
وَعَزَلْتَ الفَتَى المُبَارَكَ عَنَّا   ثُمَّ فَيَّلْتَ فيهِ رَأْيَ أَبِيكْ

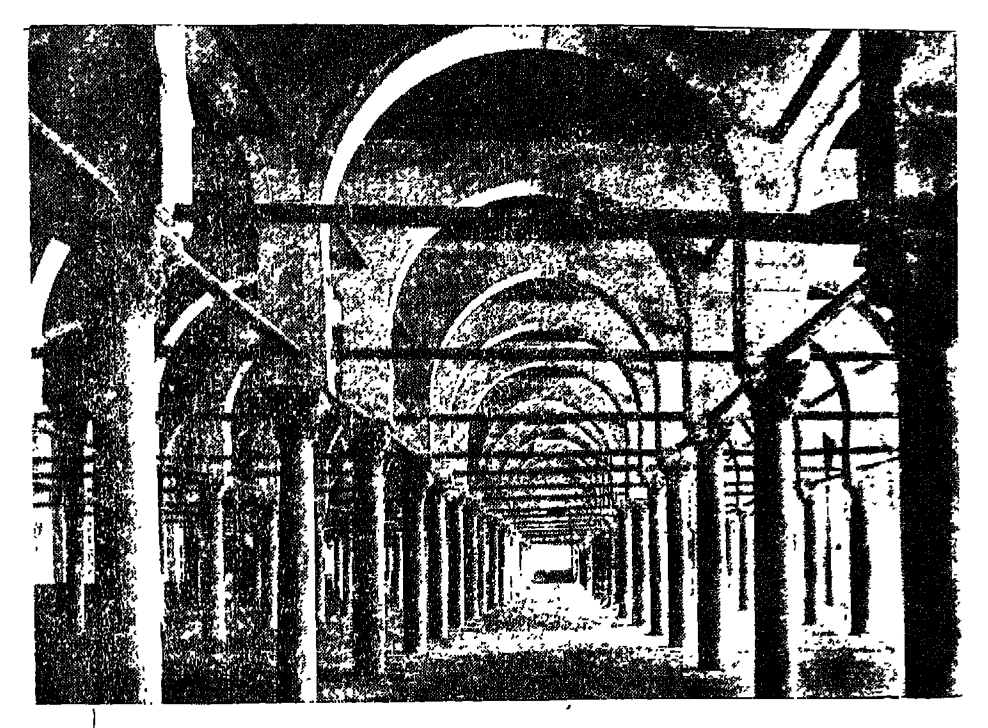
فهدمه كله و بناه هذا البناء ، وزوّقه ، وذهّب رءوس العمد التى فى مجالس قيس ، وليس فى المسجد عمود مذهّب الرأس إلا فى مجالس قيس ، وحوّل قرّة المنبر حين هدم المسجد إلى قَيْسارية (١) العسل ، فكان الناس يصلّون فيها الصلوات ، و يجمّعون فيها الجمع حتى فرغ من بنيانه ، والقبلة فى القيسارية إلى اليوم ، وكانت القبّة التى فى وسط الجزيرة بين الجسرين فى المسجد الجامع

ثم زاد موسى بن عيسى الهاشمى بعد ذلك فى مؤخّره فى سنة خمس وسبعين ومائة ، ثم زاد عبد الله بن طاهر فى عرضه بكتاب المأمون بالإذن له فى ذلك فى سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وأدخل فيه دار الرمل كلها إلا ما بقى منها من دار الضرب ، ودخلت فيه دار رُمّانة وغيرها من بعض الخِطط التى ذكرناها .

فكان عُمّال الوليد بن عبد الملك كما حدثنا سعيد بن عُفير كتبوا إليه ، أن بيوت المال قد ضاقت من مال الخُمس ، فكتب إليهم أن ابنوا المسجد .

---

(١) القيسارية هى السوق .



منظر داخلي لجامع عمرو بن العاص بالفسطاط — مصر القديمة

بنى هذا المسجد فى الشتاء من سنتى ٦٤١ ، ٦٤٢ م وقد اختار عمرو لبنائه الموضع الذى كان فيه لواؤه ، وصار يعرف باسم مسجد أهل الراية ، وكان هذا الموضع بين بساتين وكروم على شاطىء النيل ، وكان قد اختط فيه قبل بناء الجامع أبو عبد الرحمن قيسبة بن كلثوم ، فلما طلبه منه نزل عنه صدقة للمسلمين ، وكان ذرع المسجد ٥٠ × ٣٠ ذراعا ، وسقفه مطاطأ ، ولم يجعل له صحن ، وقد زيدت فيه زيادات كان أولها مازاده مسلمة بن مخلد فى سنة ٧٦٣ م ، فإنه مده إلى جهة الشمال ، وفرشه بالحصر بدل الحصباء ، وجعل فيه منائر ، وفى سنة ٦٩٦ أمر عبد العزيز بن مروان بهدم جزء منه ، ثم أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك واليه قرة بن شريك سنة ٧١١ م أن يهدم المسجد كله ويعيد بناءه ، فصار على الصورة التى بقى محتفظا بها إلى اليوم مع مادخل عليه من التغيير .

(أنظر الجزء الثانى من مجلة الجمعية الملكية الأسيوية سنة ١٨٩٠ ، والجزء الرابع من كتاب ابن دقماق صحيفتى ٥٩ ، ٦٧) .

فأول مسجد بنى بفسطاط مصر المسجد الذى فى أصل حصن الروم عند باب الرَّيْحان، قُبالة الموضع الذى يعرف بالقالوس[1]، يعرف بمسجد القلمة.

حدثنا حميد بن هشام الحميرى قال: كل مسجد بفسطاط مصر فيه عُمُد رخام فليس بخِطِّىّ.

وأول كنيسة بنيت بفسطاط مصر كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن بعض شيوخ فى أهل مصر الكنيسة التى خلف القنطرة أيام سلمة بن مخلَّد، فأنكر ذلك الجند على مسلمة، وقالوا له: أتُقِرُّ لهم أن يبنوا الكنائس؟ حتى كاد أن يقع بينهم و بينه شر، فاحتج عليهم مسلمة يومئذ، فقال: إنها ليست فى قَيْرَوانكم، وإنما هى خارجة فى أرضهم؛ فسكتوا عند ذلك.

فهذه خطط مصر.

ذكر القطائع

قال: وقد كان المسلمون حين اختطوا قد تركوا بينهم و بين البحر والحِصْن فضاء لتعريق دوابِّهم وتأديبها، فلم يزل الأمر على ذلك حتى ولى معاوية بن أبى سفيان، فاشترى خطّة مسلمة بن مخلّد منه، وأقطعه داره التى بسوق وَرْدان، ثم اشترى خطّة عقبة بن عامر، وأقطعه داره التى فى الفضاء عند أصحاب التِبْن، وهى اليوم فى يد فَرَج، ثم اشترى دار أبى رافع التى صارت للسائب مولاه، وأقطع السائب الدار التى عند حَيْز الوزّ.

ثم ابتنى عبد العزيز دار الأضياف، كانت لأضياف عبد العزيز، وأقطع معاوية أيضاً سارِيَةَ مولى عمر بن الخطاب فى الزقاق الذى يعرف بحَيْز الوزّ، فباعه ولده مُقَطَّعاً، وأقطع عبدُ العزيز خالدَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام دار مَخْرَمَة التى فى الفضاء، وكانت له دار موسى بن عيسى النُوشَرِىّ التى بالموقف.

---

(١) القالوس مكان كان بالفسطاط، ويروى ابن دقاق أن هذا المكان سمى بالقالوس نسبة إلى جمل كان يتخذ مركباً فى الرهان، وكلمة قالوس كلمة رومية ومعناها بالعربية: مرحباً بك، ولعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجمل، ويقولون هذه الكلمة على عادتهم.

قال : وكان خالد وعمر ابنا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مع عبد الله ابن الزبير ، وكان أبو بكر بن عبد الرحمن أخا لعبد الملك بن مروان وتِرْبًا له ، فلما ظهر عبد الملك بن مروان قال : لا سبيل إلى ما يكره عمر وخالد مع أبي بكر ، ولكن لله عليّ ألا يسكنا الحجاز .

فكتب إلى الحجاج : أن خَيِّرْهما في أي الأمصار شاءا ، فيلحقا بها .

فلحق خالد بعبد العزيز بن مروان ، فأقطعه دار مخرمة في الفضاء ، وكانت له دار موسى بن عيسى التي بالموقف ، وأما عمر فلحق ببشر بن مروان بالعراق ، فله بواسط آثار كثيرة ،

وأقطع عُمارة بن الوليد بن عقبة ابنَ أبي مُعَيط الدور التي تلي أصحاب التبن قِبْليًّا ، وكان أبو معيط يسمى أبانًا .

حدثني بذلك محمد بن إدريس الرازيّ ، وله يقول ضرار بن الخطاب .

عَيْنِ فَابْكِي لِعُقْبَةَ بنِ أَبَانِ　　فَرْعِ فِهْرٍ وفَارِسِ الفُرْسَانِ

وله يقول بعض الشعراء :

مَنْ سَرَّهُ شَحْمٌ ولَحْمٌ رَاكِدٌ　　فَلْيَأْتِ جَفْنَةَ عُقْبَةَ بنِ أَبَانِ

قال : وكان عبد الأعلى بن أبي عَمْرة ، وهو مولى لبني شيبان على أخت موسى بن نصير ، وكانت له من عبد العزيز منزلة ، فخطّ له داره ذات الحمّام ، الذي يقال له حَمّام التبن .

فلما قدم عبد الأعلى بن أبي عَمْرة من عند أليُون صاحب الروم قال لعبد العزيز : قد أبليتُ المسلمين في تأجيجهم إيّاى نصحا و بلاء حسنا ، فمر لى بأربع سَوَارى من خَرَب الاسكندرية ، فأمر له بها ، فهي على حوض حمّامه الأعظم ، وكان عبد العزيز يرسله بالبَزّ إلى ابن عُمَرة .

حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة عن عُبيد الله بن المغيرة عن عبد الأعلى ابن أبى عَمْرة أن عبد العزيز بن مروان أرسل معه بألف دينار إلى ابن عمر ، فقبلها .

قال : وأقطع عبد الملك بن مروان عمر بن علىّ الفِهْرىّ ، ثم أحَد بنى محارب ، داره ذات الحمام التى اشتراها موسى بن عيسى إلى جنب أصحاب القُرْط ، وذلك أن عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد كان عمر بن على ممن أبلى معه وكان فى أصحابه ، فدخل عليه فى خاصّته وعمرو بن سعيد مقتول ، فاستشارهم فى قتله ، فكلهم هاب قتله ولم يره .

فقال عمر بن علىّ : اقتله، قتله الله ، فلا يزال فى خلاف ما عاش .

قال عبد الملك : ها هو ذا .

قال : فألْقِ رأسه إلى الناس ، وانهبهم بيت المال . يفترقون عنك .

ففعل ، فافترق الناس ، وأرسله عبد الملك إلى منزل عمرو يفتشه ، فوجد فيه كتبا فيها أسماء من بايعه . فأحرقها .

و بلغ ذلك عبد الملك . فقال له : ما حملك على ما فعلت ؟

قال : لو قرأتها لما صَحّ لك قلبٌ شامى . ولا استقامت طاعته إذا علم أنك قد علمت بخلافه إياك .

فصوّب رأيه وحمده ؛ وأقطعه داره ذات الحمّام التى اشتراها موسى بن عيسى إلى جنب أصحاب القُرْط (١) .

قال عبد الملك بن مسلمة : هى قطيعة من عبد العزيز لِلفِهْرىّ ، ولم يسمّه باسمه إلا أن ابن عُفير سمّاه .

---

(١) فى نسخة ب و ح زيادة قال : وبنى عبد العزيز القيساريات التى للعسل والحبال والكباش ، والقرط نبات الدحريج ، وكان أهل مصر يبدءون بزرعه ، ويقطعونه وهو أخضر لعلف الماشية .

وقال عبد الملك بن مسلمة : اقطعها عبد العزيز الفهرىّ مَوْلَى ابن رُمّانة حين قدم عليه ، و بناها له يزيد بن رمّانة ، وهى الدار التى تعرف اليوم بدار السلسلة .

وآل عبد الرحمن يزيد بن أُنَيْس الفهرى ينكرون ذلك ، وهم بذلك أعلمُ ، ويقولون إنها لأبى عبد الرحمن الفهرى ، اختطها عامَ فتح مصر ، ولم يكن بنى منها شيئا غيرسورها ، ثم خرج إلى الشام، فاستشهد بها ، ثم قدم ابناه العلاء وعلىّ ، وكان العلاء أسَنّهما ، وقد كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدما إلى مصر ، فجعلا ذلك البناء مثل المِرْبَد العظيم . ولم يجعلا فيها إلا منزلا واحدا ، وأسكنا معه مولى لهما ، يقال له مُخَنّس ، ثم خرج العلاء إلى المدينة ، فقُتل عام الحرّة ، وخلف الحارث بن العلاء ، وخرج علىّ إلى الشام ، فتوفى بها وخلّف عمر بن على ، فصار بمنزلة عند عبد الملك .

فبعث إلى ابن رُمّانة ، وأرسل إليه بمال ، وسأله أن يبنى له دار جدّه بأحكم ما يُقْدر عليه ، و يجعل له فيها حماماً ، و يجعل له خوخة فى داره ، إذا أراد أن يدخله دخله ، وقال : إن ذلك ذكر لك ولشيخك فحرّك ذلك ابن رمانة ، فبناها ، وجعل سورها أكثر من ذراعين بذراع البناء ، وجعلها تدُوّر بعُمُد رخام ، وجعل قاعتها مستديرة ، ولم يجعل فوقها بناء .

ثم قدم عمر بن على مصر ، وقد فرغ منها ابن رمانة ، فقال له عمر : لقد اتقَنْتَ غير أنك لم تجعل لها مسجداً .

فبنى المسجد الذى يعرف اليوم بمسجد القُرُون ، بناه مثل الدكان الكبير ، ونحّاه عن الدار ، وجعل بينه و بين الدار فُرْجة ، وكان يجلس فيه؛ ثم بناه بعده أبو عون عبد الملك بن يزيد ، ثم زاد فيه المطلب بن عبد الله الخزاعى ، ثم احترق ، فبناه السَّرِىّ بن الحكم هذا البناء ، ثم مات عمر بن على ، فورث الحارث بن

العلاء — وهو ابن أخيه — كل ما ترك ، وحبس الدار على الأقْعَد فالأقعد بالحارث بن العلاء من الرجال دون النساء أبداً ما تناسلوا ، وتقديم كل طبقة على من هو أسفل منها ، فإذا انقرض النساء فهى وحمّامها وكُوْمها المعروف بأبى قشاش يقسّم ذلك أثلاثاً ، فثلث فى سبيل الله ، وثلث فى الفقراء والمساكين ، وثلث على مواليه وموالى ولده وأولادهم أبدا ما تناسلوا بعد مرمّتها ، ورِزْق قيّم إن كان لها، فإذا انقرض الموالى فلم يبق منهم أحد فعلى الفقراء والمساكين بفسطاط مصر ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يُرى من وليّها من عمارتها .

واسم أبى عبد الرحمن يزيد بن أُنَيْس بن عبد الله بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن مُحارب بن فِهْر . وعمر بن حبيب هو آكِلُ السَّقْب[1] ، وأُمّه السوداء ابنة زُهْرَة بن كلاب ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

بَنُو آكِلِ السَّقْبِ الذينَ كأنّهمْ نُجُومٌ بآفاقِ السَّماءِ تَنُورُ[2]

وكان عند دار السلسلة ، فلا أدرى أهى هذه الدار أم غيرها ؟ حوض من رُخام ، وكان يملأ فى الأعياد طلاء ، وتجعل عليه الآنية ويشرب الناس .

فلم يزل الأمر على ذلك حتى عمر بن عبد العزيز فقطعه .

وبالفسطاط غير دار يقال لها : دار السلسلة ، سوى دار الفِهْرىّ ، منها دار السَّهْمِىّ التى فى الحذّائين ، والدار التى فيها أَصْبَغ الفقيه فى زقاق القناديل .

قال : وبنى عبدُ العزيز بن مروان القَيْساريّات ، قيسارية العسل ، وقيسارية الحبال ، وقيسارية الكباش ، وهى فى خطّة قوم من بَلِىّ ، يقال لهم الوَحاوِحَة ، والقيسارية التى يباع فيها البَزّ ، وهى التى تعرف بقيسارية عبد العزيز ، وأدخل

(١) وفى نسخة ا شرح على الهامش . سُمى بذلك لأنه أغار على بكر بن وائل ، ولهم سقب يعبدونه ، فأخذ السقب فأكله ، قاله ابن الكلبى الفهرى .

(٢) السقب : هو الذكر من ولد الناقة ، ولا يقال للأنثى سقبة .

فيها من خطط الراية ؛ وكان فيها منزل كعب بن عدىّ العبادى ، فعوضه منها داره فى بنى وائل .

قال : وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بقيسارية هشام يباع فيها البزّ الفُسْطاطى فى الفضاء بين القصر وبين البحر ، وبقيت بعد ذلك من الفضاء بقية بين بنى وائل والبحر ، فأقطعها بنو العباس الناسَ .

قال : وأقطع عمرو بن العاص حين وَلِىَ وَرْدَان مولاه الأرضَ التى خلف القنطرة ، التى غَرْبيّها أبو حُمَيد إلى كنيسة الروم التى هناك ، وما كان عن يمينك من رأس الجسر القديم إلى حمّام الكبش ، وهو الحمام الذى يعرف اليوم بحمّام السوق ، والآخر إلى ساحل مَرِيس ، فكل ذلك كان للوليد بن عبد الملك ؛ وكان للوليد أيضا ما كان على يسارك من الجزيرة وأنت خارج إلى الجيزة والحوانيت اللاصقة بجزيرة الصناعة .

وكان عمر بن الخطاب قد أقطع ابن سَنْدَر مُنْية الأصبغ ، فحاز لنفسه منها ألف فدان كما حدثنا يحيى بن خالد عن الليث بن سعد ، ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب أقطع أحداً من الناس شيئا من أرض مصر إلا ابن سندر ، فإنه أقطعه مُنية الأصبغ

فلم تزل له حتى مات ، فاشتراها الأصبغ بن عبد العزيز من ورثته ، فليس بمصر قطيعة أقدم منها ولا أفضل .

وكان سبب إقطاع عمر ما أقطعه من ذلك كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنه كان لزنباع الجذامىّ غلام يقال له سَنْدر ، فوجده يُقَبِّل جارية له ، فجَبّه وجَدَع أذنيه وأنفه .

فأتى سندر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى زِنْباع ، فقال : لا تُحَمِّلوهم مالا تُطيقون ، وأطعموهم مما تأكلون ، وأكسوهم مما تلبسون ، فإن

رضيتم فامسكوا ، وإن كرهتموهم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله ، ومن مُثّل به أو أُحْرق بالنار فهو حرّ ، وهو مولى الله ورسوله.

فأُعتق سندر . فقال :أوصِ بى يا رسول الله .

قال : أوصى بك كلّ مُسْلِم .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سَنْدر إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال : احفظ فىّ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعالَهُ أبو بكر حتى توفى ، ثم أتى عمر ، فقال له : احفظ فىّ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : نعم ، إن رضيتَ أن تقيم عندى أجْرِيت عليك ما كان يُجْرِى عليك أبو بكر ، والا فانظر أىّ المواضع أكتب لك .

فقال سندر : مصر ، فإنها أرض رِيفٍ .

فكتب له إلى عمرو بن العاص، احفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم على عمرو قطع له أرضا واسعة ودارا ، فجعل سندر يعيش فيها ، فلما مات قبضت فى مال الله .

قال عمرو بن شعيب ، ثم أقطعها عبد العزيز بن مروان الأصبغَ بعدُ ، فهى من خير أموالهم .

وروى ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن ربيعة بن لقيط التُجيبى عن عبد الله بن سندر عن أبيه أنه كان عبداً لِزِنْبَاع بن سَلاَمة الجذامى، فعتب عليه ، فخصاه وجدعه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأَغْلَظ لزنباع القول وأعتقه منه ، فقال : أَوْصِ بِى يارسول الله . قال : أوصى بك كل مسلم .

قال يزيد : وكان سندر كافرا .

حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب، أن غلاما لزنباع الجذامى اتّهمه، فأمر بإخصائه وجدع أنفه وأذنيه ، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه، وقال: أيّما مملوك مُثِّل به فهو حرّ، وهو مولى الله ورسوله.

فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفق به ، فلما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ابن سندر : يارسول الله ، إنّا كما ترى ، فمن لنا بعدك ؟ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصى بك كل مؤمن .

فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه أَقَرّ عليه نفقته حتى مات ، فلما ولى عمر بن الخطاب أتاه ابن سندر ، فقال . احفظ فىّ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال له . أنظر أىّ أجناد المسلمين شئت فالحق به ، آمر لك بما يُصْلحك .

فقال ابن سندر : ألحق بمصر .

فكتب له إلى عمرو بن العاص، يأمره أن يأمر له بأرض تسعه ؛ فلم يزل فيما يسعه بمصر .

ويقال : سَنْدَر وابن سندر . والله أعلم بالصواب .

ولأهل[1] مصر عنه حديثان مرفوعان: هذا أحدها ، والآخر ، حدثنا يحيى ابن بكير وعبد الملك بن مسلمة قالا : حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن ابن سندر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَسْلَمُ سالمها الله ، وغِفَار غفر الله لها، وتُجِيب أجابت الله ورسوله .

---

(١) فى نسخة س ، ح : ولهم عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث واحد ، ويكنى سندر بأبى الأسود، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير.

قال ابن بكير فى حديثه . فقلت : يا أبا الأسود ، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر تُجِيبَ ؟ قال نعم . قلت : وأحدث الناس عنك بذلك ؟ قال : نعم .

خروج عمرو إلى الريف

حدثنا عبد الرحمن بن صالح عن عبد الرحمن بن شُريح عن أبى قَبيل قال : كان الناس يجتمعون بالفسطاط إذا قفلوا ، فإذا حضرَ مرافِق الريف خطب عمرو ابن العاص الناس ، فقال : قد حضر مرافق ريفكم ، فانصرفوا ، فإذا حَمُض اللَّبَنُ واشتد العود وكثر الذُباب فحَىَّ على فسطاطكم ، ولا أعلمنَّ ما جاء أحدكم قد أسمَن نفسه وأهزل جواده .

حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال : كان عمرو يقول للناس إذا قفلوا من غزوهم : إنه قد حضر الربيع فمن أحبَّ منكم أن يخرج بجواده يُرْبِعهُ فلْيفعل ، ولا أعلمنّ ما جاء رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه ، فإذا حمض اللبن وكثر الذباب فارجعوا إلى قيروانكم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا الليث بن سعد أن عمرو بن العاص كان يقول للناس إذا قفلوا : أخرجوا إلى أريافكم ، فإذا غَنَّى الذباب وحمض اللبن ولوى العود فحَىَّ على فسطاطكم .

خطبة عمرو بن العاص

حدثنا سعيد بن ميسرة عن اسحاق بن الفرات عن ابن لهيعة عن الأسود ابن مالك الحميرى عن بَحِير بن ذاخِر المعافِرى قال : رُحْتُ أنا ووالدى إلى صلاة

الجمعة تهجيراً ، وذلك آخر الشتاء ، أظنّه بعد حميم النصارى[١] بأيام يسيرة ، فأطلْنا الركوع إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس ، فذعرت ، فقلت يا أبت : من هؤلاء ؟ قال : يا بنى ، هؤلاء الشُرَط .

فأقام المؤذنون الصلاة ، فقام عمرو بن العاص على المنبر ، فرأيت رجلا رَبْعَة ، قَصْد القامة ، وافر الهامة ، أدْعَج ، أبْلَج ، عليه ثياب مَوْشيّة كأن به العِقْيان[٢] ، تأتلق عليه حُلّة وعمامة وجبّة ، فحمد الله وأثنى عليه حَمْدًا موجزا ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ووعظ الناس ، وأمرهم ونهاهم ، فسمعته يحُضُّ على الزكاة وصلة الأرْحام ، ويأمر بالاقتصاد وينهى عن الفضول وكثْرة العِيال ، وقال فى ذلك .

« يا معشر الناس ، إيّاى وخِلالاً أرْبَعًا ، فإنها تدعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السَعَة ، وإلى المذلّة بعد العِزّة ؛ إياى وكثْرة العيال وإخفاض الحال وتضييع المال والقيل بعد القال فى غير درك ولا نوال ، ثم إنه لابد من فرَاغ يؤول إليه فى توديع جسمه ، والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار إلى ذلك فليأخذ بالقصْد والنصيب الأقلّ ، ولا يضيع المرء فى فراغه نصيب العلم من نفسه فيَحُور من الخير عاطلا ، وعن حلال الله وحرامه غافلا .

يا معشر الناس ، إنه قد تدلّت الجوزاء ، وذَكتِ الشِّعْرَى ، وأقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقل الندى ، وطاب المرعى ووضعت الحوامل ، ودَرَجَت السَخائِل[٣] ، وعلى الراعى بحُسْنِ رعيّته حسنُ النظر ، فحىّ لكم على بركة الله إلى ريفكم ، فنالوا من خيره ولبنِه وخِرَافِه وصيده ، وأرْبِعوا خيلكم وأسمنوها ، وصونوها وأكرموها ، فإنها جنّتكم من عدوكم ، وبها مغانكم وأثقالكم ، واستوصوا بمن جاوز تموهم من القبط خيرا ، وإياى والمشمومات والمعسولات ، فإنهن يفسدنَ الدين ويقصّرن الهِمَم ،

---

(١) هو خميس العهد . (٢) الذهب الخالص .

(٣) ولد الشاة ذكراً كان أو أنثى من المعز والضأن .

حدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر . فاستوصوا بقبطها خيرا ، فإن لكم منهم صِهْراً وذمَّة .

فعُفُّوا أيديكم وفُروجكم، وغُضُّوا أبصاركم . ولا أعلمنّ ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه ، واعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علّة حطَطْتُه من فريضته قَدْرَ ذلك ، واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وحدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جُندا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » . فقال له أبو بكر : ولِمَ يا رسول الله ؟ قال : « لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة » .

فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم ، فتمتعوا فى ريفكم ماطاب لكم ، فإذا يبس العود وسخن العمود وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح (١) البقل ، وانقطع الورد من الشجر فحىّ على فسطاطكم على بركة الله .

ولا يقدمنّ أحد منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله ، على ما أطاق من سَعته أو عُسْرته ، أقول قولى هذا وأستحفظ الله عليكم » .

قال : فحفظت ذلك عنه ، فقال والدى بعد انصرافنا إلى المنزل لما حكيت له خطبته : إنه يابنى يحدو الناس إذا انصرفوا إليه على الرباط كما حداهم على الريف والدعة .

(١) صوح البقل أى تم يبسه ، ومثله تصوّح .

ذكر
مرتبع الجند (١)

قال : وكان إذا جاء وقت الربيع واللبن كتب لكل قوم بربيعهم ولبنهم إلى حيث أحبوا ، وكانت القرى التى يأخذ فيها عُظْمُهم مَنُوف ودِسْبَنْدِس (٢) وأَهْنَاس (٣) وطَحَا (٤) : وكان اهل الراية متفرقين ، فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون فى مَنْف ووَسِيم (٥) وكانت هُذَيل تأخذ

---

(١) ذكر المقريزى فى خططه أنه لما فتحت مصر كانت الصحابة لا تسكن الريف ، وكانت جميع القرى مملوءة بالقبط والروم ولم ينتشر الإسلام فى قرى مصر إلا بعد السنة المائة من الهجرة ، وكانت عادة الصحابة إذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم بربيعهم ولبنهم إلى حيث أحبوا ، وكانت القرى التى يأخذ فيها معظمهم منوف وسمنود وأهناس وطحا .

(٢) دسبندس : من القرى المصرية القديمة واسمها الحالى سنديس ، وقد حرف إليه فى القرن السادس الهجرى ، وقد وردت به فى قوانين ابن مماتى ، وهى من بلاد مركز قليوب من أعمال محافظة القليوبية .

(٣) اسم لثلاث قرى متجاورة من محافظة بنى سويف فى جنوب اللاهون واقعة على جسر النويرة ، وهذه القرى الثلاث مع قرية منشأة أهناس تشغل محل المدينة القديمة التى كانت تسمى أهناس أو أهناسية ، وقد كانت متسعة جداً ، وكانت قاعدة لإقليم يشتمل على خمس وتسعين قرية ، والظاهر أنها المدينة الفرعونية التى سماها اليونانيون هرقليوبوليس ، وقال مريت المؤرخ ، إن هذه المدينة ينسب إليها فراعنة الأسرتين التاسعة والعاشرة .

(٤) طحا بلدة مصرية قديمة من بلاد مركز البهنسا من أعمال محافظة المنيا ، وكان سكانها فى صدر الإسلام خمسة عشر ألف نفس كلهم نصارى ، ليس فيهم مسلم ولا يهودى ، وقد ذكر المقريزى أنه كان بناحية طحا كنيسة على اسم الحواريين ، وكنيسة أخرى باسم مريم العذراء ، وقال ابن حوقل : كان فيها عدة أنوال لنسج الأقمشة وأسقفية .

(٥) وسيم : ويسميها الإفرنج بوشيم ، بلدة من أعمال محافظة الجيزة قسم أول ، غربى امبابة وشرقى الكوم الأحمر فى حوض الجسر الأسود ، وهى مشهورة فى الزمن القديم والإسلام ، وفى خطط المقريزى : أنها كانت زمن فتح مصر من منازل العرب الذين فتحوا مصر لما أمروا بالتفرق فى البلاد لربيع خيولهم ووكل ذلك لاختيارهم ، وكانت وسيم فى القديم مدينة عظيمة ، ويسميها اليونان أقنطوس .

فى بنا بُوصِير[١]، وكانت عَدْوان تأخذ فى بوصير بنو عَلِكّ التى يأخذ فيها عُظْمهم بوصير[٢] ومنوف ودسندس وأُتْرِيب.

وكانت بلِىّ تأخذ فى منف وطَرَابِيَة[٣]؛ وكانت فَهْم تأخذ فى أَتْرِيب وعين شمس[٤] ومنوف[٥]؛ وكانت مَهْرة تأخذ فى تتَا[٦] وتمَىّ[٧]، وكانت الصَّدِف تأخذ فى الفيوم وتَرَابِيَة[٨] وقُرْبَيْط[٩]؛ وكانت جُذام تأخذ فى

---

(١) بنا بوصير فى الأصل بنا وبوصير وهو تصحيف من الناسخ فالاسمان كلمة واحدة لبلد واحد من أعمال مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية على الشط الغربى لفرع دمياط شرق منية حبيب، وتضاف بنا الى بوصير، كما تضاف بوصير الى بنا، وقد جعلها المقريزى رأس خط، عدد قراه ثمان وثمانون قرية، وفى تاريخ بطارقة الإسكندرية أن بنا بوصير كانت مقر أسقفية.

(٢) بوصير — يشترك فى هذا الاسم أربعة بلاد مصرية منها بليدة كانت بكورة السمنودية بالوجه البحرى ومنها بوصير الفيوم ومنها بوصير الجيزة وبوصير البهنسا، وكانت هناك خامسة بهذا الاسم، وقد اندرست ولا تزال آثارها موجودة على سلسلة الجبال المتصلة بالاسكندرية ممتدة الى جهة الغرب فى جنوبى البحر المتوسط على بعد خمسمائة متر، ومحلها الآن قلعة بوصير التى فى غرب الاسكندرية.

ويرجح فى رأيى أن المراد من هذا البلد الذى أقامت فيه عدوان فى الربيع هو بوصير سمنود، فقد تكلم عنها هيرودوت وديودور الصقلى واسترابون وبطلميوس، وذكرها الادريسى وأبو الفداء والمقريزى وغيرهم، وقد حدد أبو الفداء مكانها بمركز سمنود، ويوافقه ما جاء فى دفاتر التعداد القديمة أنها غربى سمنود، وقال المقريزى انها رأس خط، وكانت مركز أسقفية.

(٣) طرابية مدينة مصرية قديمة عدها المقريزى ضمن خطط الوجه البحرى، وجعل بها ثمانية وعشرين قرية من ضمنها بلدة فاقوس من أعمال محافظة الشرقية، وقال مؤرخو الإفرنج لن طرابية هى طرافية المدينة القبطية، وقد ذكر بطلميوس أنها خط واقع شرق الفرع البيلوذياق أى فرع الطينة، وكان كرسيه قرية فاقوس.

(٤) عين شمس ضاحية من ضواحى القاهرة تقع فى شمالها، وهى إحدى المدن المصرية القديمة، وقد اشتهرت بمسلاتها الفرعونية الأثرية.

(٥) منوف بلدة قديمة تنسب إليها محافظة المنوفية التى قصبتها الآن بلدة شبين الكوم، ومنوف حالياً مركز من مراكزها الهامة، وقد نشأ بها جلة من الأفاضل والعلماء.

(٦) قرية من أعمال محافظة المنوفية بمركز منوف غربى ترعة الرساوية.

(٧) هى تمى الأمديد، قرية قديمة فى مركز السنبلاوين من أعمال محافظة الدقهلية. وبها تل قديم به آثار بناء وبجواره مقام شهيد يعرف بمقام عبد الله بن سلام.

(٨) كذا فى الأصل، وصوابها طرابية سالفة الذكر.

(٩) جاء فى معجم البلدان أنها من كور أسفل الأرض (الدلتا) بمصر، ولم تذكرها مراجع أخرى وصل إليها جهدى.

طرابية وقربيط ؛ وكانت حضرموت تأخذ فى ببَا[(١)] وعين شمس وأتريب ، وكانت مُراد تأخذ فى منف والفيوم ، ومعهم عَبْس بن زَوْف ؛ وكانت حمير تأخذ فى بوصير ؛ وقرى أَهناس ؛ وكانت خولان تأخذ فى قرى أهناس والبَهْنَسا[(٢)] والقَيْس[(٣)] ؛ وآل وَعْلة يأخذون فى سَفْط من بوصير ؛ وآل أبرهة يأخذون فى منف ؛ وغِفَار وأَسْلم يأخذون مع وائل من جُذَام وسَعْد فى بَسْطة[(٤)] وقُرْبَيْط وطرابية ؛ وآل يسار بن ضِنّة فى أَتريب ؛ وكانت المعافر تأخذ أتريب وسخا ومنوف ؛ وكانت طائفة من تجيب ومراد يأخذون باليَدْقون[(٥)] .

وكان بعض هذه القبائل ربما جاوز بعضا فى الربيع ، ولا يُوقع من معرفة هذا على أحد ، إلا أن عُظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا ، وكان يكتب لهم بالربيع فير بعون ، وباللّبن ما أقاموا .

وكان لغفَار وليث أيضاً مُرتبع بأتريب .

قال : وأقامت مُدْلج بِخَرْبتا[(٦)] فاتخذوها منزلا ، وكان معهم نفر من حِمْير من

(١) ببا بلدة من محافظة بنى سويف واقعة على الشاطىء الغربى للنيل ، وهى بلدة قديمة يقال إنها كانت كرسى حكم فى الأزمان السالفة .

(٢) البهنسا : بلدة قديمة على الشاطىء الغربى من بحر يوسف من أعمال مركز مغاغة بمحافظة المنيا ، وكانت قاعدة إقليم ، ولها شهرة كبيرة فى تاريخ فتوح مصر ، وكانت البهنسا وقت فتح المسلمين بلاد مصر عالية الجدران حصينة الأسوار والبنيان ، وكان لها أربعة أبواب الى الجهات الأربعة ، وكان بها أربعون رباطاً وكنائس وقصور ، ولما أخذت بالفتح تغيرت معالمها واندرس كثير من آثارها ، وتجددت بها آثار إسلامية ، فكانت من أعظم بلاد مصر .

(٣) القيس : قريه بمركز بنى مزار من أعمال محافظة المنيا فى الجنوب الشرقى للبهنسا ، وفى غربيها تلول البلدة القديمة ، وكان لها ولأهناس فى الأزمان القديمة حاكم واحد ، وكانت البلدة القديمة تسمى فابيس ، وكانت ذات أسقفية وقد حفظ لها العرب اسمها القديم بتحريف قليل .

(٤) بسطة : مدينة كانت ذات شهرة وفخامة ، ولم يبق منها إلا تلال تعرف بتلال بسطة فى جنوبى مدينة الزقازيق ، وكانت مقر الأسرة الثانية والعشرين من الفراعنة ، وكانت بوسطها معبد شهير للقديسة بوباسطيس المسماة عند اليونان ديان .

(٥) اليدقون كورة بمصر من كور الحوف الغربى ، ولم يرد لها ذكر إلا فى معجم البلدان بهذا التعريف .

(٦) خربتا : قرية قديمة من قرى مصر بمحافظة البحيرة مركز النجيلة غربى فرع رشيد وغربى كوم حمادة ، وكانت كرسى خط يعرف باسمها ، وقد ذكر المقريزى وابن إياس أن خطها كان يشمل اثنتين وستين قرية غير الكفور .

ذُبْحان ، وغيرهم حالفوهم فيها ، فهى منازلهم .

ورجعت خُشَين وطائفة من لخم وجذام فنزلوا أكناف صان وإبليل وطرابية ، ولم يحفظوا ، ولم تسكن قيس بالحوف[1] الشرقى قديما ، وإنما الذى أنزلهم به ابن الحبحاب ، وذلك أنه وفد إلى هشام بن عبد الملك، فأمر له بفريضة ، خمسة آلاف رجل ، ثلاثة آلاف رجل — شك عبد الرحمن — فجعل ابن الحبحاب الفريضة فى قيس ، وقدّم بهم ، فأنزلوا بمصر الحوفَ الشرقى .

ذكر خيل مصر

قال : فلما نزل الناس واطمأنت بهم منازلهم كانوا يخرجون فيؤدبون خيلهم فى المضْمار .

حدثنا أحمد بن عمرو ، حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد ابن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى عن معاوية بن حديج أنه مرّ على رجل بالمضمار معه الفرس ممسك برَسَنه على كثيب ، فأرسل غلامه لينظر ، من الرجل ؟ فإذا هو بأبى ذر ، فأقبل ابن حديج إليه ، فقال له : يا أبا ذر ، إنى أرى هذا الفرس قد عنّاك ، وما أرى عنده شيئا .

قال أبو ذر : هذا فرس قد استُجِيب له .

قال ابن حديج : وما دعوة بهيمة من البهائم ؟

فقال أبو ذر : إنه ليس من فرس إلا أنه يدعو الله كل سَحَرية ، اللهم ، أنت خوّلتني عبدا من عبيدك ، وجعلت رزقى بيده ، اللهم اجعلنى أحبّ إليه من ولده وأهله وماله .

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم وشعيب بن الليث قالا ، حدثنا الليث

---

(١) الإقليم الشرقى من الدلتا ، وهو الواقع شرقى النيل وكانت مصر مقسومة أحوافاً .

ابن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسة أن معاوية بن حُدَيج حدّثه ، أنه مرّ على أبى ذرّ وهو قائم عند فرس له ، فسأله ، ما تعالج من فرسك ؟ فقال : إنى أظن أن هذا الفرس قد استجيبت دعوته . ثم ذكر مثل حديث ابن وهب .

حدثنا سعيد بن عُفَير حدثنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال : مرّ بنا عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيج ونحن جلوس مع حَنَش بن عبد الله نحو صَفَا مَهْرة ، فغفَل عن السلام ، فناداه حنش ، تمرّ ولا تسلّم ، والله لقد رأيتُنى أشفع لك عند أبيك ، أن يجعل لسرْجك ركابا تضع فيه رجلك .

قال : وكان وُلد معاوية بن حُدَيج ليست لسُرُوجهم رُكُب ، إنما يثبون على الخيل وثْباً .

وقال : وكانت أصول خيل مصر من خيل سمىٍّ ابنُ عفير بعضَها ، منها أشْقَر صَدِفٍ ، وكان لأبى ناعمة ، مالك بن ناعمة الصدفى ، و به سميت خَوْخه الأشقر التى بفسطاط مصر .

وكان السبب فى ذلك أن الأشقر نَفَق ، فكره صاحبه أن يطرحه فى الأكوام كما تطرح جيف الدواب ، فحفر له ، ودفنه هنالك ، فنسب الموضع إليه .

حدثنا أبى عبد الله بن الحكم قال : لما افتتح المسلمون القَصْر كان رجل من الروم يُقبل فى ناحية القصر على بِرْذَون له أشْهَب ، والمسلمون فى صلاة الصبح ، فيقتل و يطعن ، فتطلبه خيل المسلمين فلا تقدر عليه ؛ وكان صاحب الأشقر غائبا ، فلما قدم أُخبر بذلك ، فكمن له فى موضع ، وأقبل العِلْج ؛ ففعل كما كان يفعل ، فطلبه صاحب الأشقر ، فأدركه .

فقال : فاشتغلت بقتل العلج ، وشد الأشقر على الهجين ، فقتله .

ومنها ذو الريش ، فرسُ العَوّام بن حبيب اليَحْصبىّ ، والخَطّارُ فرس لبيد

ابن عُقْبة السَّوْمِيّ ، والدُّعْلُوقُ فرس جِمِّيَر بن وائل السَّوْمِيّ ، وعَجْلَى فرسُ كانت لعَكّ ، ولها يقول الشاعر :

سَبَقَ الأقْوَامَ عَجْلَى سَبَقَتْهُمْ وَهْيَ حُبْلَى

حدثنا عبد الواحد بن إسحاق ، حدثنا مروان بن معاوية عن أبى حَيَّان التَّيْمِىّ عن أبى زُرْعة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمَّى الأنثى من الخيل فرسا . .

قال : وعَجْلَى التى قال عبد الرحمن بن معاوية حُدَيج لنمر بن أَبْقَع العَكِّىّ : ما فعلت عَجْلَى ؟ على وجه الاستهزاء ، فقال : أما إنّ لها فى أمِّك سَهْمَين .

قال : وكان للخم أيضا فرس يقال له أَبْلَقَ لخم ؛ وكان الجوْن لعُقبه بن كُلَيب الحضرمىّ .

وكان عبد العزيز بن مروان قد طلب الخَطّار من لبيد بن عقبة، فامتنع عليه، فأغزاه إفريقية، فمات بها، فلما كان موسى بن نصير أَهْدى إلى عبد العزيز بن مروان خيلاً فيها الخَطّار . قال ، وقد طالت معرَفته وذَنبه ؛ فلما صارت إليهم الخيل لم يجدوا مَن يعرف الخطّار ؛ فقالوا : ابنة لبيد ؛ فبعث به عبد العزيز إليها ؛ فقالت لمن أتاها ، إنى امرأة ، فاخرجوا عنى حتى أنظر إليه ؛ ففعلوا ؛ فخرجت ، فنظرت إليه ، فعرفته ، فقالت : والله لا يركبكِ [أحد] بعد أبى سَوِيا . ثم قطعت أذنى الفرس وهَلَبت[1] ذنبه ، ثم قالت : هو هذا ، خذوه ، لا بارك الله لكم فيه .

فصار لعبد العزيز بن مروان ، فاتخذه للفِحْلة ، فكان منه الذَّائذُ ، ثم كان من الذائذ القَرْقَدُ ، فهو أبو الخيل القرقديةُ ؛ ولم يعْرَق القَرْقَد فى شىء من خيل مصر إلا جاء سابقا .

وكان أهل مصر لما بلغ مروان بن الحكم القاصِرَةَ وجّهوا إليه عُقبة بن شريح ابن كليب المعافرىّ ، ومُطَيْر بن يزيد التُّجيبى طليعة لهم ، ومطير يومئذ على الخطّار ، فرس لبيد بن عقبة السَّوْمِيّ ، فدخلا فى عسكر مروان وجوَّلا .

(١) أى نتفت شعر الذيل .

ثم إن شيخا من أهل العسكر نَذِر بهما واستنكر هيئتهما ، فقال : والله إنى لأنكر سَحْنة هذين الفَرَسين ، وما أرى على صاحبيهما شحوب السفر ، فكرّا راجعين إلى الفسطاط ، فمرّا بناقة صَرْصَرَانِيَّة(١) فى ناحية العسكر لبشر بن مروان فطارداها ، فلما لحقتهما الخيل قال مطير لعقبة : اطرد الناقة وأنا أكفيك .

وكرّ مطير فقاتلهم حتى ولّوا عنه ، ثم لحق صاحبه ، ثم لحقته الخيل أيضاً ، ففعل مثل ذلك حتى وصلا إلى الفسطاط ، فسألوهما عن الخبر ، فقالا : حتى تنحَرُوا الناقة وتأكلوا لحمها ؛ وهى أول غنيمة ، فنحرت الناقة وأكل لحمها ، ثم أخبرهم الخبر ، وأنهم أقوى من الرجل .

ثم كتب عمر بن الخطاب كما حدثنا شعيب بن الليث وعبد الله بن صالح ويحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد عن يزيد ابن أبى حبيب إلى عمرو بن العاص : أنظر مَن قِبَلك ممّن بايع تحت الشجرة فأتمّ لهم العطاء مائتين ، وأتِمّها لنفسك لإمْرَتك ، وأتمها لخارجة بن حذافة لشجاعته ، ولعثمان بن أبى العاص لضيافته .

ذكر
مقاسمة عمر بن الخطاب العمال

قال : ثم بعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة ، كما حدثنا معاوية بن صالح عن محمد بن سَماعة الرَّمْلىّ قال : حدثنى عبد الله بن عبد العزيز شيخٌ ثقةٌ ، إلى عمرو بن العاص ، وكتب إليه :

« أما بعد ، فإنكم مَعْشَرَ العُمّال قعدتم على عُيون الأموال ، فَجَبَيْتم الحرام ، وأكلتم الحرام ، وأورثتم الحرام ؛ وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصارى ليقاسِمَك مالك ، فأحْضِرْه مالَك ، والسلام » .

(١) الناقة الصرصرانية من نوع لإبل خراسان .

فلما قدم محمد بن مسلمة مصر أهدى له عمرو بن العاص هديّة ، فردّها عليه ، فغضب عمرو وقال : يا محمد ، لِمَ رددت إلىّ هديتى ؟ وقد أهديتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدَمِى من غزوة السَّلاسِل[١] ، فقبل .

فقال له محمد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل بالوَحْى ماشاء ، ويمتنع مما شاء ، ولو كانت هدية الأخ إلى أخيه قبلتُها ، ولكنها هدية إمامٍ ، شرٌّ خلفُها .

فقال عمرو : قبّح الله يوما صرتُ فيه لعمر بن الخطاب والياً ، فلقد رأيت العاص بن وائل يلبس الديباج المَزَرّر بالذهب ، وإن الخطاب بن نُفَيل ليحمل الحطب على حمار بمكة .

فقال له محمد بن مسلمة : أبوك وأبوه فى النار ، وعمر خير منك ، ولولا اليوم الذى أصبحتَ تَذُمُّ لألْفِيتَ مُعْتَقِلاً عَنْزاً ، يسرُّك غُزْرُها[٢] ، ويسوءك بَكْؤُها[٢] .

فقال عمرو : هى فَلْتَة المُغْضَب ، وهى عندك بأمانة .

ثم أحضره ماله ، فقاسمه إياه ، ثم رجع .

قال وكان سبب مقاسمة عمر بن الخطاب العُمّال ، كما حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، وعبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، أن خالد بن الصَّعْق[٣] قال شعرا كتب به إلى عمر بن الخطاب .

---

(١) غزة غزاها عمرو بسريته سنة ثمان ، فى مكان وراء وادى القرى ، وهى مكة والطائف .

(٢) الغزر : لدرار اللبن بكثرة ، وبكأت الشاة تبكأ قلَّ لبنها أو انقطع .

(٣) ورد فى هامش من النسخة ا قوله : ذكر ابن الكلبى وغيره أن الذى يقول لعمال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أبلغ أمير المؤمنين رسالة الأبيات ، هو أبو المختار قيس بن يزيد بن قيس بن يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق الشاعر .

أَبْلِغْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ رِسالةً ... فأَنْتَ وَلِيُّ اللهِ فى المالِ والأَمْرِ
فَلا تَدَعَنْ أَهْلَ الرَّساتِيقِ والجِزَى ... يُسِيغُون مالَ اللهِ فى الأُدُمِ الوَفْرِ
فأَرْسِلْ إلى النُّعْمانِ فاعْلَمْ حسابَهُ ... وأَرْسِلْ إلى جزءٍ وأَرْسِلْ إلى بِشْرِ
وَلا تَنْسَيَنَّ النّافِعَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وصِهرَ بَنِى غَزْوانَ عِنْدَكَ ذا وَفْرِ
وَلا تَدْعُوَنِّى لِلشَّهادةِ إنّنِى ... أَغِيبُ ولكِنِّى أَرَى عَجَبَ الدَّهْرِ
مِنَ الخَيْلِ كالغِزْلانِ والبِيضِ كالدُّمَى ... وَما لَيْسَ يُنْسَى مِنْ قِرامٍ وَمِنْ سِتْرِ[1]
مِنْ رِيطَةٍ مَطْوِيَّةٍ فى صِيانِها ... ومِنْ طَىِّ أَسْتارٍ مُعَصْفَرَةٍ حُمْرِ[2]
إذا التّاجِرُ الهِنْدِىُّ جاءَ بفَأْرَةٍ ... مِنَ المِسْكِ راحَتْ فى مفارِقِهِمْ تَجْرِى
نَبِيعُ إذا باعُوا ونَغْزُوا إذا غَزَوْا ... فأَنَّى لَهُمْ مالٌ ولَسْنَا بذِى وَفْرِ
فقاسِمْهُمُ ـ نَفْسى فِداؤُكَ ـ إنّهُم ... سَيَرْضَوْنَ ـ إنْ قاسَمْتَهُم ـ مِنْكَ بالشَّطْرِ

فقاسمهم عمر نصف أموالهم .

والنعمانُ النعمانُ بنُ بشير ، وكان على حِمْص[3]؛ وصِهْرُ بن غزوان أبو هريرة، كان على البحرين[4].

قال : ويقال إن قائل هذه الأبيات كما حدثنا معاوية بن صالح عن يحيى بن معين عن وَهْب بن جَرير عن أبيه عن الزبير بن الخِرِّيت أبو المختار النُّمَيْرى قال :

أَبْلِغْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ رِسالةً ... فأَنْتَ أَمِينُ اللهِ فى البَرِّ والبَحْرِ
فأَرْسِلْ إلى النُّعْمانِ فاعْلَمْ حِسابَهُ ... وأَرْسِلْ إلى جزءٍ وأَرْسِلْ إلى بِشْرِ
ولا تدعَنَّ النّافِعَيْنِ كِلَيْهِما ... وذاكَ الّذى فى السُّوقِ مَوْلَى بَنِى بَدْرِ
وَما عاصِمٌ مِنْها بِصِفْرٍ عِيابُهُ ... ولا ابْنُ غَلابٍ من سَراةِ بَنِى نَصْرِ
نَبِيعُ إذا باعُوا ونَغْزُوا إذا غَزَوْا ... فأَنَّى لهمْ مالٌ ولَسْنَا بذِى وَفْرِ

(١) القرام : هو ثوب من الصوف الملون ، صفيق يتخذ ستراً ، وقيل هو الستر الرقيق وراء الستر الغليظ .

(٢) الريطة: هى الملاءة إذا كانت واحدة، وقال الأزهرى : لا تكون الريطة إلا بيضاء .

(٣) حمص : مدينة مشهورة بالإقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة .

(٤) البحرين : إمارة على الخليج العربى .

وَمَا لا يُعَدُّ مِنْ قِرَامٍ وَمِنْ سِتْرِ ... تَرَى الجُرْدَ كالخُزَّانِ والبيضَ كالدُّمَى

وَمِنْ طَيِّ أَسْتَارٍ مُحَدْرَجَةٍ خُمْرِ ... وَمِنْ رَيْطَةٍ مَطْوِيَّةٍ فِي صِوَانِهَا

مِنَ المِسْكِ راحَتْ فِي مَفَارِقِهِمْ تَجْرِي ... إِذَا التَّاجِرُ الهِنْدِيُّ جاء بِفَارَةٍ

سَيَرْضَوْنَ إِنْ قَاسَمْتَهُمْ مِنْكَ بِالشَّطْرِ ... فَدُونَكَ مالُ اللهِ لا تَتْرُكَنَّهُ

أَغِيبُ ولَكِنِّي أَرَى عَجَبَ الدَّهْرِ ... ولا تَدْعُوَنِّي لِلشَّهَادَةِ إِنَّنِي

قال عمر : فإنا قد أعفيناه من الشهادة ، ونأخذ منهم نصف أموالهم ، فأخذ النصف ، وكان عمر قد استعمل هؤلاء الرهط .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن أبيه، أن جدّه أوصى أن يدفع إلى عمر بن الخطاب نصف ماله ، وكان عمر استعمله على بعض أعماله .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا سليمان بن أبي سليمان عن محمد بن سيرين قال ، قال أبو هريرة : لمّا قدمتُ من البحرين قال لى عمر : ياعدوّ الله وعدو الإسلام ، خُنْتَ مال الله ؟

قال : قلت ، لست بعدو الله ولا عدو الإسلام ، ولكن عدوّ من عاداهما ، ولم أَخُنْ مال الله ، ولكنها أَثْمَانُ خيل لى تَنَاتَجَت ، وسهام اجتمعت .

قال : ياعدوّ الله وعدوّ الإسلام ، خنتَ مال الله ؟

قال : قلت ، لست بعدوّ الله ولا عدوّ الإسلام ، ولكن عدوّ من عاداهما ، ولم أخن مال الله ، ولكنها أثمان خيل لى تناتجت وسهام اجتمعت (١) .

قال ذلك ثلاث مرات ، يقول ذلك عمر ، ويرد عليه أبو هريرة هذا القول .

قال : فغرّمنى اثنى عشر ألفا ؛ فقمت فى صلاة الغداء ، فقلت : اللهم أغفر لأمير المؤمنين .

فأرادنى على العمل بعدُ ، فقلت : لا .

(١) فى نسخة د : واجتمعت ، فأعاد القول الأول ثلاث مرات ، وأقول له كالجواب الأول ، فلما عاين الجد والانصراف قال فغرمنى ... الخ .

قال : أَوَلَيْس يوسف خيرا منك ، وقد سأل العمل ؟

قلت: إن يوسف نبيٌّ ابن نبيٍّ ، وأنا ابن أُمَيْمة، وأنا أخاف ثلاثة واثنتين .

قال : ألا تقول خمسا ؟

قلت : لا

قال : مَه

قلت : أخاف، أن أقول بغير حِلْم ، وأقضى بغير علم ، وأن يضرب ظهرى، ويشتم عرضى ، و يؤخذ مالى .

ذكر

النيل

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن واهب بن عبد الله المعافرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : نيل مصر سيّد الأنهار ، سخّر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب ، فإذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمدّه ، فأمدته الأنهار بمائها ، وفجر الله له الأرض عيونا ، فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عُنصره[1].

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن معاوية ابن أبى سفيان سأل كعب الأحبار ، هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله خبراً ؟

قال : أى ، والذى فلق البحر لموسى ، إنى لأجده فى كتاب الله ، أن الله يوحى إليه فى كل عام مرتين ، يوحى إليه عند جريه ، إن الله يأمرك أن تجرى ، فيجرى ما كتب الله له ؛ ثم يوحى إليه بعد ذلك ، يانيل عُدْ حميدا .

حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا عبد الله بن عمر عن حبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : النيل

(١) هذه الرواية وما بعدها روايات غير صحيحة فى متنها وأسانيدها .

وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول ، أربعة أنهار من الجنة ، وضعها الله فى الدنيا ، فالنيل نهر العسل فى الجنة ، والفرات نهر الخمر فى الجنة ، وسيحان نهر الماء فى الجنة ، وجيحان نهر اللبن فى الجنة .

حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة قالا ، حدثنا يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن أبى جنادة الكنانى أنه سمع كعبا يقول : النيل فى الآخرة عسل أغزر ما يكون من الأنهار التى سماها الله ، ودجلة فى الآخرة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التى سمّى الله ، والفرات خمر أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله ، وجيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله .

قال : فلما فتح عمرو بن العاص مصر — كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن من حدثه ، أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤونة[1] من أشهر العجم فقالوا له :

— أيها الأمير ، إن لنيلنا هذا سنّة لا يجرى إلا بها .

فقال لهم : وما ذاك ؟

قالوا : إنه إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحُلىّ والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل .

فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله . فأقاموا بؤونة وأبيب[2] ومسرى[3] لا يجرى قليلا ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء .

---

(١) الشهر العاشر من السنة القبطية .
(٢) الشهر الحادى عشر من السنة القبطية .
(٣) الشهر الأخير من السنة القبطية .

فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عمر : قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة ، فألقها فى داخل النيل إذا أتاك كتابى .

فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإن كنت تجرى من قِبَلك فلا تَجْرِ ، وإن كان الله الواحد القهار الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك .

فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم ، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلى النيل ، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا فى ليلة ، وقطع تلك السُّنَّة السوء عن أهل مصر.

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أنه موسى عليه السلام دعا على آل فرعون ، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء ، حتى طلبوا إلى موسى أن يدعو الله ، فدعا الله رجاء أن يؤمنوا ، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا ، فاستجاب الله بتطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام[1] .

ذكر

الجزية

قال : وكان عمرو يبعث إلى عمر بن الخطاب بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج إليه ، وكانت فريضة مصر ، كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب لحفر خُلُجِها ، وإقامة جسورها ، وبناء قناطرها ، وقطع جزائرها ، مائة ألف وعشرين ألفا ، معهم الطور والمساحى ، والأداة ، يعتقبون ذلك ، لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا .

(١) روايات غير مقبولة فى العقل ، ولا فى المنطق.

ثم كتب عمر بن الخطاب، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر، أن يختم فى رقاب أهل الذمة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم، ويجزّوا نواصيهم، ويركبوا على الأُكُفُ عَرْضاً[١]، ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المَوَاسى[٢]، ولا يضربوا على النساء ولا على الوِلْدان[٣]، ولا يدعوهم يتشبّهون بالمسلمين فى لبوسهم.

حدثنا شعيب بن الليث، حدثنا أبى عن محمد بن عبد الرحمن بن غَنَج[٤] أن نافعا حدّثهم، وحدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن وهب، حدثنى عبد الله ابن عمر، وعمر بن محمد، أن نافعا حدثهم عن أسلم مولى عمر، أنه حدثه، أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد ألا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسى؛ وجزيتهم أربعون درهما على أهل الورق منهم، وأربعة دنانير على أهل الذهب، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت، مُدْيان[٥] من حنطة، وثلاثة أقساط[٦] من زيت فى كل شهر، لكل إنسان من أهل الشام والجزيرة، ووَدَكٌ[٧] وعسل لا أدرى كم هو.

ومن كان من أهل مصر فإردب كل شهر، لكل إنسان، لا أدرى كم من الودك والعسل، وعليهم من البَزّ والكسوة التى يكسوها أمير المؤمنين الناسَ، ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاث ليال[٨].

---

(١) الأكف شبه الرحال.
(٢) جمع موسى وهو ما يحلق به، والمراد من بلغ الحلم.
(٣) فى نسخة ح زيادة: ولا على الرهبان.
(٤) وفى الأصل عنج، والصواب ما ذكر، وهو محدث مقبول.
(٥) المدى مكيال لأهل الشام يسع خمسة عشر مكوكا، والمكوك صاع ونصف.
(٦) القسط نصف صاع.
(٧) دسم اللحم.
(٨) فى نسخة د زيادة، وكتب إلى أمراء الأجناد بذلك.

وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعا، لكل إنسان ، لا أدرى كم لهم من الودك ، وكان لا يضرب الجزية على النساء والصبيان ، وكان يختم فى أعناق أهل الجزية.

قال : وكانت وَيْبَةُ[1] عمر بن الخطاب كما حدثنا عبد الملك عن الليث بن سعد فى ولاية عمرو بن العاص ستة أمداد[2].

حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا سفيان بن عُيينة عن أبى إسحاق عن حارثة بن مضرّب أن عمر قال : جعلت على أهل السواد ضيافة يوم وليلة ، فمن حبسه مطر فلينفق من ماله .

قال : وكان عمرو بن العاص لما استوسق له الأمر أقرّ قِبْطَها على جباية الروم، وكانت جبايتهم بالتعديل ، إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم، وإن قلّ أهلها وخربت نُقِصوا ، فيجتمع عُرَفاء كل قرية وما روتُها[3] ورؤساء أهلها، فيتناظرون فى العمارة والخراب حتى إذا أقَرُّوا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى ، فوزّعوا ذلك على احتمال القرى وسَعَةِ المزارع . ثم ترجع كل قرية بقَسْمِهم ، فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة فيبذرون ، فيخرجون من الأرض فَدَادِين لكنائسهم وحمّاماتهم ومَعْدِيَّاتهم من جملة الأرض ، ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان ؛ فإذا فرغوا نظروا إلى ما فى كل قرية من الصُّنَّاع والأُجَراء ، فقسموا عليهم بقدر احتمالهم ، فإن كانت فيها جَالِيَةٌ قسموا عليها بقدر احتمالها ، وقلّ ما كانت تكون إلا الرجل المنتابَ أو المتزوج ، ثم ينظرون ما بقى من الخراج ، فيقسمونه بينهم على عدد الأرض ، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع

---

(١) مكيال .

(٢) جمع مد هو ربع صاع .

(٣) المازوت هو كبير الوجهاء ، وهى كلمة مأخوذة من اللغة السريانية ، والعرفاء جمع عريف ، وهو من يتلو على الناس الأدعية .

منهم على قدر طاقتهم ، فإن عجز أحد وشكا ضعفا عن زرع أرضه وزّعوا ما عجز عنه على الاحتمال ، وإن كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف ، فإن تشاحّوا قسموا ذلك على عِدَّتهم ، وكانت قسمتهم على قراريط الدينار ، أربعة وعشرين قيراطا ، يقسمون الأرض على ذلك .

وكذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : إنتم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا .

وجعل عليهم لكل فدّان نصف إردب قمح ، ووَيْبَتَيْن من شعير ، إلا القُرْط[1] فلم يكن عليه ضريبة ، والوَيْبَة يومئذ ستة أمداد .

وكان عمر بن الخطاب ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب ، يأخذ ممن صالحه من المعاهدين ما سمّى على نفسه ، لا يضع من ذلك شيئا ، ولا يزيد عليه ، ومن نزل منهم على الجزية ولم يُسَمّ شيئا يؤدّيه نظر عمر فى أمره ، فإذا احتاجوا خَفَّف عنهم ، وإن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم .

قال : وروى حَيْوة بن شريح ، حدثنى الحسن بن ثَوْبان ، أن هشام بن أبى رُقَيَّة اللخمى حدّثه ، أن صاحب إخْنا قدم على عمرو بن العاص ، فقال له : أَخْبِرْنا ما على أحدنا من الجزية فيصْبِرَ لها ؟ فقال عمرو ؟ وهو يشير إلى ركن كنيسة ، لو أعطيتنى من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك ، إنما أنتم خزانة لنا ، إن كثُر علينا كثّرنا عليكم ، وإن خفف عنا خففنا عنكم .

ومن ذهب إلى الحديث ذهب إلى أن مصر فتحت عنوة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال ،

---

(١) ما تعلفه الدواب .

قال عمر بن عبد العزيز ، أيُّما ذمىّ أسلم فإن إسلامه يُحرِز له نفسه وما له ، وما كان من أرض فإنها من فىء الله على المسلمين .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز قال : أيّما قوم صالحوا على جزية يعطونها ، فمن أسلم منهم كان أرضه وداره لبقيّتهم .

قال الليث ، وكتب إلىّ يحيى بن سعيد ، أن ما باع القبط فى جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذى عليهم من عبد أو وليدة أو بعير أو بقرة أو دابة فإن ذلك جائز عليهم لمن ابتاعه منهم غير مردود إليهم إن أيسروا ، وما أكروا من أرضهم فجائز كراؤه إلا أن يكون يضرّ بالجزية التى عليهم ، فلعل الأرض أن تُرد عليهم إن أضرّت بجزيتهم ، وإن كان فضلا بعد الجزية فإنا نرى كراءها جائزا لمن تكاراها منهم .

قال يحيى ، ونحن نقول ، الجزية جزيتان ، فجزية على رءوس الرجال ، وجزية جملة تكون على أهل القرية ، يؤخذ بها أهل القرية ، فمن هلك من أهل القرية التى عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رءوس الرجال ، فإنا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد له ولا وارث أن أرضه ترجع إلى قريته فى جملة ما عليهم من الجزية ، ومن هلك ممن جزيته على رءوس الرجال ولم يدع وارثا فإن أرضه للمسلمين .

قال الليث ، وقال عمر بن عبد العزيز : الجزية على الرءوس وليست على الأرضين ، يريد أهل الذمة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن عبد الملك بن جنادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى حيان بن شُريح أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم . قال : وحديث عبد الملك هذا يدل على أن عمر بن عبد العزيز كان يرى أن أرض مصر فتحت عنوة ، وأن الجزية إنما هى على القرى ، فمن مات من أهل

القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم ، وأن موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئا .

قال . ويحتمل أن تكون مصر فتحت بصلح ، فذلك الصلح ثابت على من بقى منهم ، وأن موت من مات منهم لا يضع عنهم مما صالحوا عليه شيئاً ، والله أعلم

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن محمد بن عمرو عن ابن جُريج أن رجلا أسلم على عهد عمر بن الخطاب ، فقال : ضعوا الجزية عن أرضى . فقال عمر : لا ، إن أرضك فتحت عنوة .

قال عبد الملك ، وقال مالك بن أنس : ما باع أهل الصلح من أرضهم فهو جائز لهم ، وما فتح عنوة فإن ذلك لا يشترى منهم أحد ولا يجوز لهم بيع شىء مما تحت أيديهم من الأرض ، لأن أهل الصلح من أسلم منهم كان أحق بأرضه وماله ؛ وأما أهل العَنوة الذين أخذوا عنوةً فمن أسلم منهم أَحْرز إسلامه نفسَه، وأرضُه للمسلمين ، لأن أهل العنوة غُلبوا على بلادهم ، وصارت فيئا للمسلمين ، ولأن أهل الصلح إنما هم قوم امتنعوا ومنعوا بلادهم حتى صالحوا عليها . وليس عليهم إلا ما صالحوا عليه ، ولا أرى أن يُزَاد عليهم ولا يؤخذ منهم إلا ما فرض عمر ابن الخطاب ، لأن عمر خطب الناس ، فقال : قد فرضت لكم الفرائض، وسُنَّت لكم السُّنَن ، وتُرِكتم على الواضحة .

قال : وأما جزية الأرض فلا علم لى ولا أدرى كيف صنع فيها عمر ، غير أنه قد أقرَّ الأرض ، فلم يقسمها بين الناس الذين افتتحوها ، فلو نزل هذا بأحد كنت أرى أن يسأل أهلَ البلاد ، أهل المعرفة منهم والأمانة ، كيف كان الأمر فى ذلك؟ فإن وجد من ذلك عِلْماً يَشْفِى وإلا اجتهد فى ذلك هو ومن حضره من المسلمين .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز وضع

الجزية عمّن أسلم من أهل الذمة من أهل مصر ، وألحق فى الديوان صلح من أسلم منهم فى عشائر من أسلموا على يديه .

قال : وقال غير عبد الملك ، وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم .

وأول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن رَزين بن عبد الله المُرادى، الحجاجُ بن يوسف. ثم كتب عبد الملك ابن مروان إلى عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية على من أسلم أهل الذمة . فكلّمه ابن حُجَيْرة فى ذلك ، فقال : أُعيذك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سنّ ذلك بمصر ، فو الله إن أهل الذمة ليتحمّلون جزية من ترهّب منهم ، فكيف تضعها على من أسلم منهم ؟

فتركهم عند ذلك .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب، أن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى حيان بن سُرَيح أن تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة ، فإن الله تبارك وتعالى قال : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » وقال : « وَقَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَلاَ يَدِينُونَ بِدِينِ الْحَقِّ ، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ، وَهُمْ صَاغِرُونَ » .

وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال ، كان لعبد الله بن سعد موالى نَصَارَى فأعتقهم ، فكان عليهم الخراج .

قال الليث : أدركنا بعضهم ، وإنهم ليؤدون الخراج .

حدثنا عثمان بن صالح وعبد الله بن صالح قالا ، حدثنا الليث بن سعد قال : لما ولى ابن رفاعة مصر خرج ليُحصى عدّة أهلها، وينظر فى تعديل الخراج عليهم، فأقام فى ذلك ستة أشهر بالصعيد ، حتى بلغ أسوان ، ومعه جماعة من الأعوان

والكُتّاب ، يكفونه ذلك بجدّ وتَشْمير ، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض ، فأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية ، فلم يُحْصَ فيها ، فى أصغر قرية منها ، أقلّ من خمسمائة جُمْجُمة من الرجال الذين يفرض عليهم الجزية .

ذكر

المقطم

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد قال : سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار ، فعجب عمرو من ذلك ، وقال : أكتُبُ فى ذلك إلى أمير المؤمنين .

فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : سَلْه لِمَ أعطاك به ما أعطاك ؟ وهى لا تزرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها .

فسأله ، فقال : إنّا لنجد صفتها فى الكتب، أن فيها غِراسَ الجنّة .

فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين، فأقبر فيها من مات قِبَلك من المسلمين ، ولا تَبِعْه بشىء .

فكان أول من دفن فيها رجل من المعافر ، يقال له، عامر ؛ فقيل: عُمِرت.

فقال المقوقس لعمرو ، كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن عُمارة بن عيسى، قال: ما ذلك ولا على هذا عاهدتَنا ؛ فقطع لهم الحدَّ الذى بين المقبرة و بينهم .

حدثنا هانىء بن المتوكل عن ابن لهيعة أنّ المقوقس قال لعمرو : إنا لنجد فى كتابنا أن ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبُت فيه شجر الجنة . فكتب بقوله إلى عمر بن الخطاب ، فقال : صدق ، فاجعلها مقبرة للمسلمين .

وقال غير عمارة بن عيسى ، فقُبِر فيها ممّن عُرِف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عمّن حدثه خمسة نفر ، عمرو ابن العاص السَّهْمى، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزُّبَيْدِى، وأبو بَصْرة الغفارى، وعقبة بن عامر الجهنى .

وقال غير عثمان : ومسلمة بن مخلّد الأنصارى .

قال ابن لهيعة : والمقطم ما بين القصير إلى مقطع الحجارة ، وما بعد ذلك فمن اليَحْمُوم ؛ وقد اختلف فى القصير .

أخبرنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة قال : ليس بقُصَير موسى النبى عليه السلام ، ولكنه موسى الساحر .

حدثنا سعيد بن عفير وعبد الله بن عبّاد قالا ، حدثنا المفضل بن فَضَالة عن أبيه قال : دخلنا على كعب الأحْبار ، فقال لنا : من أنتم ؟ قلنا : من أهل مصر ، فقال : ما تقولون فى القُصير ؟ قال ، قلنا ، قصير موسى . قال : ليس بقصير موسى ، ولكنه قصير عزيز مصر ، كان إذا جرى النيلُ يترفّع فيه ؛ وعلى ذلك لمقدّس من الجبل إلى البحر .

قال : ويقال ، بل كان مَوْقدا يوقد فيه لفرعون ، إذا هو ركب من مَنْف إلى عين شمس ؛ وكان على المقطم موقد آخر ، فإذا رأوا النار علموا بركوبه ، فأعدوا له ما يريد ، وكذلك إذا ركب منصرفا من عين شمس ، والله أعلم .

حدثنا هانىء بن المتوكل عن ابن لهيعة ، ورِشْدين سعد بن عن الحسن بن ثوْبان عن حُسين بن شُفَىّ الأَصْبَحى عن أبيه شفىّ بن عبيد أنه لما قدم مصر ، وأهل مصر قد اتخذوا مُصَلّى بحذاء ساقية أبى عَوْن التى عند العسكر ، فقال : مالهم وضعوا مُصَلّاهم فى الجبل الملعون ، وتركوا الجبل المقدس ؟

قال الحسن ابن ثوبان : فقدّموا مصلاّهم إلى موضعه الذى هو به اليوم .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى قَبيل أن رجلا سأل كعبا عن جبَل مصر ، فقال : إنه لمقدّس ما بين القصير إلى اليَحْمُوم .

ذكـــر

استبطاء عمر بن الخطاب عمرو بن العاص فى الخراج

قال عبد الرحمن : فلما استبطأ عمر بن الخطاب الخراج من قبل عمرو بن العاص كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليكم ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنى فكرت فى أمرك والذى أنت عليه ، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة ، قد أعطى الله أهلها عُدَداً وجَلَداً وقوة فى بر وبحر ، و إنها قد عالجتها الفراعنة ، وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عُتُوِّهم و كفرهم ، فعجبت من ذلك ، وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قُحوط ولا جُدوب، ولقد أكثرت فى مكاتبتك فى الذى على أرضك من الخراج، وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نَزْر ، ورجوت أن تُفيق فترفع إلىّ ذلك، فإذا أنت تأتينى بمعاريض تغتالها، لا تُوافق الذى فى نفسى ، ولست قابلا منك دون الذى كانت تؤخذ به قبل ذلك من الخراج ؛ ولست أدرى بعد ذلك ما الذى أنفرك من كتابى وقبّضك ، فلئن كنت مُجْزِئاً كافئا صحيحا ، إن البراءة لنافعة ، من أن كنت مُضيعاً نَطِفاً[1] ، إن الأمر لعلى غير ما تحدث به نفسك ، وقد تركت أن أبتلى ذلك منك فى العام الماضى رجاء أنه تُفيق فترفع إلىّ ذلك .

« وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا عُمّالُك ، عُمّال السوء ، وما تُوالَس عليه وتُلَفّف ، اتخذوك كهفاً ، وعندى بإذن الله دواء ، فيه شفاء عما أسألك عنه ،

---

(١) نطف الرجل إذا اتهم بريبة .

فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتُعْطاه ، فإن النَّهْزَ[1] يخرج الدرّ ، والحق أبلج ، ودعنى وما عنه تَلَجْلَج ، فإنه قد بَرِح الخفاء . والسلام .

قال : فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج ، والذى ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلى ، وإعجابه من خراجها على أيديهم ، ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام ، ولَعَمرى لَلخراج يومئذ أوفر وأكثر ، والأرض أعمر ، لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب فى عمارة أرضهم منا منذ كان الإسلام ، وذكرت أن النَّهْزَ يخرج الدر ، فحلبتُها حلبا قطع ذلك درّها ، وأكثرت فى كتابك وأنّبْتَ وعَرّضْتَ وثربتَ[2] ، وعلمت أن ذلك عن شىء تخفيه على غير خُبْر ، فجئت لعمرى بالمُفْظِعات المُقْذِعات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رَصِينٌ صارمٌ بليغ صادق ، وقد عَمِلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنا بحمد الله مؤدين لأماناتنا ، حافظين لما عظّم الله من حق أئمتنا ، نرى غير ذلك قبيحاً ، والعمل به سيئاً ، فيُعْرف ذلك لنا و يُصدق فيه قِيلُنا ، معاذ الله من تلك الطُّعَم ومن شر الشِّيَم والإجزاء على كل مَأْثَم ، فاقبض عملك ، فإن الله قد نزّهنى عن تلك الطُّعَم الدنيّة والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عِرْضاً ، ولم تُكْرِم فيه أخا ، والله يا ابن الخطاب لأَنا حين يُراد ذلك منى أشد لنفسى غضباً ولها إنْزَاهاً و إكراماً ، وما عملت من عمل أرى علىّ فيه متعلّقاً ، ولكنى حفظتُ مالم تحفظ ، ولو كنتُ من يهود يثرب مازدتَ ، يغفر الله لك ولنا، وسكتُّ عن أشياء

---

(١) نهز الناقة ضرب ضرتها لتدرّ .

(٢) التثريب كالتأنيب والتعيير والاستقصاء فى اللوم .

كنتُ بها عالما ، وكان اللسان بها منى ذَلُولاً ، ولكن الله عظّم من حقك ما لا يُجْهل ، والسلام » .

فكتب إليه عمر بن الخطاب ، كما وجدت فى كتاب أعطانيه يحيى بن عبد الله بن بكير عن عبد الله بن أبى جعفر عن أبى مرزوق التُّجيبى عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص .

« من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فقد عجبتُ من كثرة كُتُبِى إليك فى إبطائك بالخراج ، وكتابك إلىّ بِبُنَيَّات الطرُق ، وقد علمتَ أنى لستُ أرضى منك إلا بالحق البيّن ، ولم أُقْدِمْك إلى مصر أجعلها لك طُعْمة ولا لقومك ، ولكنى وجّهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك ، فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فإنما هو فىء المسلمين ، وعندى من قد تَعْلَم ، قوم مَحْصُورون ، والسلام » .

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ، ويزعم أنى أعْنُد على الحق وأنكب عن الطريق ، وإنى والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تُدْرِك غلّتُهم ، فنظرتُ المسلمين ، فكان الرفق بهم خيراً من أن يُخْرَق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه» .

حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد أن عمْراً جباها اثنى عشر ألف ألف ؛ قال غير الليث : وجباها المقوقس قبله بسنة عشرين ألف ألف ، فعند ذلك كتب إليه بما كتب به .

قال الليث : وجباها عبد الله بن سعد حين استعمله عليها عثمان أربعة عشر ألف ألف ؛ فقال عثمان لعمرو : يا أبا عبد الله ، دَرّتْ اللِّقْحةُ[1] بأكثر من درّها الأول . قال عمرو : أضررتم بولدها . وقال غير الليث، فقال له عمرو : ذلك إن لم يمت الفَصِيل[2] » .

حدثنا هشام بن اسحق العامرىّ قال ، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، أن يسأل المقوقس عن مصر ، من أين تأتى عمارتها وخرابها ؟ فسأله عمرو ، فقال له المقوقس : تأتى عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ، أن يُسْتَخرج خَرَاجُها فى إبّانٍ واحد عند فراغهم أهلها من زُروعهم ، ويُرْفع خراجها فى إبّان واحد عند فراغ أهلها من عَصْر كرومهم ، وتُحْفَرَ من كل سنة خُلُجُها ؛ وتُسَدَّ تُرُعها وجسورها ، ولا يُقْبل مَحْلُ أهلها — يريد البَغْى — فإذا فعل هذا فيها عُمِرتْ ، وإن عُمِل فيها بخلافه خُرِبت .

قال : وفى كتاب ابن بُكير الذى أعطانيه عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما استبطأ عمر بن الخطاب عمرو بن العاص فى الخراج كتب إليه، أن أبعث إلىّ رجلا من أهل مصر .

فبعث إليه رجلا قديما من القبط ، فاستخبره عمر عن مصر وخراجها قبل الإسلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لا يؤخذ منها شىء إلا بعد عمارتها ، وعامِلُك لا ينظر إلى العمارة ، وإنما يأخذ ما ظهر له ، كأنه لا يريدها إلا لعام واحد .

فعرف عمر ما قال ، وقبل من عمرو ما كان يعتذر به .

---

(١) الحلوبة .

(٢) ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

ذكـــر

نهى الجند عن الزرع

قال : ثم إن عمر بن الخطاب، فيما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة، أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد ، يتقدمون إلى الرعيّة أن عطاءهم قائم ، وأن رِزْق عيالهم سائل ، فلا يزرعون ولا يُزارعون .

قال ابن وهب : فأخبرنى شريك بن عبد الرحمن المرادىّ قال : بلغنا أن شريك بن سُمَىّ الغُطَيْفىّ أتى إلى عمرو بن العاص ، فقال : إنكم لا تعطونا ما يُحْبِسُنا ، أفتأذن لى بالزرع ؟

فقال له عمرو : ما أقدر على ذلك .

فزرع شريك من غير إذن عمرو ، فلما بلغ ذلك عمراً كتب إلى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سُمَىّ الغُطَيْفى حرث بأرض مصر ؛ فكتب له عمر : أن أبعث إلىّ به .

فلما انتهى كتاب عمر إلى عمرو أقرأه شريكا ، فقال شريك لعمرو :

قتلتنى يا عمرو .

فقال عمرو : ما أنا قتلتك ، أنت صنعت هذا بنفسك .

قال له : إذ كان هذا من رأيك فائذن لى بالخروج إليه من غير كتاب، ولك عهد الله أن أجعل يدى فى يده .

فأذن له بالخروج .

فلما وقف على عمر قال : تؤَمِّنُنى يا أمير المؤمنين ؟

قال : ومن أى الأجناد أنت ؟

قال : أنا من جند مصر .

قال : فلعلك شريك بن سُمَىّ الغطيفى .

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين .

قال : لأجعلنّك نَكالا لمن خَلْفك .

قال : أو تقبل منى ما قبل الله من العباد ؟

قال : وتَفْعل ؟

قال : نعم .

فكتب إلى عمرو بن العاص ، إن شريك بن سمىّ جاءنى تائباً ، فقبلت منه .

ذكـــر

حفر خليج أمير المؤمنين

حدثنا عبدالله بن صالح أو غيره عن الليث بن سعد ، أن الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد فى خلافة عمر بن الخطاب فِى سنة الرّمادة ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر .

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاص بن العاص سلام، أما بعد فلعمرى يا عمرو ما تُبالى إذا شَبِعت أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معى ، فياغوثاه، ثم ياغوثاه » — يردد قوله ثلاثاً — .

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« أما بعد ، فيالبّيْك ثم يا لبّيْك ، قد بعثت إليك بعيرٍ أولها عندك وآخرها عندى ، والسلام عليك ورحمة الله » .

فبعث إليه بعير عظيمة ، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر ، يتبع بعضها بعضاً .

فلما قدمت على عمر وسّع بها على الناس ، ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيراً بما عليه من الطعام ، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس ، فدفعوا إلى أهل كل بيت بعيراً بما عليه من الطعام ، أن يأكلوا وينحروا البعير فيأكلوا لحمه ، ويأتدموا شحمه ، ويَحتَذُوا[1] جلده . وينتفعوا بالوعاء الذى كان فيه الطعام لما أرادوا من لحاف أو غيره ، فوسع الله بذلك على الناس .

فلما رأى ذلك عمر حمد الله ، وكتب إلى عمرو بن العاص ، يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه ، فقدموا عليه ، فقال عمر :

« يا عمرو ، إن الله قد فتح على المسلمين مصر وهى كثيرة الخير والطعام ، وقد أُلقى فى رُوعِى ، لما أحببت من الرفق بأهل الحرَمَيْن والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر ، وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين ، أن أحفر خليجاً من نيلها حتى يسيل فى البحر ، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة ؛ فإن حمله على الظَّهر يبعد ، ولا نبلغ منه ما نريد ، فانطلق أنت وأصحابك ، فتشاوروا فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم » .

فانطلق عمرو ، فأخبر بذلك من كان معه من أهل مصر ، فثقل ذلك عليهم ، وقالوا : نتخوّف أن يدخل فى هذا ضرر[2] على مصر ، فنرى أن تُعَظِّم ذلك على أمير المؤمنين ، وتقول له ، إن هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ، ولا نجد إليه سبيلا .

فرجع عمرو بذلك إلى عمر .

---

(١) ينتعلونه .

(٢) فى نسخة هـ زيادة : عظيم .

فضحك عمر حين رآه وقال :

« والذى نفسى بيده ، لكأنى أنظر إليك يا عمرو وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرت به من حفر الخليج، فثقل ذلك عليهم ، وقالوا ، يدخل فى هذا ضرر على أهل مصر ، فترى أن تعظم على أمير المؤمنين ، وتقول له : إن هذا الأمر لا يعتدل ولا يكون ، ولا نجد إليه سبيلا .

فعجب عمرو من قول عمر ، وقال : صدقت والله أمير المؤمنين ، لقد كان الأمر على ما ذكرت .

فقال له عمر : انطلق يا عمرو بعزيمة منى حتى تجدّ فى ذلك ، ولا يأتى عليك الحوْل حتى تفرغ منه إن شاء الله .

فانصرف عمرو ، وجمع لذلك من الفَعَلة ما بلغ منه ما أراد .

ثم احتفر الخليج الذى فى حاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين ، فساقه من النيل إلى القُلْزُم ، فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن ، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة ، فنفع الله بذلك أهل الحرمين ، وسُمّى خليج أمير المؤمنين ، ثم لم يزل يُحْمل فيه الطعام حتى حُمِل فيه بعد عمر بن العزيز ، ثم ضيّعته الولاة بعد ذلك ، فتُرِك وغلب عليه الرمل ، فانقطع ، فصار مُنْتَهاه إلى ذَنَب التِمْساح من ناحية طَحَا القلزم .

قال : ويقال إن عمر بن الخطاب قال لعمرو بن العاص حين قدم عليه ، كما حدثنا أخى عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن قال — حسبته عن عُرْوة — «يا عمرو ، إن العرب قد تشاءمت بى ، وكادت أن تهلك على رِجْلى ، وقد عرفتَ الذى أصابها، وليس جند من الأجناد أرْجَى عندى أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جُنْدك ، فإن استطعتَ أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله » .

فقال عمرو : ما شئت يا أمير المؤمنين ، قد عرفتَ أنه كانت تأتينا سفن فيها تجارٌ من أهل مصر قبل الإسلام،فلما فتحنامصر انقطع ذلك الخليج واستدَّ، وتركته التجار ، فإن شئت أن نحفره . فننشىء فيه سفنا ، يُحمل فيه الطعام إلى الحجاز فعلتُه .

فقال له عمر : نعم ، فافعل .

فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر ، فقالوا له : ماذا جئت به ؟ أصلح الله الأمير ، تنطلق فتخرج طعام أرضك وخصبها إلى الحجاز ، وتخرب هذه ؟ فإن استطعت فاستثقل ذلك .

فلما ودّع عمرَ بن الخطاب قال له يا عمرو :

انظر إلى ذلك الخليج فلا تَنْسَيَنَّ حفره .

فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنه قد انسدّ وتدخل فيه نفقات عظام .

فقال له عمر : أما والذى نفسى بيده ، إنى لأظنك حين خرجت من عندى حدّثت بذلك أهل أرضك ، فعظّموه عليك ، وكرهوا ذلك ، أعزِم عليك إلا ما حفرتَه وجعلت فيه سُفُنا .

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، إنه متى مايجدْ أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخِفّوا إلى الجهاد .

قال : فإنى سأجعل من ذلك أمراً ، لا يحمل فى هـذا البحر إلا رزق أهل المدينة وأهل مكة .

فحفره عمرو ، وعالجهَ ، وجعل فيه السفن .

قال : ويقال ، إن عمر بن الخطاب، كما ذكر عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه ، كتب إلى عمرو بن العاص :

« إلى العاصِ بن العاص ، فإنك لعمرى لا تبالى إذا سمنت أنت ومن معك أن أَعْجَفَ أنا ومن قِبَلِي ، فيا غوثاه ، ثم يا غوثاه ».

فكتب إليه عمرو بن العاص : أما بعد ، فيا لبّيك ثم يا لبّيك ، أتتك عير، أولها عندك وآخرها عندى ، مع أنى أرجو أن أجد السبيل إلى أن أحمل إليك فى البحر .

ثم إن عمرا ندم على كتابه فى الحمل إلى المدينة فى البحر ، وقال : إن أمكنتُ عمر من هذا خرّب مصر ، ونقلها إلى المدينة ، فكتب إليه ، إنى نظرت فى أمر البحر فإذا هو عَسِرٌ لا يُلْتَأم ولا يُستطاع .

فكتب إليه عمر : إلى العاص بن العاص ، فقد بلغنى كتابك ، تعتلّ فى الذى كنتَ كتبتَ إلىّ به من أمر البحر ، وأَيْمُ الله لتفعَلَنَّ ، أو لأقلعَنَّكَ بأذُنك ، أو لأبعَثَنّ من يفعل ذلك .

فعرف عمرو أن الجِدّ من عمر بن الخطاب ، ففعل .

فبعث إليه عمر : ألا تدع بمصر شيئًا من طعامها وكسوتها وبَقلها وعَدسها وخَلِّها إلا بعثت إلينا منه .

قال : ويقال ، إنما دلّ عمرو بن العاص على الخليج رجل من قبط مصر .

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نَجيح عن أبيه، أن رجلا أتى إلى عمرو بن العاص ، من قبط مصر ، فقال : أرأيت إن دللتُك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهى إلى مكة والمدينة أتَضع عنى الجزية ، وعن أهل بيتى ؟

قال : نعم .

فكتب إلى عمر ، فكتب إليه ، أن افعلْ .

فلما قدمت السفن الجحاز خرج عمر حاجًّا أو مُعْتمرا ، فقال للناس : سيروا ننظرْ إلى السفن التى سيّرها الله إلينا من أرض فرعون حتى أتتنا .

فقال رجل من بنى ضَمْرَة ، فأَفْرَدنى السيرُ معه فى سبعة نفر ، فآوانا الليل إلى خيمة أَعْراب ، فإذا بُبرْمَة تغطى على النار ، فقال عمر : هل من طعام ؟

قال : لا إلا لحم ظبى ، أصبناه بالأمس .

فقرّبوه ، فأكل منه ، وهو مُحْرِم .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن عمرو بن سعد الجارى ، أن عمر أتى الجار[1] ، ثم دعا بمنديل ، ثم قال ، اغتسلوا من ماء البحر ، فإنه مبارك .

قال غير أسد ، فلما قدمت السفن الجارَ ، وفيها الطعام صكّ عمر للناس بذلك الطعام صُكوكا ، فتبايع التجار الصكوك بينهم قبل أن يقبضوها .

قال : فحدثنى أبى عبد الله بن الحكم أخبرنا ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير قال : لقى عمر بن الخطاب العلاء بن الأسود فقال : كم ربح حكيم ابن حزام ؟

فقال : ابتاع من صكوك الجار بمائة ألف درهم ، وربح عليها مائة ألف .

فلقيه عمر بن الخطاب فقال : ياحكيم ، كم ربحت ؟

فأخبره بمثل خبر العلاء .

فقال عمر : فبعته قبل أن تقبضه ؟

قال : نعم .

قال عمر : فإن هذا بيع لا يصلح ، فارْدده

فقال حكيم : ماعلمت أن هذا لا يصلح ، وما أقدر على ردّه .

---

(١) بلد على البحر بينه وبين المدينة يوم وليلة ، منه عبد الله بن سويد الصحابى ، ولعله مكان « ينبع » الحالية .

فقال عمر : ما بُدٌّ .

فقال حكيم : والله ما أقدر على ذلك ، وقد تفرّق وذهب ، ولكن رأس مالى وربحى صدقة .

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا مالك بن أنس عن نافع ، أن حكيم ابن حزام ابتاع طعاما أمر به عمر للناس ، فباع حكيم الطعام قبل أن يستوفيه ، فسمع بذلك عمر ، فردّه عليه ، وقال : لا تبع طعاما ابتعته حتى تستوفيه ،

قال مالك : وبلغنى أن صكوكا خرجت للناس فى زمان مروان بن الحكم من طعام الجار ، فتبايع الناس تلك الصكوك بينهم قبل أن يستوفوها .

فدخل زيد بن ثابت ورجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مروان ، فقالا له : أتحل بيع الربا يامروان ؟ فقال : أعوذ بالله ، وما ذاك ؟ . قالا : هذه الصكوك يتبايعها الناس ، ثم يبيعونها قبل أن يستوفوها .

فبعث مروان الحرس يتبعونها ، ينتزعونها من أيدى الناس ، ويردّونها إلى أهلها.

وحدثنا أسد بن موسى ، حدثنا مهدى بن ميمون ، حدثنا سعيد الجُرَيرى عن أبى نضرة عن أبى فراس ، أن عمر بن الخطاب خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه قد أتى علىّ زمان وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده ، وقد خيل إلىّ بآخره أنه قد قرأه أقوام يريدون به الدنيا ، ويريدون به الناس ، ألا فأريدوا الله بأعمالكم وأريدوه بقراءتكم ، ألا إنما كنا نعرفكم إذ ينزل الوحى ، وإذ رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، وإذ ينبئنا الله من أخباركم ، فقد انقطع الوحى ، وذهب النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنما نعرفكم بما نقول لكم الآن ، من رأينا منه خيرا ظنّنا به خيراً ، وأحببناه عليه ، ومن رأينا منه شراً ظننا به شرا وأبغضناه عليه ، سرائركم فيما بينكم وبين ربكم ، ألا إنى إنما أبعث عمالى ليعلّموكم

دينكم، ويعلموكم سنتكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ولا يأخذوا أموالكم ، ألا فمن أتى إليه شىء من ذلك فليرفعه إلىّ ، فو الذى نفس عمر بيده لأقصّنّه منه .

فقام عمرو بن العاص ، فقال : أرأيت يا أمير المؤمنين ، إن عتب عامل من عمالك على بعض رعيّته فأدّب رجلا من رعيته ، إنك لمـُقِصُّه منه ؟

قال : نعم ، والذى نفس عمر بيده لأقصّنّه منه ، ألا أُقِصُّه وقد رأيت وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصّ من نفسه ؟ ألا لا تضربوا المسلمين ، فتذلّوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تجمّروا بهم فتفتنوهم ، ولا تنزلوهم الغِياضَ فتضيّعوهم .

فأتى رجل من أهل مصر ، كما حدثنا أبى عَبْدة عن ثابت البُنَانِى وحُميد عن أنس ، إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ، عائذ بك من الظلم .

قال : عُذْتَ معاذاً .

قال : سابقت ابن عمرو بن العاص ، فسبقته ، فجعل يضربنى بالسَّوْط ويقول : أنا ابن الأكرمين .

فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ، ويَقْدَم بابنه معه .

فقدم .

فقال عمر : أين المصرى ؟ خذ السوط ، فاضربْ .

فجعل يضربه بالسوط ، ويقول عمر : اضرب ابن الألأمَيْنِ .

قال أنس : فضرب ، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه ، فما أقلع عنه حتى تمنّينا أنه يرفع عنه .

ثم قال عمر للمصرى : ضَعْ على صِلْعَة عمرو .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما ابنه الذى ضربنى ، وقد اشتفيت منه .

فقال عمر لعمرو : مُذْ كَمْ تعبّدتم الناسَ . وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارا ؟

قال : يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتنى .

حدثنى عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث بن سعد عن نافع مولى ابن عمر أن صَبيغًا العِراقى جعل يسأل عن أشياء من القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب .

فلما أتاه الرسول بالكتاب ، فقرأه قال : أين الرجل ؟

قال : فى الرَّحْل .

فقال عمر : أبْصِرْ أن يكون ذَهَب فتصيبك منى العقوبة الموجعة .

فأتاه به .

فقال له عمر : عَمّ تسأل ؟

فحدّثه .

فأرسل عمر إلى رَطائب[1] الجريد ، فضربه بها حتى ترك ظَهْرُه دَبْرَة ، ثم دعا به ليعود له ، فقال صبيغ : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلا جميلا ، وإن كنت تريد أن تداوينى فقد والله برأتُ .

فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى ، ألا يجالسه أحد من المسلمين .

فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر ، إنه قد حسنت هيئته .

فكتب عمر : أن ائذن للناس فى مجالسته .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا محمد بن خازم عن الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ،

---

(١) الرطائب : الجريد غير الجاف .

يسأله عن رجل أسلم ثم كفر ثم أسلم، حتى فعل ذلك مراراً ، أَيَقْبَلُ منه الإسلام ؟

فكتب إليه عمر : أن أقبل منه ، اعرضْ عليه الإسلام ، فإن قبل فاتركه ، وإلا فاضرب عنقه .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا محمد بن خازم عن الحجّاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، فسأله عن عَبْدٍ وَجَدَ جرّةً من ذهب مدفونة .

فكتب إليه عمر : أن ارْضَخْ[1] له منها بشيء ؛ فإنه أحرى أن يؤدّوا ما وجدوا .

ذكـــــر
فتح الفيوم[2]

حدثنا عبد الرحمن قال : حدثنا سعيد بن عُفَير وغيره قالوا : فلما تم فتح المسلمين [مصر] بعث عمرو جرائد الخيل إلى القرى التي حولها ، فأقامت الفيوم سنة لم يعلم المسلمون بمكانها ، حتى أتاهم رجل ، فذكرها لهم ، فأرسل عمرو معه ربيعة بن حُبَيش بن عُرْفطة الصَدَفيّ .

---

(١) الرضخ : العطية القليلة .

(٢) يروى المؤرخون الغربيون أن فتح الفيوم كان بعد استيلاء العرب على أم دنين ، وأن عمرو بن العاص حينما أبطأت عنه الأمداد ولم يستطع فتح حصن بابليون سار بمن معه من الجند بعد أن عبروا النيل سالمين حتى بلغوا منفيس ، تلك المدينة القديمة التي كان أمرها قد اضمحل منذ بناء الاسكندرية ، ثم ساروا نحو الفيوم ، وقد كان يقوم بالدفاع عنها قائد كتيبة الحفر فيها ، فعدل جيش العرب إلى جانب الصحراء حتى بلغوا مدينة البهنسا ففتحوها عنوة ، ثم سمع عمرو بن العاص أن قوة من كتيبة الفيوم تسير وراءه تراقبه في قلة من الفرسان ، فبعد عنهم عمرو ثم كر عليهم مباغتاً ، فحاصرهم وقتلهم عن آخرهم ، ثم عاد راجعاً إلى مهاجمة حصن بابليون بعد أن بلغه مجيء أمداد العرب ، وقد حقق فوزاً كثيراً وإن لم يتم له الاستيلاء على الفيوم .

فلما سلكوا فى الجَابَة لم يروا شيئاً ، فهمّوا بالانصراف ، فقال : لاتعجلوا ، سيروا ، فإن كان كذبٌ فما أقدركم على ما أردتم ، فلم يسيروا إلا قليلا حتى طلع سواد الفيّوم ، فهجموا عليها ، فلم يكن عندهم قتال ، وألقوا بأيديهم .

قال : ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدفىّ ، وهو صاحب الأَشْقَر على فرسه ينفُض الجَابَة ، ولا علم له بما خلفها من الفيوم ، فلما رأى سَوَادها رجع إلى عمرو فأخبره ذلك .

قال : ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيسَ بن الحارث إلى الصعيد ، فسار حتى أتى القَيْس[1] ، فنزل بها ، وبه سميت القيس ، فراث[2] على عمرو خبرُه .

فقال ربيعة بن حُبَيش : كُفِيت .

فركب فرسه ، فأجاز عليه البحر — وكانت أنثى — فأتاه بالخبر .

ويقال إنه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى الفيوم ، وكان يقال لفرسه الأعمى ، والله أعلم[3] .

قال عبد الرحمن : وبعث عمرو بن العاص نافع بن عبد القيس الفهرىّ . وكان نافع أخا العاص بن وائل لأمه ، فدخلت خيولهم أرض النوبة صَوَائِفَ[4] كصوائف الروم .

فلم يزل الأمر على ذلك حتى عُزِل عمرو بن العاص عن مصر ، وأُمِّر عبدالله ابن سعد بن أبى سَرْح ، فصالحهم ، وسأذكر ذلك فى موضعه ، إن شاء الله .

---

(١) القيس : قرية من أعمال مركز بنى مزار على الشاطىء الغربى للنيل .

(٢) الريث : الإبطاء .

(٣) ويلى هذا فى الأصل عنوان « ذكر فتح برقة الثانى » مكتوباً فى غير محله مما بعده .

(٤) أى فى فصل الصيف ، والمفرد صائفة ، وهى الغزوة فى الصيف .

ذكر

فتح برقة

قال : وكان البَرْبَر بفلسطين ، وكان ملكهم جالوت ، فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجّهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لُوبِيَة ومَرَاقِيَة ، وهما كورتان من كور مصر الغربية ، مما يشرب من السماء ، ولا ينالها النيل ، فتفرقوا هنالك ، فتقدمت زَنَاتَةُ ومَغِيلَةُ إلى المغرب ، وسكنوا الجبال ، وتقدمت لَوَاتَةُ ، فسكنت أرض أَنْطَابُلس ، وهى بَرْقة[1] ، وتفرقت فى هذا المغرب ، وانتشروا فيه حتى بلغوا السُوس[2]؛ ونزلت هَوَّارة مدينة لَبْدة ؛ ونزلت نَفُوسة إلى مدينة سَبْرَت[3] . وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك ؛ وأقام الأفارقُ ، وكانوا خَدَمًا للروم على صُلْح يؤدّونه إلى من غلب على بلادهم .

فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم بَرْقة ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار ، يؤدّونها إليه جزيةً على أن يبيعوا من أحبّوا من أبنائهم فى جزيتهم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال : كتب عمرو بن العاص على لُواته من البربر فى شَرْطه عليهم ، إن عليكم أن تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية .

---

(١) برقة : منطقة فى شرق ليبيا ، ومن مدنها بنغازى ، وكانت قد خربت فى حروب بنى هلال . وقد جاء فى هامش الأصل تعليق بخط الناسخ ، جاء فيه « ذكر الواقدى أنه ملك أنطابلس زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اسمه كياوس بن زَبْويل ، وأن صاحب إفريقية فى ذلك الوقت إقلاعورس بن كيارس المذكور ببرقة وأنطابلس .

(٢) السوس : مدينة على البحر الأبيض فى تونس ، وقد أسسها الفينيقيون نحو القرن التاسع قبل الميلاد ، واسمها الحالى سوسة .

(٣) سبرت : مدينة فى ساحل طرابلس .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لَهيعة أن أنطابلس فُتحت بعهد من عمرو بن العاص .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عبد الله الحضرمىّ أن ابن دَيَّاس حين ولى انطابلس أتاه بكتاب عهدهم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عبد الله الحضرمىّ عن أبى قَنان أيوب بن أبى العالية الحضرمىّ عن أبيه قال : سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول : لأهل أنطابلس عهدٌ يُوفى لهم به .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابى خراج ، إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها . ووجّه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زَوِيلة ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين .

ذكر

أطرابلس

قال حدثنا عبد الرحمن : ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل أَطْرَابُلُس فى سنة اثنتين وعشرين .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير عن الليث بن سعد قال : غزا عمرو بن العاص أطرابلس فى سنة ثلاث وعشرين .

ثم رجع إلى حديث عثمان ، فنزل القبّة التى على الشَرَف من شرقيّها ، فحاصرها شهراً ، لا يقدر منهم على شىء ، فخرج رجل من بنى مُدْلِج ذات يوم من عسكر عمرو متصيّداً فى سبعة نفر ، فمضوا غربىّ المدينة حتى أمعنوا عن العسكر ، ثم رجعوا فأصابهم الحرّ ، فأخذوا على ضَفّة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور

المدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور[1] ، وكانت سفن الروم شارعة فى مَرْساها إلى بيوتهم .

فنظر المُدْلجىّ وأصحابه، فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذى غاض منه البحر ، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة ، وكبّروا ، فلم يكن للروم مَفْزَع إلا سفنهم ؛ وأبصر عمرو وأصحابه السّلّة فى جوف المدينة ، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ، فلم تفلت الروم إلا بما خَفّ لهم فى مراكبهم ، وغنم عمرو ما كان فى المدينة .

وكان من بسَبْرَتَ مُتَحصّنين (واسمها نَبارَة ، وسَبْرَتُ السوق القديم ، وإنما نقله إلى نبارة عبدالرحمن بن حبيب سنة إحدى وثلاثين) فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة أطرابُلُس وأنه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم أَمِنوا .

فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة أطرابلس جرّد خيلا كثيفة من ليلته ، وأمرهم بسرعة السير ، فصبّحت خيلهُ مدينة سَبْرت ، وقد غفلوا ، وقد فتحوا أبوابهم لتَسْرح ماشيتُهم ، فدخلوها ، فلم ينج منهم أحد ، واحتوى [جند] عمرو على ما فيها ، ورجعوا إلى عمرو .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد أنه سمع أبا تميم الجَيْشانى يقول : غزونا مع عمرو بن العاص غزوة أطرابلس ، فجمعنا المجلس ومعنا فيه هُبَيْب بن مُغْفِل ، فذكرنا قضاء دين رمضان ، فقال هبيب بن مغفل : لا يُفَرّق ، وقال عمرو بن العاص ، لا بأس أن يفرّق إذا أحْصَيْتَ العدد .

---

(١) كذا فى الأصل ولعل فى العبارة تصحيفاً فى كلمة سور فى هذه الجملة أو فى الجملة قبلها .

استئذان عمرو بن العاص عمر بن الخطاب
فى غزوة إفريقية

وأراد عمرو أن يوجّه إلى المغرب ، فكتب إلى عمر بن الخطاب كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبى تميم الجيشانىّ « إن الله قد فتح علينا أطرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوَها ويفتحها الله على يديه فعل » .

فكتب إليه عمر : لا ، إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفرِّقةُ ، غادرة ، مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى قَبيل عن مرّة بن لِيشَرْح المَعَافرى قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : إفريقية المفرقة ، المفرقة — ثلاث مرات — لا أوجّه إليها أحدا ما مَقَلَتْ[1] عينى الماء .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن عُلَىّ بن رَبَاح عن مسعود بن الأسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بايع تحت الشجرة ، أنه استأذن عمر بن الخطاب فى غزو إفريقية ، فقال عمر : لا ، إن إفريقية غادرة مغدور بها .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال : فأتى عمرَو بن العاص كتاب المقوقس يذكر له فيه أن الروم يريدون نكث العهد ، ونقض ما كان بينهم وبينه ، وكان عمرو قد عاهد المقوقس على ألا يكتمه أمرا يحدث ؛ فانصرف عمرو راجعا مبادرا لما أتاه .

وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون .

---

(١) المقل هو النظر والغمس .

ذكر

عزل عمرو عن مصر

قال عبد الرحمن : فتوفى عمر رحمة الله عليه وعلى مصر أميران[١] ، عمرو بن العاص بأسفل الأرض ، وعبد الله بن سعد بن أبى سَرْح على الصعيد .

قال : وكانت وفاة عمر كما حدثنا يحيى بن بكير من الليث بن سعد مصدَرَ الحاجّ سنة ثلاث وعشرين .

حدثنا سعيد بن عفير قال: إنما كان عمر بن الخطاب ولّى عبد الله بن سعد من الصعيد الفيّومَ .

فلما استخلف عثمان بن عفان ، كما حدثنا عبدالله بن صالح أوغيره عن الليث ، طمع عمرو بن العاص[٢] لما رأى من عثمان أن يعزل عبد الله بن سعد عن الصعيد ، فوفد إليه ، وكلمه فى ذلك ، فقال له عثمان : ولاّه عمرُ بن الخطاب الصعيد وليس بينه و بينه حُرمة ولا خاصة ، وقد علمت أنه أخى من الرضاعة فكيف أعزله عما ولاّه غيرى ؟ !

وقال له فيما حدثنا سعيد بن عفير : إنك لفى غفلة عما كانت تصنع بى أمُّه ، إن كانت لَتَخْبَأُ لى العَرْق من اللحم فى رُدْنها حتى آتى .

قال : ثم رجع إلى حديث الليث بن سعد قال : فغضب عمرو ، وقال : لستُ راجعاً إلا على ذلك .

فكتب عثمان بن عفان إلى عبد الله بن سعد يُؤَمِّره على مصر كلها ، فجاءه

---

(١) فى الأصل ، ومصر على أميرين .

(٢) فى نسخة س زيادة : فى مصر .

الكتاب بالفيوم ؛ قال ابن عُفير : بقرية منها تُدعى دَمُوشة[1] .

قال الليث في حديثه: فجعل لأهل أَطْواب[2] جُعْلا على أن يصبحوا به الفسطاط في مركبه ، وكان الذى جعل لهم كما يزعم آل عبد الله بن سعد خمسة دنانير .

قال الليث : فقدموا به الفسطاط قبل الصبح ، فأرسل إلى المؤذن ، فأقام الصلاة حين طلع الفجر ، وعبد الله بن عمرو ينتظر المؤذن يدعوه إلى الصلاة لأنه خليفة أبيه ، فاستنكر الإقامة ، فقيل له : صلى عبد الله بن سعد بالناس .

وآل عبد الله يزعمون أن عبدالله بن سعد أقبل من غربى المسجد بين يديه شمعة ، وأقبل عبد الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شمعة ، فالتقت الشمعتان عند القبلة .

قال الليث فى حديثه ، فأقبل عبد الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله بن سعد ، فقال له : هذا بغْيُك ودَسُّك .

فقال عبد الله بن سعد : ما فعلتُ ، وقد كنتَ أنت وأبوك تحسدانى على الصعيد ، فتعالَ حتى أولّيك الصعيد وأولى أباك أسفل الأرض، ولا أحسدكما عليه.

فلبث عبد الله بن سعد عليها أميرا محمودا ، وغزا فيها ثلاث غزوات ، كلهن لها شأن ، إفريقية ، والأساور ، ويوم ذات الصوارى ، وسأذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله .

---

(١) دموشة : فى نسخة ب تصحيح على الهامش : إنما هى شَدْمُوَه ، كذا ذكرلى أبو الفيداق بن السرحى ، وفى نسخة ى : قال أبو القاسم بن فريد قال لى أبوالفيدق بن السرحى إنما هى شدموه ، وما كان له بدموشه شىء ، وإنما هذا تصحيف الرواية ، وقد وردت فى تحفة الإرشاد باسم دموشية ، وفى التحفة باسم دبوشت ، وكانت قبلى مدينة الفيوم وشمال دير العزب ، واندثرت ، ومكانها اليوم يعرف باسم تل أبو خوصة بحوض غبور رقم ٤٤ بأراضى ناحية الحادقة بمركز الفيوم من أعمال محافظة الفيوم .

(٢) أطواب : قرية من قرى الفيوم ، ولها ذكر فى ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح على مصر .

قال : وكان عَزْل عمرو بن العاص عن مصر كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير عن الليث بن سعد وتولية عبد الله بن سعد فى سنة خمس وعشرين .

ذكر

انتقاض الإسكندرية

قال عبد الرحمن : وقد كانت الاسكندرية كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب انتقضت ، وجاءت الروم ، عليهم مَنْوِيل الخِصىّ فى المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية ، فأجابهم من بها من الروم ، ولم يكن المقوقس[1] تحرك ولا نكث .

وقد كان عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص ، وولّى عبد الله بن سعد .

فلما نزلت الروم الإسكندرية سأل أهل[2] مصر عثمان أن يُقرّ عمراً حتى يفرغ من قتال الروم ، فإن له معرفة بالحرب وهيبة فى العدو . ففعل .

وكان على الاسكندرية سورُها ، فحلف عمرو بن العاص ، لئن أظهره الله عليهم ليهدمَنّ سورها حتى تكون مثل بيت الزانية ، تؤتى من كل مكان . فخرج إليها عمرو فى البر والبحر[3] .

قال غير الليث : وضَوَى إلى المقوقس من أطاعه من القبط ، فأما الروم فلم يُطعه منهم أحد .

فقال خارجة بن حذافة لعمرو : ناهِضْهم قبل أن يكثر مددُهم ، ولا آمن أن تنتقض مصر كلها .

---

(١) فى نسخة ب : المقوقس .

(٢) المراد القبط .

(٣) لم يكن للعرب أسطول بحرى بعد ، وكان أسطول الروم الذى بعث به الإمبراطور قسطانز بقيادة منويل للاستيلاء على الاسكندرية .

فقال عمرو : لا ، ولكن أدعهم حتى يسيروا إلىّ ، فإنهم يصيبون من مرّوا به ، فيخزى الله بعضهم ببعض .

فخرجوا من الإسكندرية ، ومعهم من نقض من أهل القُرى ، فجعلوا ينزلون القرية ، فيشربون خمورها ، ويأكلون أطعمتها ، وينتهبون ما مرّوا به ، فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نَقْيُوس[1] ، فلقوهم فى البر والبحر ، فبدأت الروم والقبط ، فرموا بالنُشّاب [وهم] فى الماء رمياً شديداً حتى أصابت النُشّاب يومئذ فرس عمرو فى لبّته ، وهو فى البرّ ، فعُقِر ، فنزل عنه عمرو .

ثم خرجوا من البحر ، فاجتمعوا هم والذين فى البر ، فنضحوا المسلمين بالنشاب ، فاستأخر المسلمون عنهم شيئا ، وحملوا على المسلمين حملة ولّى المسلمون منها ، وانهزم شريك بن سُمَىّ فى خيله .

وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف ، وبرز يومئذ بِطْرِيقٌ ممن جاء من أرض الروم على فرس له ، عليه سلاح مُذَهَّب ، فدعا إلى البرَاز ، فبرز إليه رجل من زُبَيْد، يقال له حَوْمَل ، يكنّى أبامَذْحج ، فاقتتلا طويلا برُمحين يتطاردان ، ثم ألقى البطريق الرمح ، وأخذ السيف ، وألقى حَوْمل رمحه ، وأخذ سيفه ، وكان يعرف بالنِجدة ، وجعل عمرو يصيح ، أبا مَذْحج ، فيجيبه ، لبَّيْك ، والناس على شاطىء النيل فى البرّ على تعبئتهم وصفوفهم ، فتجَاوَلاَ ساعة بالسيْفَين، ثم حمل عليه البطريق، فاحتمله، وكان نحيفاً ، فاخْتَرَط[2] حومل خَنْجراً كان فى مِنْطَقته — أو فى ذراعه — فضرب به نَحْر العلج أَوْتَر قُوَّته ، فأثبته ، ووقع عليه ، فأخذ سَلَبه .

---

(١) نَقيوس : من المدن المصرية القديمة ، وقد زالت ومحلها اليوم الكوم الأثرى الموجود بالجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف المعروف عند الأهالى هناك باسم كوم مانوس أو دقيانوس ، وهما محرفان من نقيوس التى اختفى اسمها من قديم ، وقد ذكرها على مبارك فى الخطط التوفيقية الجزء الثامن صيفة ١٥ .

(٢) سله من غمده .

ثم مات حومل بعد ذلك بأربعة أيام ، رحمة الله عليه .

فرئى عمرو يحمل سريرَه ، بين عمودىْ نعشه حتى دفنه بالمقطم .

ثم شد المسلمون عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية ، ففتح الله عليهم ، وقتل مَنْويل الخصِىّ .

حدثنا الهيثم بن زياد أن عمرو بن العاص قتلهم حتى أمعن فى مدينتهم ، فكُلِّم فى ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم ، وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجد ، وهو المسجد الذى بالإسكندرية الذى يقال له مسجد الرحمة ؛ وإنما سمى مسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هناك . وهدم سورها كله .

وجمع عمرو ماأصاب منهم ، فجاءت أهل تلك القرية ممن لم يكن نقض ، فقالوا : قد كنّا على صلحنا ، وقد مرّ علينا هؤلاء اللصوص ، فأخذوا متاعنا ودوابنا ، وهو قائم فى يديك .

فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البيّنة .

وقال بعضهم لعمرو : ما حلّ لك ما صنعت بنا ، كان لنا أن تقاتل عنّا ، لأنّا فى ذمّتك ، ولم نَنْقُض ، فأما من نقض فأبعده الله .

فندم عمر ، وقال : ياليتنى كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية .

وكان سبب نقض الإسكندرية هذا كما حُدّثنا عن حَيْوَة بن شريح عن الحسن بن ثَوْبان عن هشام بن أبى رقية ، أن صاحب إخْنَا قدم على عمرو بن العاص فقال : أَخْبِرْنا ما على أحدنا من الجزية فيصبر لها .

فقال عمرو ، وهو يشير إلى ركن كنيسة : لو أعطيتنى من الركن إلى السقف

ما أخبرتك ، إنما أنتم خِزَانة لنا ، إن كَثُر علينا كَثَّرنا عليكم ، و إن خُفِّف عنا خَفَّفْنا عنكم [١] .

فغضب صاحب إخنا [٢] ، فخرج إلى الروم ، فقدم بهم ، فهزمهم الله ، وأُسِر النَّبَطِيّ [٣] ، فأُتى به عمرو ، فقال له الناس : اقتله .

فقال : لا ، بل انطلقْ فجِئْنا بجيش آخر .

حدثنا سعيد بن سابق قال : كان اسمه طَلْماً وأن عمراً لما أتى به سوَّدَه ، وتوَّجَه ، وكساه بُرْنُس أرْجُوَان ، وقال له : إيتنا بمثل هؤلاء ؛ فرضى بأداء الجزية . فقيل لطَلْما : لو أتيت ملك الروم ؟ فقال : لو أتيته لقتلنى ، وقال ، وقتلت أصحابى .

ذكــــر

خراب خربة وردان

قال عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن سابق قال : وكان عمرو حين توجه إلى الاسكندرية خرّب القرية التى تعرف اليوم بِخرْبة وردان .

قال عبد الرحمن : واختلف علينا فى السبب الذى خَرِبت له ، فحدثنا سعيد ابن عفير أن عَمْرًا لما توجه إلى نَقْيُوس لقتال الروم عدل وَرْدَان [٤] لقضاء حاجته عند الصبح ، فاختطفه أهل الخربة ، فغيَّبُوه ، ففقده عمرو ، وسأل عنه ، وقَفَا أثره ، فوجدوه فى بعض دورهم ، فأمر بإخراجهم منها .

---

(١) يروى المؤرخون أن عبد الله بن سعد والى مصر من قبل عثمان بن عفان قد جعل أول همه زيادة الضرائب على أهل الاسكندرية الذين كانوا يرزحون تحت عبء ثقيل من الالتزامات . وأنهم قد أنفذوا كتباً إلى الإمبراطور الرومانى يسألونه استخلاصهم مما فرض عليهم .

(٢) فى نسخة ا تعليق قوله : وجدته فى غير نسخة من كتاب فتوح مصر بالجيم (إجنا) ، والصواب ما ذكر ، وإخنا مدينة كانت بالإقليم الذى كان يعرف بالحوف الغربى ، وهى قريبة من الاسكندرية ، وصاحبها هو طلما ، وقد ذكرها ياقوت فى الجزء الأول صحيفة ١٦٦ ، ولسنا نستطيع أن نعرف موضع إخنا على الخرائط المصورة ، ولا بين أسماء القرى .

(٣) الأنباط : جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق ، يستنبطون ما يخرج من الأرض .

(٤) فى نسخة هـ زيادة : مولى عمرو .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة قال : كان أهل الخربة رُهْبانا كلهم ، فغدروا بقوم من ساقة عمرو ، فقتلوهم بعد أن بلغ عمرُو الـكِرْيَوْن ، فأقام عمرو ، ووجّه إليهم وَرْدان ، فقتلهم ، وخربها ، فهى خراب إلى اليوم .

حدثنا أبى عبدالله بن عبدالحكم قال : كان أهل الخربة أهل تَوَثُّبٍ وخبْث ، فأرسل عمرو بن العاص إلى أرضهم ، فأُخذ له منها جِرَابٌ فيه تراب من تُرابها ، ثم دعاهم ، فكلّمهم ، فلم يجيبوه إلى شيء ، فأمر بإخراجهم ، ثم أمر بالتراب ، ففُرِش تحت مُصَلّاه ، ثم قعد عليه ، ثم دعاهم ، فكلّمهم ، فأجابوه إلى ما أحبّ ؛ ثم أمر بالشراب فرفع ، ثم دعاهم فلم يجيبوه إلى شيء ، حتى فول ذلك مراراً .

فلما رأى عمرو ذلك قال: هذه بَلْدة لا تصلح إلا أن تُوطأ ، فأمر بإخرابها ، والله أعلم .

ذكـــر

ما قيل فى فتح الاسكندرية الثانى

ثم رجع إلى حديث ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال : فلما هزم الله الروم أراد عثمان عَمْرًا أن يكون على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج . فقال عمرو : أنا إذن كمَاسِكِ البقرة بقَرْنَيْها وآخر يَحْلُبها . فأبى عمرو .

حدثنا عبد الله بن يزيد المُقْرِئ ، حدثنا حَرْمَلَة بن عمران عن تميم بن فَرَع المَهْرِىّ قال : شهدت فتح الاسكندرية فى المرّة الثانية ، فلم يُسْهَم لى حتى كاد أن يقع بين قومى وبين قريش مُنَازعة ؛ فقال بعض القوم : أرسلوا إلى بَصْرة الغفارى وعقبة بن عامر الجُهَنِىّ فإنهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلوهما عن هذا، فأرسلوا إليهما ، فسألوهما ، فقالا : انظروا ، فإن كان أَنْبَتَ فأَسْهِمُوا له ، فنظر إلىّ بعض القوم ، فوجدونى قد أَنْبَتُّ ، فأسهموا لى .

ذكر
قدوم عمرو على عمر بن الخطاب

حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا عثمان بن صالح عن الليث بن سعد قال ، عاش عمر بن الخطاب بعد فتح مصر ثلاث سنين ، قدم عليه عمرو فيها قَدْمتَيْن .

قال ابن عُفير . استخلف فى إحداها زكرياء بن الجَهْم العَبْدَرِىّ على الُجند، ومُجَاهد بن جَبْر مولى بنى نَوْفل بن عبدمناف على الخراج — وهو جدّ معاذ بن موسى النَقّاط أبى إسحاق بن معاذ الشاعر، فسأله عمر ، من استخلفت ؟ فذكر له مجاهد بن جبر ؛ فقال له عمر : مَوْلى ابنة غزوان ؟ قال : نعم ، إنه كاتب . فقال عمر : إن القلم ليرفع بصاحبه .

وبنت غزوان هذه أخت عقبة بن غزوان ، وقد شهد عقبة بَدْراً .

حدثنا عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق قال : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب ابن نُسَيْب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان ، حليف بنى وائل ابن عبدمناف .

قال : وخطة مجاهد بن جبر دار صالح صاحب السوق .

قال : ثم رجع إلى حديث ابن عفير قال : واستَخلف فى القَدْمة الثانية عبد الله بن عمرو .

فحدثنا عبد الملك بن مسلمة وعبد الله بن صالح قالا ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاص دخل على عمر بن الخطاب وهو على مائدته ، جاثيا على ركبتيه ، وأصحابه كلهم على تلك الحال ، وليس فى الجفنة فضل لأحد يجلس .

فسلم عمرو على عمر ، فرد عليه السلام .

وقال : عمرو بن العاص ؟

قال : نعم.

فأدخل عمر يده فى الثريد ، فملأها ثريدا ، ثم ناولها عمرَو بن العاص ، فقال : خُذ هذا .

فجلس عمرو ، وجعل الثريد فى يده اليسرى ويأكل باليمنى ، ووفْد أهل مصر ينظرون إليه .

فلما خرجوا قال الوفد لعمرو : أى شىء صنعت ؟

فقال عمرو : إنه والله لقد علم أنى بما قدمت به من مصر لغَـنِىٌّ عن الثريد الذى ناولنى ، ولـكنه أراد أن يختبرنى ، فلو لم أقبلها للقيتُ منه شرّا .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبى قَبيل قال : دخل عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب وقد صبغ[1] رأسه ولحيته بسواد .

فقال عمر : من أنت ؟

قال : أنا عمرو بن العاص .

قال عمر : عهدى بك شيخاً وأنت اليوم شابٌّ ، عزمت عليك إلا ماخرجت فغسلتَ هذا .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب قال : قدم عمرو بن العاص من مصر مرّة على عمر ، فوافاه على المنبر يوم الجمعة ، فقال : هذا عمرو بن العاص قد أتاكم ، ما ينبغى لعمرو أن يمشى على الأرض إلا أميراً .

(١) فى نسخة ه وكان قد خضب .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ابن لهيعة عن مِشْرح بن عاهان عن عقبة ابن عامر أن عمر رضى الله عنه قال : ما ينبغى لعمرو أن يمشى على الأرض إلا أميراً .

قال الليث : قال عمرو بن العاص : ما كنت بشىء أَنْجَرَ منِّى بالحرب .

ذكر
وفاة عمرو بن العاص رضى الله عنه

قال عبد الرحمن : ثم توفى عمرو بن العاص فى سنة ثلاث وأربعين .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : توفى عمرو بن العاص سنة ثلاث وأربعين ، وفيها أُمِّر عتبة بن أبى سفيان على أهل مصر ، وفيها غزا شريك بن سُمىّ لَبدَةِ المغرب[1] .

قال : وحدثنا أسد بن موسى وعبد الله بن صالح قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسة ، أخبره أن عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة دمعت عيناه ، فقال عبد الله بن عمرو : يا أبا عبد الله ، أَجَزَعٌ من الموت يحملك على هذا ؟

قال : لا ، ولكن مما بعد الموت .

فذكر له عبد الله مواطنه التى كانت مع رسول الله عليه وسلم والفتوح التى كانت بالشام .

فلما فرغ عبد الله من ذلك قال : قد كنت على أطباق ثلاثة ، لومتّ على

(١) لبدة المغرب : مدينة بين برقة وإفريقية ، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة . وهى حصن من بنيان الأول بالحجر والآجر ، وحولها آثار عجيبة .

بعضهن علمتُ ما يقول الناس ، بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فكنت أكْرَهَ الناس لما جاء به ، أتمنى لو أنى قتلته ، فلو متّ على ذلك لقال الناس ، مات عمرو مشركا ، عدوا لله ولرسوله ، من أهل النار ؛ ثم قذف الله الإسلام فى قلبى ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبسط إلىّ يده ليبايعنى ، فقبضت يدى ، ثم قلت : أبايعك على أن يُغفَر لى ما تقدم من ذنبى ، وأنا أظن حينئذ أنى لا أحْدِث فى الإسلام ذَنْباً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، إن الإسلام يَجُبُّ ما قبله من خطيئة ، وإن الهجرة تَجُبُّ ما بينها و بين الإسلام ، فلو مِتُّ على هذا الطِبْق لقال الناس ، أسلم عمرو وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نرجو لعمرو عند الله خيرا كثيرا .

ثم أصبت إمارات وكانت فِتَن ، فأنا مشفق من هذا الطبق ، فإذا أخرجتمونى فاسرعوا بى ، ولا تتبعنى مَادِحَة ولا نائحة ، وشدوا علىّ إزارى ، فإنى مُخاصَمٌ ، وسُنُّوا علىّ التراب سَنًّا ، فإن يمينى ليست بأحق بالتراب من يسارى ، ولا تُدْخِلُنّ القبر خشبة ولا طوبة ؛ ثم إذا قبرتمونى فامكثوا عندى قدر نَحْر جَزُور وتقطيعها أستأنس بكم .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبى حبيب عن سُوَيد بن قيس عن قيس بن سُمَىّ نحوه .

قال : وقال عمرو : فو الله إنى إن كنت لأشد الناس حياء من رسول الله عليه وسلم ، ما ملأت عينى منه ، ولا راجعتُه بما أُريد حتى لحق بالله حياء منه .

وصية عمرو بن العاص بعد موته

حدثنا عبد الرحمن : حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن طلحة عن إسماعيل أن عمرو بن العاص لما حضره الموت قال : ادعوا لى

عبد الله ، فقال : «يا بنى ،إذا أنا متُّ فاغسلني وِتراً ، واجعل فى آخر ماء تغسلنى به شيئاً من كافور ، فإذا فرغت فاسرع بى ، فإذا أدخلتنى قبرى فَسُنَّ علىَّ التراب سَنًّا ، واعلم أنك تتركنى وحيدا خائفاً ، اللهم لا أعتذر ولكنى أستغفر ، اللهم إنك أمرت بأمور فتركنا ، ونهيت فركبنا ، فلا برىء فأعتذر ، ولا عزيز فأنتصر ، ولكن لا إله إلا أنت ، لا إله إلا أنت ـ ثلاث مرات ـ ثم قُبِض .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه ، أن عمرو ابن العاص لما حضرته الوفاة ذرفت عيناه ، فبكى ؛ فقال له عبد الله : يا أبتِ ، ما كنت أخشى أن ينزل بك أمر من أمر الله إلا صبرت عليه .

قال له : يا بنى ، إنه نزل بأبيك خلال ثلاث ، أما أولاهن فانقطاع عمله ؛ وأما الثانية فهَوْل المُطَّلَع ، وأما الثالثة ففراق الأحبّة ، وهى أيسرهن ، اللهم أمرتَ فتوانيتُ ، ونهيتَ فعصيتُ ، اللهم ومن شِيمك العفو والتجاوز .

حدثنا وهب الله بن راشد أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن حُميد ابن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ، أن عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة قال : أىْ بُنَىّ ، إذا مت فكفِّنى فى ثلاثة أثواب ، ثم أَزِّرْنى فى أحدهن ، ثم شُقُّوا لى الأرض شَقًّا ، وشُنُّوا علىَّ التراب سَنًّا ، فإنى مُخاصِم ؛ ثم قال : اللهم إنك أمرت بأمور ونهيتَ عن أمور ، فتركنا كثيرا مما أمرت به ، ووقعنا فى كثير مما نهيت عنه ، اللهم لا إله إلا أنت ، فلم يزل يرددها حتى فاظ[1] .

حدثنا المقرئ عبد الله بن يزيد ، حدثنا حرملة بن عمران التُجيبى ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن أبى فراس مولى عمرو بن العاص ، أن عمرا لما حضرته الوفاة قال لابنه عبد الله : إذا متُّ فاغسلنى ، وكفّنى ، وشدّ على إزارى فإنى مخاصم ؛ فإذا أنت حملتنى فاسرع بي فى المشى ، فإذا أنت وضعتنى فى المُصَلّى ، وذلك فى يوم

(١) مات .

عيد ، فانظر إلى أفواه الطرق ، فإذا لم يبق أحد واجتمع الناس ، فابدأ،فصلّ عليّ ، ثم صَلِّ العيد ، فإذا وضعتني في لحدي ، فأهيلوا عليّ التراب ، فإن شقّي الأيمن ليس بأحق بالتراب من شقي الأيسر ، فإذا سوّيتم عليّ فاجلسوا عند قبري قدر نحر جزور وتقطيعها استأنس بكم .

فلما تقدم عبد الله ليصلي على أبيه كما حدثنا عبد الغفار بن داود وعبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن ربيعة بن لَقيط قال : والله ما أحبُّ أن لي بأبي أبا رجلٍ من العرب ، وما أحب أن الله يعلم أن عيني دمعت عليه جزعا ، وأن لي حُمْر النَّعَم. ثم كبّر .

حدثنا سعيد بن عفير ، قال : ودفن بالمقطم من ناحية الفَجّ ، وكان طريق الناس يومئـذ إلى الحجـاز ، فأحب أن يدعو له مَنْ مَرَّ به ، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ أَخْنَتْ رُبُوبُه ... عَلَى عَمْرٍو السَّهْمِيّ تُجْبَى لَهُ مِصْرُ
فَأَضْحَى نَبِيذاً بِالْعَراءِ وَضُـلِّلَتْ ... مَكائِدُه عَنْهُ وأَمْوَالُه الدَّثْرُ[1]
وَلَمْ يغْنِ عنْـهُ جَمْعُه وَاحتِيالُهُ ... وَلا كَيْدُه حَتَّى أُتِيحَ لَهُ الدَّهْرُ

* * *

(١) الدثر المال الـكثير .

فتح إفريقية

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : فلما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ، وأمّر عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو ، فيصيبون من أطراف إفريقية ويغتنمون ، فكتب في ذلك عبدالله بن سعد إلى عثمان ، وأخبره بقربهم من حرز المسلمين ويستأذنه في غزوها .

فندب عثمان الناس لغزوها بعد المشورة منه في ذلك : فلما اجتمع الناس أمّر عليهم عثمانُ الحارثَ بنَ الحكم إلى أن يقدموا على عبدالله بن سعد مصرَ فيكون إليه الأمر .

فخرج عبد الله بن سعد إليها ، وكان مستقرُّ سلطان إفريقية بمدينة يقال لها قرطاجنّة[1] ، وكان عليها ملك يقال له جُرْجير ، كان هرقل استخلفه ، فخلع هرقلَ وضرب الدنانير على وجهه ، وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة[2] .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة قال : كان هرقل استخلف جُرْجير ، فخلعه .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : فلقيه جُرْجير فقاتله ، فقتله الله ، وكان الذى ولى قتلهُ فيما يزعمون عبد الله بن الزُّبَير .

وهرب جيش جُرْجير ، فبعث عبد الله بن سعد السرايا ، وفرّقها ، فأصابوا غنائم كثيرة ، فلما رأى ذلك رؤساء إفريقية طلبوا إلى عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم مالاً على أن يخرج من بلادهم ، فقبل ذلك منهم ، ورجع إلى مصر ، ولم يول

---

(١) قرطاجنة : ويطلق عليها اسم قرطاجا ، وهى مدينة ، لا تزال آثارها باقية بالقرب من مدينة تونس ، ويقال إن تونس قد بنيت من خرابها ، والاسم مكون من جزءين ، قرطا بمعنى مدينة ، وأضيف إليها جنة ، لطيبها ونزهاتها . وقد كانت قرطاجنة مقر لامبراطورية جبارة قاومت روما مدة .

(٢) طنجة : مرفأ على مضيق جبل طارق شمال المغرب ، وهو قاعدة لمنطقة دولية ، وكانت طنجة مصرفاً للفينيقيين فى القرن السادس قبل الميلاد .

عليهم أحدا ، ولم يتخذ قيروانا ؛ فكانت غنائم المسلمين يومئذ كما حدثنا عبد الملك ابن مسلمة عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن أبي أويس[1] ، قال أبو الأسود : ولقد قال : غزونا مع عبد الله بن سعد إفريقية ، فقسم بيننا الغنائم بعد إخراج الخمس ، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، للفرس ألفا دينار . ولفارسه ألف دينار ، وللراجل ألف دينار ، فقسم لرجل من الجيش توفى بذات الحمام[2] ، فدفع إلى أهله بعد موته ألف دينار .

حدثنا يوسف بن عدى ، حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح عن عبد الرحمن ابن أبي هلال عن أبي الأسود أن أبا أويس مولى لهم قديما ، حدثه أن رجلا خرج في غزوة إفريقية فمات بذات الحمام ، فقسم له ، فكان سهمه يومئذ ألف دينار .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد عن غير واحد أن عبد الله ابن سعد غزا إفريقية وقتل جرجير ، فأصاب الفارس يومئذ ثلاثة آلاف دينار ، والراجل ألف دينار .

قال غير الليث عن مشايخ أهل مصر : في كل دينار دينار وربع .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح ، وغيره قال ، فكان جيش عبد الله بن سعد ذلك عشرين ألفا .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة قال : كانت مهرة في غزوة عبد الله بن سعد وعدتهم ستمائة رجل ، وغافق من الأزد سبعمائة رجل ، وميدعان سبعمائة ... وميدعان من الأزد ... وكان على مقاسمها كما حدثنا يحيى بن عبد الله ابن بكير عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن أزهر بن يزيد القطيفي شريك ابن سمى ، فباع ابن زرارة المديني تبرا بذهب ، بعضه أفضل بعض ، ثم لقيه المقداد بن الأسود ، فذكر ذلك له ، فقال المقداد : إن هذا لا يصلح . فقال له ابن زرارة : فضلها لك هبة . قال شريك : ما أحب أن لى ما تحوز وأني أرجع به .

---

(١) هو أبو أويس الأصبحي ، عبد الله بن عبد الله بن أويس (تقريب التهذيب صحيفة ٥٢٣) .

(٢) مرض الحمى .

وكانت ابنة جُرجير كما حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم وسعيد بن عُفير قد صارت لرجل من الأنصار فى سهمه ، فأقبل بها منصرفا قد حملها على بعير له ، فجعل يرتجز :

يا ابنَةَ جُرْجِيرَ تَمَشَّى عُقْبَتَكْ   إنَّ عَلَيْكِ بالحِجَازِ رَبَّتَكْ
لتَحْمِلَنَّ مِنْ قُبَاءَ قِرْبتَكْ

قالت : ما يقول هذا الكلب ؟

فأخبرت بذلك ، فألقت نفسها عن البعير الذى كانت عليه ، فدُقَّت عنقها ، فماتت .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة ، أن عبد الله بن سعد هو الذى افتتح إفريقية ، ونفل ، هو الذى افترع إفريقية ، وأنه كان يوضع بين يديه الكَوْم من الورِق ، فيقول للأفارقة : من أين لكم هذا؟

قال : فجعل إنسان منهم يدور كالذى يلتمس الشىء حتى وجد زيتونة ، فجاء بها إليه، فقال : من هذا نصيب الوَرِق .

قال : وكيف ؟

قال : إن الروم ليس عندهم زيتون ، فكانوا يأتوننا يشترون منا الزيت ، فنأخذ هذا الورق منهم .

وإنما سموا الأفارقة فيما حدثنا عثمان بن صالح من ابن لهيعة وغيره، أنهم من ولد فَارِق بن بَيْصَر ، وكان فارق قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى إفريقية، فبالأفارقة سميت إفريقية .

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا بكر بن مُضَر عن يزيد بن أبى حبيب عن قيس بن أبى يزيد عن الجُلَاس بن عامر عن عبد الله بن أبى ربيعة قال : عبد الله بن سعد للناس بإفريقية المغربَ ، فلما صلى ركعتين سمع جلبة فى المسجد ، فراعهم ذلك، وظنوا أنهم العدوّ، فقطع الصلاة، فلما لم ير شيئا خطب الناس، ثم قال : إن هذه الصلاة احتُضِرت . ثم أمر مؤذنه ، فأقام الصلاة ، ثم أعادها .

قال : و بعث عبد الله بن سعد كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لَهيعة بالفتح عقبةَ بن نافع ، ويقال : بل ، عبد الله بن الزبير ، وذلك أصح . وسار — زعموا عبد الله بن الزبير — على راحلته إلى المدينة من إفريقية عشرين ليلة .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثني المنذر بن بسام الحزامي[1] عن هشام بن عروة أن عبد الله بن سعد بعث عبد الله بن الزبير بفتح إفريقية ، فدخل على عثمان ، فجعل يخبره بلقائهم العدوّ وما كان في تلك الغزوة ، فأعجب عثمان ، فقال له : هل تستطيع أن تخبر الناس بمثل هذا ؟

قال : نعم .

فأخذ بيده حتى انتهى به إلى المنبر ، ثم قال له أُقْصُص عليهم ما أخبرتني . فتلكّأ عبد الله بَدِيًا ، فأخذ الزبير قَبْضَة حَصْباء وهَمَّ أن يَحْصِبَه بها ؛ ثم تكلم كلاما أعجبهم ؛ فكان الزبير يقول : إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة، فلينظر إلى أبيها وأخيها ، فلن يلبث أن يرى رُبَيْطَةً منها ببابه ، لما كان يرى من شبه عبد الله بن الزبير بأبي بكر .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال : بعث عبد الله بن سعد عبد الله بن الزبير ، وكان في الجيش ، بالفتح ، فقدم على عثمان بن عفان ، فبدأ به قبل أن يأتي أباه الزبير بن العوام ، فخرج عثمان إلى المسجد ، ومعه ابن الزبير ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر الذي أبلى الله المسلمين على يدي عبد الله بن سعد ، ثم قال : قم يا عبد الله بن الزبير فحدِّث الناس بالذي شهدتَ .

---

(١) في نسخة حـ الحزامي ، وهو تصحيف ، فهو المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدي الحزامي ، مقبول وقدمات سنة إحدى وثمانين . (انظر تقريب التهذيب صحيفة ٥١٢).

قال الزبير: فوجدت في نفسي على عثمان، وقلت: يقيم غلاما من الغلمان [illegible] الذي يحق عليه، والذي يجمل به، فقام، فتكلم، فأبلغ وأصاب، فما [illegible] عندهم عجبا.

[illegible] قبل عثمان. وقام عبد الله بن الزبير إلى أبيه، فأخذ أبوه بيده، وقال: إذا أردت أن تتزوج امرأة فانظر إلى أبيها وأخيها قبل أن تتزوجها، كأنه يشبهه ببلاغة أبي بكر الصديق جده.

قال: وحدثنيه ابن عيينة عن يزيد بن أبي حبيب، وقد قيل إن عبد الله بن سعد قد كان وجه مروان بن الحكم إلى عثمان من إفريقية، فلا أدري أفي الفتح أم بعده، والله أعلم.

حدثنا عبد الله بن معشر الأيلي[1] أن مروان بن الحكم أقبل من إفريقية، أرسله عبد الله بن سعد، ووجه معه رجلا من العرب من لخم أو جذام، شك عبد الرحمن، قال: فسرنا حتى إذا كنا ببعض الطريق قرب الليل، فقال لي صاحبي: هل لك إلى صديق لي هاهنا؟

قلت: ما شئت.

قال: فعدل بي عن الطريق حتى أتى إلى دير، وإذا سلسلة معلقة، فأخذ السلسلة، فحركها، وكان أعلم مني، فأشرف علينا رجل، فلما رآنا فتح الباب، فدخلنا، فلم يتكلم حتى طرح لي فراشا ولصاحبي فراشا، ثم أقبل على صاحبي يكلمه بلسانه، فراطنه[2] حتى [illegible] ظننا.

ثم أقبل علي، فقال: أي شيء قرابتك من خليفتهم.

---

(١) في نسخة ب (الأبلي)

(٢) في نسخة حـ يراطنه، والرطانة التكلم بغير العربية.

قلت : ابن عمه .

قال : هل أحدٌ أقرب إليه منك ؟

قلت : لا ، إلا أن يكون ولده .

قال : صاحبُ الأرض المقدسة أنت ؟

قلت : لا .

قال : فإن استطعت أن تكون هو فافعل ؛ ثم قال : أريد أن أخبرك بشيء ، وأخاف أن تضعف عنه .

قال : قلت : ألي تقول هذا ؟ وأنا أنا .

ثم أقبل على صاحبي ، فراطنه ، ثم أقبل علي ، فساءلني عن مثل ذلك ، وأجبته بمثل جوابي ، فقال : إن صاحبك مقتول ، وإنا نجد أنه يلي هذا الأمر من بعده صاحب الأرض المقدسة ، فإن استطعت أن تكون ذلك فافعل .

فأصابتني لذلك وجمة .

فقال لي : قد قلت لك إني أخاف ضعفك عنه .

فقلت : وما لي لا يصيبني ، أو كما قال ، وقد نعيت إليّ سيّد المسلمين وأمير المؤمنين .

قال : ثم قدمت المدينة ، فأقمت شهراً لا أذكر لعثمان من ذلك شيئا .

ثم دخلت عليه ، وهو في منزل له على سرير ، وفي يده مِرْوحة ، فحدثته بذلك ؛ فلما انتهيت إلى ذكر القتل بكيتُ وأمسكتُ .

فقال لي عثمان : تحدّث ، لا تحدّثتَ .

فحدثته ، فأخذ بطرف المروحة يعضها (أحسبه قال عبد الرحمن) واستلقى على ظهره ، وأخذ بطرف عقبه يَغْرُكهُ حتى ندمتُ على إخباري إيّاه ، ثم قال لي : صدق ، وسأخبرك عن ذلك .

« لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تَبُوك أعطى أصحابه سَهْماً سهماً ، وأعطانى سَهمين ، فظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أعطانى ذلك لما كان من نفقتى فى تبوك ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت: إنك أعطيتنى سهمين ، وأعطيت أصحابى سهما سهما ، فظننت أن ذلك لما كان من نفقتى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولكن أحببت أن يرى الناس مكانك منِّى أو منزلتك منى .

فأدْبَرت ، فلحقنى عبد الرحمن بن عوف ، فقال : ماذا قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما زال يُتْبِعُك بصَره . فظننت أنّ قولى قد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمهلت حتى إذا خرج إلى الصلاة أَتَيْتُه ، فقلت : يارسول الله ، إن عبد الرحمن بن عوف أخبرنى بكذا وكذا ، وأنا أتوب إلى الله ، أو كما قال .

فقال : لا ، ولكنك مقتول ، أو قاتل ، فكن المقتول ، والله أعلم .

قال . وكان فتح إفريقية كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد سنة سبع وعشرين .

وفى تلك السنة ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن مالك بن أنس ، توفيت حفْصَة زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

ذكر
النوبة وفتحها

قال عبد الرحمن : ثم غزا عبد الله بن سعد الأساود ، وهم النُوبَة ، كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير سنة إحدى وثلاثين ، وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ،

حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال، كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح عامل عثمان على مصر فى سنة إحدى وثلاثين . فقاتلته النوبة .

قال ابن لهيعة ، وحدثنى الحارث بن يزيد قال : اقتتلوا قتالا شديدا ، وأصيبت يومئذ عين معاوية بن حُدَيج ، وأبى شمر بن أبرهة، وحيويل بن ناشرة، فيومئذ سُمُّوا رُماة الحدَق ، فهادَنهم عبد الله بن سعد إذ لم يُطقهم .

وقال الشاعر .

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ يَوْمِ دُمْقُلَه وَالْخَيْلُ تَعْدُو بِالدُّرُوعِ مُثْقَـلَه

قال ابن حبيب فى حديثه ، وإن عبد الله صالحهم[1] على هدنة بينهم ، على أنهم لا يغزونهم ، ولا يغزو النوبةُ المسلمين ، وأن النوبة يؤدون كل سنة إلى المسلمين كذا وكذا رأسا من السَّبْي ، وأن المسلمين يؤدون إليهم من القمح كذا وكذا ، ومن العدس كذا وكذا فى كل سنة

قال ابن أبى حبيب : وليس بينهم وبين أهل مصر عهد ولا ميثاق ، وإنما هى هدنة أمان بعضنا من بعض .

قال ابن لهيعة : ولا بأس أن يُشْتَرى رقيقُهم منهم ومن غيرهم ؛ وكان أبو حبيب أبو يزيد بن أبى حبيب — واسمه سُويد — منهم

حدثنا سعيد بن عُفير ، حدثنا ابن لهيعة قال : سمعت يزيد بن أبى حبيب

---

(١) عقد القائد العربى عبد الله بن سعد بن أبى السرح لأهل مقرة Maqurra بعد دخول جيش المسلمين دنقلة عاصمتها سنة ٦٥٢ م العقد الذى يضمن استقلال بلادهم ، ويحقق للمسلمين الاطمئنان على حدودهم من ناحية الجنوب ، ويفتح النوبة للتجارة والحصول على عدد من الرقيق فى خدمة الدولة الاسلامية ، وقد اختلط العرب بالنوبيين والبجة ، واعتنق كثير منهم الاسلام .

(راجع عقد عبد الله بن سعد للنوبيين فى كتاب المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٩ طبعة بولاق) .

يقول : أبى من سَبْى دُنْقُلَة مولى لرجل من بنى عامر من أهل المدينة ، يقال له شريك بن طُفيل .

قال : وكان الذى صُولِح عليه النُوبةُ ، كما ذكر بعض مشائخ أهل مصر ، على ثلاثمائة رأس وستين رأسا فى كل سنة ، ويقال : بل على أربعمائة رأس فى كل سنة ، منها لفَىْء المسلمين ثلاثمائة رأس وستون رأسا ؛ ولوالى البلد أربعون رأسا .

قال : فزعم بعض المشائخ أن منها سبع عشرة[1] مَوْضِعًا .

ثم انصرف عبد الله بن سعد عنهم .

ويقال فيما ذكر بعض المشائخ المتقدمين ، أنه نظر فى بعض الدواوين بالفسطاط ، وقرأه قبل أن يَنْحرق ، فإذا هو يحفظ منه : إنا عاهدنا كم وعاقدنا كم أن توفونا فى كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأسا ، وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين ، وكذا ندخل بلادكم ، على أنكم إن قتلتم من المسلمين قتيلا فقد برئت منكم الهدنة ، وعلى إن آويتم للمسلمين عَبْداً فقد برأت منكم الهدنة ، وعليكم رَدُّ أُبَّاقِ[2] المسلمين ، ومن لجأ إليكم من أهل الذمة .

قال : وزعم غيره من المشائخ ، أنه لا سنّة للنوبة على المسلمين ، وأنهم أول عام بعثوا بالْبَقْطِ[3] أهدوا لعمرو بن العاص أربعين رأسا ، فكره أن يقبل منهم ، فرد ذلك على عظيم من عظماء القبط ، يقال له نَسْتَقُوس ، وهو القيّم لهم فيها ، فباع

---

(١) فى الأصل سبعة عشر .

(٢) الإباق الهرب .

(٣) قال المقريزى فى الخطط الجزء الأول صحيفة ٣٩٨ : البقط مايقبض من سبي النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم... وقال أبو الحسن المسعودى ، والبقط هو مايقبض من السبي فى كل سنة ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم . وهو ثلاثمائة وخمسة وستون ر[illegible] لبيت المال بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين . .

وكان الحاكم الذى يحضر لقبض البقط مع أمير أسوان ينال فوق العدد المقرر لبيت المال خمسة رءوس ، ولأمير أسوان عشرون رأسا ، ولإثنا عشر شاهدا عدولا من أهل أسوان يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأسا من السبي . (المسعودى) .

ذلكْ ، واشترى لهم جهازا ، فاحتجوا بذلك ، أن عمراً بعث إليهم القمح والخيل ، وذلك أنهم زُجِرُوا عن القمح والخيل ، فكشفوا ذلك فى الزمان الأول فأصيبوا . هذه قصّتهم .

ثم رجع إلى الحديث ، فتجمع له فى انصرافه على شاطىء النيل البُجَة[1] ، فسأل عنهم ، فأُخبر بمكانهم ، فهان عليه أمرهم ، فنفذ وتركهم ، ولم يكن لهم عَقْد ولا صلح ؛ وأول من صالحهم عُبيد الله بن الحَبْحاب .

ويزعم بعض المشائخ أنه قرأ كتاب ابن الحبحاب فإذا فيه : ثلاثمائة بكر فى كل عام حتى ينزلوا الريف مجتازين تجارا غير مقيمين ، على ألا يقتلوا مسلما ولا ذمّيا ، فإن قتلوه فلا عهد لهم ولا يؤوُوا عبيد المسلمين ، وأن يَرُدُّوا أُبَّاقَهم إذا وقعوا ؛ وقد عهدت هذا فى أيامهم يؤخذون به ؛ ولكل شاة أخذها بُجَاوِىّ فعليه أربعة دنانير ، وللبقرة عشرة ، وكان وكيلهم مقيما بالريف رهينةً بيد المسلمين .

ذكر

ذى الصوارى

قال عبد الرحمن : ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبى بن سَرْح كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد ذا الصَّوَارِى فى سنة أربع وثلاثين .

وكان من حديث هذه الغزوة ، كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب ، أن عبد الله بن سعد لما نزل ذا الصوارى أنزل نصف الناس مع بُسْر بن أبى أَرْطاة سَرِيّة فى البر ، فلما مضوا أتى آت إلى عبد الله بن سعد ، فقال : ما كنتَ فاعلا حين ينزل بك هرقل فى ألف مركب فافعله الساعة .

---

(١) البجة قبائل وبطون سودانية تعيش فيما بين النيل والبحر الأحمر مما يلى النوبة ، وكان لهم فى بلدهم ملك منفرد (اليعقوبى ح ١ . ص ١٥٥) .

قال غير الليث : إنما هو ابن هرقل لأنه مات فى سنة تسع عشرة والمسلمون محاصرون الاسكندرية .

ثم رجع إلى حديث الليث عن يزيد بن أبى حبيب قال : وإنما قال ، مراكب المسلمين يومئذ مائتا مركب ونيّف ، فقام عبد الله بن سعد بين ظَهْرانَى الناس فقال : قد بلغنى أن هرقل قد أقبل إليكم فى ألف مركب ، فأشيروا علىّ ؛ فما كلّمه رجل من المسلمين ، فجلس قليلا لترجع إليهم أفئدتهم ، ثم قام الثانية ، فكلّمهم ، فما كلمه أحد ، فجلس ؛ ثم قام الثالثة ، فقال : إنه لم يبق شىء ، فأشيروا علىّ .

فقام رجل من أهل المدينة كان متطوّعا مع عبد الله بن سعد فقال : أيها الأمير ، إن الله جل ثناؤه يقول . « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

فقال عبد الله . اركبوا باسم الله ، فركبوا ، وإنما فى كل مركب نصف شحنته ، قد خرج النصف الآخر إلى البرّ مع بُسْر، فلقوهم ، فاقتتلوهم بالنَبْل والنُشّاب ، وتأخر هرقل لئلا تصيبه الهزيمة ، وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار ، فقال : ما فعلوا ؟

قالوا : قد اقتتلوا بالنبل و النُشّاب .

فقال : غلبت الروم .

ثم أتوه ، فقال : ما فعلوا ؟

قالوا : قد نفدت الحجارة ، وربطوا المراكب بعضها ببعض ، يقتتلون بالسيوف .

قال : غُلبت الروم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال: وكانت السفن إذْ ذاك تُقْرن بالسلاسل عند القتال ، فقال : فقُرِن مركب عبد الله يومئذ ، وهو الأمير ، بمركب من مراكب العدو ، فكاد مركب العدو يجترّ مركب عبد الله إليهم .

فقام علقمة بن يزيد الغطيفى ، وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب ، فضرب السلسلة بسيفه ، فقطعها .

فسأل عبد الله امرأته بُسَيْسَة ابنة حمراء بن لِيشرَح[1] ، وكانت مع عبد الله يومئذ ، وكان الناس يغزون بنسائهم فى المراكب ، من رأيت أشد قتالا؟ قالت : علقمة صاحب السلسلة .

وكان عبد الله قد خطب بُسَيْسة إلى أبيها ، فقال له : إن علقمة قد خطبها وله علىّ فيها وَأْىٌ[2] ، وإن يتركها أفعلُ .

فكلم عبد الله علقمة ، فتركها ، فتزوجها عبد الله بن سعد ، ثم هلك عنها عبد الله، فتزوجها بعده علقمة بن يزيد ، ثم هلك عنها علقمة ، فتزوجها بعده كُرَيْب بن أبرهة ، وماتت تحته فى السنة التى قُتل فيها مروان الأكْدَر بن حُمَام .

قال غير بن لهيعة ، قتل مروان الأكدر بن حُمام فى اليوم الذى ماتت فيه بُسَيْسة ، فجاء الخبر إلى كُرَيب بذلك ، فقال : حتى أفرغ من دفن هذه الجنازة ، فلم ينصرف حتى قتل ، فلامَ الناس يومئذ كُرَيْبَ بن أبرهة ، وللأكدر بن حمام وقتله حديث أطول من هذا .

قال غير ابن لهيعة : مشت الروم إلى قسطنطين بن هرقل فى سنة خمس وثلاثين ، فقالوا تترك الاسكندرية فى أيدى العرب وهى مدينتنا الكبرى ؟

(١) سبيسة بنت حمزة بن عبد كلال . ابن حجر الجزء الأول ص ٢٢٦ .

(٢) الوأى الوعد.

فقال : ما أصنع بكم ؟ ما تقدرون أن تمالكوا ساعة إذا لقيتم العرب .

قالوا : فاخرج على أنا نموت .

فتبايعوا على ذلك ، فخرج فى ألف مركب يريد الاسكندرية ، فسار فى أيام غالبة من الريح ، فبعث الله عليهم ريحا ، فغرقتهم إلا قسطنطين نجا بمركبه ، فألقته الريح بصِقِلّية ، فسألوه عن أمره ، فأخبرهم ، فقالوا : شمّتّ النصرانية وأفنيت رجالها ، لو دخل العرب علينا لم نجد من يردّهم .

فقال : خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا ، فصنعوا له الحمّام ، ودخلوا عليه ، فقال : وَيْلكم ، تذهب رجالكم وتقتلون ملككم .

قالوا : كأنه غرق معهم . ثم قتلوه ، وخلّوا من كان معه فى المراكب .

ذكـــر

رابطة الاسكندرية

حدثنا عبد الرحمن حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن هُبيرة ، يزيد أحدهما على صاحبه قال: لما استقامت البلاد ، وفتح الله على المسلمين الاسكندرية قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية رُبْعَ الناس خاصة ، الربع يقيمون ستة أشهر ، ثم يعقبهم شاتية ستة أشهر ، رُبْع فى السواحل ، والنصف الثانى مقيمون معه .

قال غيرهما : وكان عمر بن الخطاب يبعث فى كل سنة غازيةً من أهل المدينة ترابط بالاسكندرية ، وكاتبَ الولاةَ ، لا تُغفلها وتُكثِّفُ رابطتَها ، ولا تأمن الروم عليها .

وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد ، قد علمتَ كيف كان همُّ أمير المؤمنين

بالاسكندرية ، وقد نقضت الروم مرتين ، فالزم الاسكندرية رابطتها ، ثم أجر عليهم أرزاقهم ، وأعقب بينهم فى كل ستة أشهر .

حدثنا طَلْق بن السَّمْح ، حدثنا ضِمام بن إسماعيل المعافرى ، حدثنا أبو قَبيل ، أن عتبة بن أبى سفيان عقد لعلقمة بن يزيد الغُطَيْفى على الاسكندرية ، وبعث معه اثنى عشر ألفا ، فكتب علقمة إلى معـــاوية يشكو عتبة حين غرَّر به وبمن معه .

فكتب إليه معاوية ، إنى قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل الشام ، وخمسة آلاف من أهل المدينة ، فكان فيها سبعة وعشرون ألفا .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة أن علقمة بن يزيد كان على الاسكندرية ومعه اثنا عشر ألفا ، فكتب إلى معاوية ، إنك خلّفتنى بالاسكندرية وليس معى إلا إثنا عشر ألفا ، ما يكاد بعضنا يرى بعضا من القلة . فكتب إليه معاوية ، إنى قد أمددتك بعبد الله بن مطيع فى أربعة آلاف من أهل المدينة ، وأمرت مَعْن بن يزيد السُّلَمى أن يكون بالرَّمْلة[1] فى أربعة آلاف مُمسكين بأعنّة خيولهم ، متى يبلغهم عنك فَزَعٌ يعبروا إليك .

قال ابن لهيعة : وكان عمرو بن العاص يقول : ولاية مصرَ جامعةٌ تَعدل الخلافة .

---

(١) الرملة مدينة عظيمة بفلسطين ، كانت رباطا للمسلمين ، وقد كانت دار ملك داود وسليمان . وكان بنو أمية ينفقون على آبارها وقناتها . واستنقذها صلاح الدين من الافرنج فى سنة ٥٨٣ ه وخربها خوفا من استيلاء الإفرنج عليها مرة ثانية .

ذكــر

من كان يخرج على غزو المغرب بعد عمرو بن العاص وفتوحه

معاوية بن حُدَيج

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الحكم قال : ثم خرج إلى المغرب بعد عبد الله ابن سعد معاويةُ بن حُدَيج التُجيبى سنة أربع وثلاثين ، وكان معه فى جيشه عامئذٍ عبد الملك بن مروان ، فافتتح قصورا ،وغنم غنائم عظيمة ، واتخذ قَيْرَواناً عند القَرْن ، فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر ، وكان معه فى غَزَاته هذه جماعة من المهاجرين والأنصار .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة ، وحدثنا يوسف بن عدىّ ، حدثنا عبدالله بن المبارك نحوه عن ابن لهيعة عن بُكير بن عبدالله عن سليمان بن يَسَار قال : غزونا افريقية مع ابن حُدَيج ، ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير ، فنَفَلَنا[1] ابن حُدَيج النصف بعد الخُمس ، فلم أر أحدا أنكر ذلك إلا جبلة بن عمرو الأنصارى .

وحدثنا يوسف بن عدىّ حدثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران قال : وسألت سليمان بن يسار عن النفل فى الغزو ، فقال : لم أر أحداً صنعه غير ابن حديج ، نفَلنا بإفريقية النصفَ بعد الخمس ، ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأوّلين ناسٌ كثير ، فأبىَ جبلةُ بن عمرو الأنصارى أن يأخذ منه شيئا .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : فانتهى إلى قُونَية ، وهى

---

(١) النفل : العطاء .

موضع مدينة قيروان إفريقية ، ثم مضى إلى جبل يقال له القَرْن ، يعسكر إلى جانبه ، و بعث عبد الملك بن مروان إلى مدينة يقال لها جلولاء[1] فى ألف رجل، فحاصرها أياما ، فلم يصنع شيئا ، فانصرف راجعاً ، فلم يسرْ إلا يسيرا حتى رأى فى ساقة الناس غباراً شديدا ، فظن أن العدو قد طلبهم ، فكرّ جماعة من الناس لذلك ، و بقى من بقى على مصافّهم ، وتسرّع سرعان الناس ، فإذا مدينة جلولاء قد وقع حائطها ، فدخلها المسلمون، وغنموا ما فيها ؛ وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حُديج .

فاختلف الناس فى الغنيمة ، فكتب فى ذلك إلى معاوية بن أبى سفيان ، فكتب[أ] ، إن العسكر ردْءٌ للسَّرِيّة . فقسّم ذلك بينهم ، فأصاب كل رجل منهم لنفسه مائتى دينار ، وضرب للفرس بسَهْمين ، ولصاحبه بسهم .

قال عبد الملك : فأخذت لفرسى ولنفسى ستمائة دينار ، واشتريت بها جارية.

قال : و يقال ، بل غزاها معاوية بن حديج بنفسه ، فحاصرهم ، فلم يقدر عليهم ، فانصرف آيساً منها ، وقد جرح عامة أصحابه ، وقتل منهم ، ففتحها الله بعد انصرافه بغير خيل ولا رجال ، فرجع إليها ومن معه ، وفيها السَّبى لم يردهم أحد ، فغنموا ، وانصرف منها راجعاً إلى مصر .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال: غزا معاوية بن حُديج إفريقية ثلاث غزوات، أما الأولى فسنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان ، وأعطى عثمانُ مروان الخُمُس فى تلك الغزوة ، وهى غزوة لا يعرفها كثير من الناس ؛ والثانية سنة أربعين ؛ والثالثة سنة خمسين .

---

(١) جلولاء : مدينة شهيرة بإفريقية الشمالية (تونس) بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلا ، وبها آثار وأبراج من أبنية الأول .

عُقبة بن نافع

قال : ثم خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حُديج عُقْبة بن نافع الفهرىّ سنة ست وأربعين ، ومعه بُسْر بن أبى أرطـاة ، وشريك بن سُمَىّ المرادى، فأقبل حتى نزل بمغداش[1] من سُرْت[2] ، وكان توجه بُسر إليها، كما حدثنا يحيى ابن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد ، سنة ست وعشرين من سُرْت ، فأدركه الشتاء ، وكان مُضَعَّفاً ، وبلغه أن أهل وَدّان قد نقضوا عهدهم ، ومنعوا ما كان بسر بن أبى أرطاة فرض عليهم .

وكان عمرو بن العاص قد بعث إليها بُسراً قبل ذلك وهو محاصر لأهل أطرابلس ، فافتتحها ؛ فخلّف عقبة بن نافع جيشه هنالك ، واستخلف عليهم عمر بن علىّ القرشى ، وزهير بن قيس البلوىّ، ثم سار بنفسه وبمن خفّ معه ، أربعمائة فارس وأربعمائة بعير ، وثمانمائة قِرْبة حتى قدم وَدّان فافتتحها ، وأخذ ملكهم ، فجدع أذنه . فقال : لِمَ فعلت هذا بى ، وقد عاهدتنى ؟

فقال عقبة : فعلت هـذا بك أدباً لك، إذا مسستَ أذنك ذكرته ، فلم تحارب العرب ؟

واستخرج منهم ما كان بسر فرضه عليهم ، ثلاثمائة رأس وستين رأسا .

ثم سألهم عقبة : هل من ورائكم أحد ؟

فقيل له : جَرْمَة . وهى مدينة فزّان العظمى .

فسار إليها ثمانى ليالى من ودّان ، فلما دنا منها أرسل، فدعاهم إلى الإسلام ، فأجابوا ، فنزل منها على ستة أميال .

وخرج ملكهم يريد عقبة ، وأرسل عُقبة خيلا ، فحالت بين ملكهم وبين

---

(١) مغداش : بلد قريب من سرت فى طرابلس الغرب بليبيا .

(٢) مدينة قديمة ، مكانها الآن مدينة تونس بشمال إفريقية وقد كانت محطاً للقوافل ، وسوقا للتجارة ، وبلغت أوج عزها أيام الملوك الأغالبة فى القرن التاسع الميلادى .

مَوْكبه ، فأَمْشوه راجلا حتى أتى عقبة وقد لغِبَ[1] ، وكان ناعما ، فجعل يبصق الدم ، فقال له : لم فعلت هذا بى وقد أتيتك طائعاً ؟

فقال عقبة : أدباً لك ، إذا ذكرته لم تحارب العربَ .

وفرض عليهم ثلاثمائة عبد وستين عبدا ، ووجّه عقبة الرجل من يومه ذلك إلى المشرق .

ثم مضى على جهته من فَوْره ذلك إلى قصور فزّان ، فافتتحها قصراً قصراً ، حتى انتهى إلى أقصاها فسألهم : هل من ورائكم أحد ؟

قالوا : نعم ، أهل خَاوَر[2] ، وهو قصر عظيم على رأس المَفازة فى وعورة على ظهر جبل ، وهو قَصَبة كُوّار[3] .

فسار إليهم خمس عشرة ليلة ، فلما انتهى تحصّنوا ، فحاصرهم شهراً ، فلم يستطع لهم شيئا .

فمضى أمامه على قصور كُوّار ، فافتتحها حتى انتهى إلى أقصاها ، وفيه مِلكُها ، فأخذه ، فقطع إصبعه ، فقال : لم فعلتَ هذا بى ؟

قال : أدباً لك ، إذا أنت نظرت إلى إصبعك لم تحارب العرب .

وفرض عليهم ثلاثمائة عبد وستين عبداً .

فسألهم : هل من ورائكم أحد ؟

فقال الدليل : ليس عندى بذلك معرفة ولا دلالة .

فانصرف عقبة راجعاً ، فمر بقصر خاوَر ، فلم يعرض له ، ولم ينزل بهم ، وسار ثلاثة أيام ، فأمنوا وفتحوا مدينتهم ، وأقام عقبة بمكان اسمه اليوم ماء فَرَس ،

---

(١) اللغوب والتعب والإعياء .

(٢) خاور مدينة كبيرة جنوبى فزان بليبيا .

(٣) كذا فى الأصل وقد ذكرت فى معجم البلدان كاوار وهى كورة جنوبى فزان مدينتها خاور .

ولم يكن به ماء ، فأصابهم عطش شديد ، أَشْفَى منه عقبة وأصحابه على الموت ، فصلى عقبة ركعتين ، ودعا الله .

وجعل فرس عقبة يبحث بيديه فى الأرض حتى كشف عن صفاةٍ ، فانفجر منها الماء ، فجعل الفرس يَمُصُّ ذلك الماء .

فأبصره عقبة ، فنادى فى الناس ، أن احتفروا ؛ فحفروا سبعين حِسْيًا(١) ، فشربوا ، واستقوا ، فسمى لذلك ماء فرس .

ثم رجع عقبة إلى خاوَر من غير طريقه التى كان أقبل منها ، فلم يشعروا به حتى طرَقهم ليلا ، فوجدهم مطمئنين قد تمهّدوا فى أسرابهم ، فاستباح ما فى المدينة من ذرّيّاتهم وأموالهم . وقتل مقاتلتهم .

ثم انصرف راجعا ، فسار حتى نزل بموضع زَوِيلة(٢) اليوم ، ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر ، وقد جمّت خيولهم وظهورهم ، فسار متوجها إلى المغرب وجانب الطريق الأعظم ، وأخذ إلى أرض مُزَاتَة ، فافتتح كل قصر بها ، ثم مضى إلى صِفْر(٣) ، فافتتح قلاعها وقصورها .

ثم بعث خيلا إلى غُدَامِس ، فافتتحت غدامس ؛ فلما انصرفت إليه خيله سار إلى قَفْصة(٤) فافتتحها وافتتح قَصْطِيلِيَة(٥) .

ثم انصرف إلى القيروان ، فلم يعجب بالقيروان الذى كان معاوية بن حُدَيج بناه قبله ، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم ، وكان واديا كثير الشجر

---

(١) الحسى هو الحفيرة قريبة العمق .

(٢) زويلة : عاصمة فزان من أعمال ليبيا على ملتقى الطرق الصحراوية . وكثير من سكانها أباضيون ، وبها قبر الشاعر دعبل .

(٣) صِفر ، كذا ضبطت فى الأصل ، واسمها الحالى صفرو ، وهى مدينة فى شمال المغرب فى قلب جبال أطلس الوسطى ، وثلث سكانها من اليهود .

(٤) قفصة : بلدة فى تونس ، كان لها شأن كبير فى عهد الرومان .

(٥) قصطيلية ، كذا كتبت فى الأصل ، وقد ورد ذكرها فى معجم البلدان قسطيلية ، وهى إحدى مدن بلاد توزر الواقعة فى أقصى بلاد المغرب على حدود الصحراء .

كثير القَطْف ، تأوى إليه الوحوش والسباع والهوامّ ، ثم نادى بأعلى صوته : يا أهل الوادى ، ارتحلوا — رحمكم الله — فإنا نازلون ؛ نادى بذلك ثلاثة أيام .

فلم يبق من السباع شيء ولا الوحوش والهوام إلا خرج ، وأمر الناس بالتَّنْقية والخطط ، ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية بن حُديج نزله إلى مكان القَيْرُوان اليوم ، وركز رُمحه ، وقال : هذا قيروانكم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد أن عقبة بن نافع غزا إفريقية ، فأتى وادى القيروان ، فبات عليه وهو وأصحابه حتى إذا أصبح وقف على رأس الوادى ، فقال : يا أهل الوادى ، إظعَنُوا ، فإنا نازلون . قال ذلك ثلاث مرات .

فجعلت الحيّات تَنْسابُ والعقارب وغيرها مما يُعْرَف من الدوابّ ، تخرج ذاهبة ، وهم قيام ينظرون إليها من حيث أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس ، وحتى لم يروا منها شيئاً ، فنزلوا الوادى عند ذلك .

قال الليث : فحدثنى زياد بن العَجْلان أن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ، ولو التمستْ حيّةٌ أو عقربٌ بألف دينار ما وجدت .

أبو المهاجر

قال : ثم عُزِل عقبة بن نافع فى سنة إحدى وخمسين ، عزله مسلمة بن مخلّد الأنصارى ، وهو يومئذ والى البلد من قِبَل معاوية بن سفيان ، ومسلمة بن مخلّد أول من جُمعت له مصر والمغرب

وكانت ولاية مسلمة بن مخلّد كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد سنة سبع وأربعين ، وولّى أبا المهاجر ديناراً مولى الأنصار ، أوصاه حين ولاّه أن يعزل عقبةَ أحسن العَزْلِ ، فخالفه أبو المهاجر ، فأساء عزله وسجنه ، وأوقره

حديداً حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله وإشخاصه إليه ، فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء ، فصلّى ، ثم دعا ، وقال : اللهم لا تُمِتْنى حتى تمكّنى من أبى المهاجر ، دينار ابن أمّ دينار .

فبلغ ذلك أبا المهاجر ، فلم يزل خائفاً منذ بلغته دعوته .

فلما قدم عقبة مصر ركب إليه مسلمة بن مخلّد ، فأقسم له بالله ، لقد خالفه ما صنع أبو المهاجر ، ولقد أوْصَيته بك خاصّة .

وقد كان قيل مسلمة : لو أقررتَ عقبة فإن له جزالةً وفضلا ؟

فقال مسلمة : إن أبا المهاجر صبر علينا فى غير ولاية ولا كبير نَيْلٍ ، فنحن نحب أن نكافئه .

فلما قدم أبو المهاجر إفريقية كره أن ينزل فى الموضع الذى اختطّه عقبة بن نافع ، ومضى حتى خلّفه بميلين ، فابتنى ونزل .

وكان الناس قبل أبى المهاجر ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة ، وأحمد بن عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، يغزون إفريقية ، ثم يقفلون منها إلى الفسطاط .

وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار ، أقام بها الشتاء والصيف ، واتخذها منزلا .

وكان مسلمة بن مخلّد الذى عقد له على الجيش الذى خرجوا معه إليها ، فلم يزالوا بها حتى قتل ابن الزبير ، فخرجوا منها .

ثم قدم عقبة على معاوية بن أبى سفيان فقال له : فتحتُ البلاد وبنيتُ المنازل ومسجدَ الجماعة ، ودانتْ لى ، ثم أرسلتَ عبْدَ الأنصارى ، فأساء عزلى .

فاعتذر إليه معاوية ، وقال : عرفتَ مكان مسلمة بن مخلّد من الإمام المظلوم ، وتقديمَهُ إيّاه ، وقيامَه بدمه ، وَبذل مُهْجَتِه ، وقد رددْتُك على عملك .

ويقال : إن معاوية ليس هو الذى رد عقبة بن نافع ، ولكنه قدم على يزيد ابن معاوية بعد موت أبيه ، فردّه واليا على إفريقية ، وذلك أصح لأن معاوية توفى سنة ستين .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكير عن الليث بن سعد قال : توفى معاوية بن أبى سفيان سنة ستين .

مقتل عقبة بن نافع

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : فخرج عقبة بن نافع سريعاً بحُنَقه على أبى المهاجر حتى توفى فى إفريقية ، فأوثق أبا المهاجر فى وثاق شديد ، وأساء عَزْله ، وغزا به معه إلى السُّوس ، وهو فى حديد .

وأهل السُّوس بطن من البربر ، يقال لهم أَنْبِيَة ، فجوّل فى بلادهم ، لا يعرض له أحد ولا يقاتله ، فانصرف إلى إفريقية . فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه ، فافترقوا عنه ، وأذن لهم حتى بقى فى قلّة ، فأخذ على مكان يقال له تَهُودَة ، فعرض له كسيلة[1] بن لَمَزْم فى جمع كثير من الروم والبربر ، وقد كان بلغه افتراق الناس عن عقبة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل عقبة ومن كان معه ، وقتل أبو المهاجر وهو موثَق فى الحديد ، ثم سار كسيلة ومن معه حتى نزلوا الموضع الذى كان عقبة اختطّه ، فأقام به ، وقهر من قَرُبَ منه ، بابَ قابس وما يليه ، وجعل يبعث أصحابه فى كل وجه .

ويقال : بل خرج عقبة بن نافع إلى السُّوس ، واستخلف على القيرُوان عُمر ابن على القرشى وزهَير بن قيس البلوىّ ؛ وكانت إفريقية تُدعى مُزَاق ، فتقدم

---

(١) كسيلة بن لمزم أمير قبيلة الأوربة فى إفريقية ، وقد أسلم ، وحكم شمال أفريقية ، ثم تمرد على الخليفة فقتل سنة ٦٨٨ م .

عقبة إلى السُّوس ، وحالفه رجل من العجم فى ثلاثين ألفا ، إلى عمر بن على وزهير ابن قيس ، وهما فى فى ستة آلاف ، فهزمه الله .

وخرج ابن الكاهنة البربرىّ على إثر عقبة ، كلّما رحل عقبة من مَنْهل[1] دفنه ابن الكاهنة ، فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة إلى السوس ، ولا يشعر بما صنع البربرى ، فلما انتهى عقبه إلى البحر أقحم فرسَه فيه حتى بلغ نحره ، ثم قال : اللهم إنى أشهدك ألا مَجازَ، ولو وجدت مجازا لَجُزْتُ ؛ وانصرف راجعا والمياه قد عُوِّرتْ، وتعاونت عليه البربر ، فلم يزل يقاتل[2] ، وأبو المهاجر معه فى الحديد؛ فلما استحرّ الأمر أمر عقبة بفتح الحديد عنه ، فأبى أبو المهاجر، وقال: ألقى الله فى حديدى ؛ فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن معهما .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد أن عقبة بن نافع قدم من عند يزيد بن معاوية فى جيش على غزو المغرب ، فمرّ على عبد الله بن عمرو، وهو بمصر ، فقال له عبد الله : يا عقبة ، لعلّك من الجيش الذين يدخلون الجنّة برِحالهم . فمضى بجيشه حتى قاتل البربر ، وهم كُفّار ، فقتلوا جميعا .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن بَحِير بن ذاخر المعافرى قال : كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص حين دخل عليه عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرىّ ، فقال : ما أقدَمك يا عقبة ؟ فإنى أعلمك تحب الإمارة .

قال : فإن أمير المؤمنين يريد العقد لى على جيش إلى إفريقية .

فقال له عبد الله بن عمرو : إياك أن تكون لَعْنَةَ أرامل أهل مصر ، فإنى لم أزل أسمع أنه سيخرج رجل من قريش فى هذا الوجه ، فيهلك فيه .

---

(١) منهل : مكان شرب الماء .

(٢) فى نسخة د: زيادة ، وكان عقبة قد خرج فى فئة قليلة من عسكره إلى السوس ، وخلف عسكره بإفريقية ، وكان رجلا صالحاً يغلّب التوكل ، لا يقاتل أحداً إلا بفئة قليلة ، ويطلب من الله النصر ، ويلح فى السؤال ، وهو الذى فتح المغرب وما والاه ، رحمه الله تعالى ، وكان مقتله — قال الليث — فى سنة ثلاث وستين .

فقدم إفريقية ، فتتبع آثار أبي المهاجر وضيّق عليه وحدّده ، ثم خرج إلى قتال البربر ، وهم خمسة آلاف رجل من أهل مصر ، وخرج بأبي المهاجر معه فى الحديد ، فقُتِل ، وقتل أصحابه ، وقتل أبو المهاجر معهم .

وكان مقتل عقبه بن نافع وأصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد فى سنة ثلاث وستين .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال : ثم زحف ابن الكاهنة إلى إلى القيروان يريد عمر بن علىّ وزهير بن قيس ، فقاتلاه قتالا شديدا ، فهزم ابن الكاهنة وقتل أصحابه ، وخرج عمر بن على وزهير بن قيس إلى مصر بالجيش لاجتماع ملأ البربر ، وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالى إفريقية بأطرابلس .

ويقال إن عبدَ العزيز بن مروان لما ولى مصر كتب إلى زهير بن قيس ، وزهير يومئذ ببرقة ، يأمره بغزو إفريقية ، فخرج فى جمع كثير ، فلما دنا من قُونية وبها عسكر كسيلَة بن لمزم عبّأ زهير لقتاله ، وخرج إليه ، فاقتتلا ، فقتل كسيلة ومن معه ، ثم انصرف زهير قافلا إلى برقة . ويقال: بل حسّان بن النعمان الذى كان وجّه زهير بن قيس ، والله أعلم .

كان مقتل كسيلة ، كما حدثنا يحيى بن بكر عن الليث بن سعد ، فى سنة أربع وستين .

حسان بن النعمان

ثم قدم حسّان بن النعمان واليا على المغرب ، أمّره عليها عبد الملك بن مروان فى سنة ثلاث وسبعين ، فمضى فى جيش كبير حتى نزل أطرابلس ، واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية وأطرابلس ، فوجّه على مقدمته محمدّ بن أبي بكير ،

وهلال بن ثَرْوان اللّواتى وزهير بن قيس ، ففتح البلاد ، وأصاب غنائم كثيرة ، وخرج إلى مدينة قُرْطاجنة ، وفيها الروم ، فلم يصب فيها إلا قليلا من ضعفائهم.

فانصرف،وغزا الكاهنة ، وهى إذ ذاك ملكة البربر ، وقد غلبت على جُلّ إفريقية ، فلقيها على نهر يسمّى اليوم نَهْر البلاء ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فهزمته، وقتلت من أصحابه ، وأسرت منهم ثمانين رجلا ، وأفلت حسان،ونفذ من مكانه إلى أنطابلس ، فنزل قصورا من حيِّز برقة ، فسميت قصور حسان ، واستخلف على إفريقية أبا صالح ، وكانت أَنطابُلس ولوبيَة ومَراقيَة إلى حَدّ أَجْدَابية[1] من عمل حسان .

فأحسنت الكاهنة إسارَ من أسرته من أصحابه،وأرسلتهم إلا رجلامنهم من بنى عَبْس،يقال له خالد بن يزيد ، فتَبَنَّتْه وأقام معها ، فبعث حسان إلى خالد رجلا ، فأتاه ، فقال له : إن حسّان يقول لك ، ما يمنعك من الكتاب إلينا بخبر الكاهنة ؟

فكتب خالد بن يزيد إلى حسان كتابا، وجعله فى خبزة مَلّة ، ثم دفعها إلى الرسول ليخفى فيها الكتاب ، وليظن من رأى الخبزة أنها زاد الرجل . فخرجت الكاهنة وهى تقول : يا بَنِىّ ، هلا ككم فيما تأكله الناس ؛ فكرّرت ذلك .

ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب ، فيه عِلْم ما يحتاج إليه ؛ ثم كتب إليه أيضاً كتابا آخر ، وجعله فى قَرَبُوس[2] حفره ، ووضع الكتاب فيه، وأطبق عليه حتى استوى وخفى مكانه .

فخرجت الكاهنة أيضاً ، وهى تقول : يا بَنِىّ ، هلا ككم فى شىء من نبات الأرض ميّت ؛ فكررت ذلك .

---

(١) أجدابية : مدينة كبيرة فى الصحراء بين برقة وطرابلس الغرب ، وهى أكثر بلاد المغرب نخلا وأجودها تمراً وينسب إليها أبو إسحق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسى الأجدابى ، وكان أديباً فاضلا ، وله تصانيف حسنة منها كفاية المتحفظ وهو مختصر فى اللغة مشهور ، وكتاب الأنواء .

(٢) القربوس . حنو السرج .

ومضى حتى قدم على حسان ، فندب أصحابه ، ثم غزاها .

فلما توجه إليها خرجت ناشرة شعرها، فقالت : يابَنِيّ ، انظروا ماذا ترون فى السماء ؟

قالوا : نرى شيئاً من سحاب أحمر .

قالت : لا وإلهى ، ولكنها رَهْجُ[1] خيل العرب .

ثم قالت لخالد بن يزيد: إنى إنما كنت تبنَّيتُك لمثل هذا اليوم ، أنا مقتولة، فأوصيك بأخويك هذين خيراً .

فقال خالد : إنى أخاف ، إن كان ما تقولين حقًّا ألاّ يُسْتَبْقيا .

قالت : بلى ، ويكون أحدُهما عند العرب أعظمَ شأناً منه اليوم ، فانطلقْ ، فخذْ لهما أماناً .

فانطلق خالد ، فلقى حسان ، فأخبره خبرها ، وأخذ لابنيها أمانا .

وكان مع حسان جماعة من البربر من البُتْر ، فولّى عليهم حسانُ الأكبر من ابن الكاهنة وقرّبه ، ومضى حسان ومن معه ، فلقى الكاهنة فى أصل جبل ، فقتلت وعامّة من معها ، فسميت بئر الكاهنة[2] ، وكان مقتل الكاهنة[3] ..

قال ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال : ثم انصرف حسان ، فنزل موضع قيروان إفريقية اليوم ، وبنى مسجدَ جماعتها ، ودوّن الدواوين، ووضع الخراج على عجم إفريقية ، وعلى من أقام معهم على النّصرانية من البربر ، وعامّتهم من البرانس إلا قليلا من البُتْر ، وأقام حسان بموضعه حتى استقامت له البلاد ؛ ثم توجه إلى عبد الملك بغنائمه فى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين .

---

(١) الرهج : الغبار .

(٢) فى نسخة ســ زيادة : ثم انصرف حسان ، فنزل موضع قيروان إفريقية اليوم ، وكان مقتل الكاهنة . قال ، ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال ، وبنى مسجد جماعتها .. الخ

(٣) بياض فى الأصل لم يذكر تاريخ موت الكاهنة .

قال : وحدثنا ابن بُكير حدثنا الليث بن سعد قال : قفل حسان بن النعمان من إفريقية سنة ثمان وسبعين ، فلما مرّ حسان ببرقة أمّر على خراجها إبراهيم بن النصرانى ، ثم مضى ، فمر بعبدالعزيز بن مروان وهو بمصر ، ثم نفذ إلى عبدالملك ، فسُرّ عبد الملك بما أَوْرد عليه حسان من فتوحه وغنائمه ويقال : بل أخذ منه عبد العزيز كل ما كان معه من السَّبْى ، وكان قد قدم معه من وصائف البربر بشىء لم يُرَ مثلهُ جمالا ، فكان نُصَيْبٌ الشاعرُ يقول : حضرت السبْى الذى كان عبد العزيز أخذه من حسان مائتى جارية ، منها ما يقام بألف دينار .

مقتل زهير بن قيس

قال وأغارت الروم بعد حسان على أنطابلس ، فهرب ابن النصرانىّ وخلّى أهل أنطابلس وأهل ذمّتها فى أيدى الروم ، فرأَسُوها أربعين ليلة حتى أسرعوا فيها الفساد .

وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فأرسل إلى زهير بن قيس ، وكان خرج مع حسان ، فلما بلغ مصرَ أقام بها ، فأمره عبد العزيز بالنهوض إلى الروم ، ولم يجتمع لزهير من أصحابه إلا سبعون رجلا ، وكان عارضٌ من الصَّدِف يقال له جَنْدَل بن صَخْر ، وكان فظًّا غليظا

فقال زهير لعبد العزيز بن مروان : أمّا إذ قد أمرتنى بالخروج فلا تبعثنّ معى جندلا عارضا ، فيحبس علىّ الناس لشدّته وفظاظته ، وكان عبد العزيز عاتبا على زهير بن قيس لأنه كان قاتله حين وجّهه أبوه مروان بن الحكم من ناحية أيلة من قبل أن يدخل مصر .

فقال له : ما علمتك يا زهير إلا جِلْفًا جافيا .

فقال له : ما كنت أرى يا ابن لَيْلَى أن رجلا جمع ما أنزل الله على محمد

صلى الله عليه وسلم من قبل أن يجتمع أبواك جِلفٌ جافٌّ ، ماهو بالجِلفِ ولا الجافّ ، أنا منطلق فلا ردّنى الله إليك .

فخرج حتى إذا كان بَدَرْنَة[1] من طَبَرقة[2] من أرض أنطابلس لقى الروم، وهو فى سبعين رجلا ، فتوقّف لتَتَلحَق به الناس .

فقال له فتًى شاب كان معه : جَبُنْتَ يا زهير .

فقال. ما جبنتُ يا ابن أخى ، ولكن قتلتَنِى وقتلت نفسك .

فلقيهم ، فاستشهد زهير وأصحابه جميعاً ، فقبورهم هنالك معروفة إلى اليوم .

وكان مقتل زهير وأصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث فى سنة ست وسبعين .

قال؛ وكان بأَمْلَس من بَرّية انطابلس رجل من مَذْحِج، يقال له عطيّة بن يَرْبُوع، خرج بابن له هاربا من الوباء ، وكان فى تلك البرّية جماعة من المسلمين ، فاستغاثهم وركب فيمن حوله من الناس ، فاجتمع إليه سبعمائة رجل ، فزحف بهم إلى الروم ، فقاتلهم فهزمهم ، واعتصموا بسفنهم ، وهرب من بقى منهم .

وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان ، فبعث إليها غلاما، يقال له تَلِيد ، ووجّه معه ناساً من أشراف أهل مصر فضبطها .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : أُمِّر على أنطابلس حين قتل زهير طارقٌ ، فثقل على الناس إمامة تَلِيد بهم ، لأنه عبد، فبلغ ذلك عبدالعزيز ابن مروان . فأرسل إلى تليد بعتقه ، وأقام بأنطابلس .

---

(١) درنة : إحدى بلاد ليبيا ، وتقع على البحر الأبيض المتوسط شرقى بنغازى .

(٢) طبرقة : بلدة فى ساحل تونس على بعد ١٥ كيلومتراً من حدود الجزائر ، وقد ازدهرت على عهد روما وبيزنطية .

موسى بن نصير

وقدم حسان بن النعمان من قبل عبد الملك متوجهاً إلى المغرب ، فلما قدم مصر قال لعبد العزيز : اكتب إلى جدك بالإعراض عن انطابلس .

فقال له عبد العزيز : ما كنت لأفعل بعد إذ ضيّعتها فاستولت عليها الروم .

فقال حسان : إذن أرجع إلى أمير المؤمنين .

فقال عبد العزيز : إرجع .

فانصرف حسان راجعاً إلى عبد الملك ، وخلّف ثقله بمصر .

فقدم على عبد الملك ، وهو مريض .

ووجّه عبدالعزيز موسى بن نُصير إلى المغرب .

فأخبر حسان عبد الملك بذلك ؛ فخر عبد الملك ساجدا ، وقال : الحمد لله الذى أمكننى من موسى ، لشدة أسفه عليه .

وكان عاملا لعبد الملك على العراق مع بشر بن مروان ، فعتب عليه عبدالملك وأراد قتله ، فافتداه منه عبد العزيز بمال لما رأى من عقل موسى بن نصير ولبّه وكان عنده بمصر .

ثم لم يلبث حسان بن النعمان إلا يسيراً ، حتى توفى ؛ وقدم موسى بن نصير المغرب فى سنة ثمان وأربعين .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث قال : أُمّر موسى بن نصير على إفريقية سنة تسع وسبعين ؛ فعزل أبا صالح وافتتح عامة المغرب ، وواتر فتوحه ؛ وكتب بها إلى عبد العزيز بن مروان ؛ وبعث بغنائمه ؛ وأنهاها عبد العزيز إلى عبدالملك فسكّن ذلك من عبد الملك بعض ما كان يجد على موسى .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد أن موسى بن نصير حين غزا المغرب بعث ابنه مروان على جيش ، فأصاب من السبى مائة ألف ، و بعث ابن أخيه فى جيش آخر . فأصاب مائة ألف .

فقيل لليث بن سعد . من هم ؟ .

فقال : البربر .

فلما أتى كتابه بذلك قال الناس : ابن نصير والله أحمق ، من أين له عشرون ألفا يبعث بها إلى أمير المؤمنين فى الخمس ؟

فبلغ ذلك موسى بن نصير، فقال: ليبعثوا من يقبض لهم عشرين ألفا .

ثم توفى عبد الملك بن مروان ، وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست وثمانين . واستخلفت الوليد بن عبد الملك ، فتواترت فتوح المغرب على الوليد من قبل موسى بن نصير فعظمت منزلة موسى عنده ، واشتد عجبه به[1] .

ذكر
فتح الأندلس

قال : ووجه موسى بن نصير ابنه مروان بن موسى إلى طنجة مرابطاً على ساحلها ، فجُهِد هو وأصحابه ، فانصرف ، وخلّف علىَ جيشه طارق بن عمرو ، وكانوا ألفا وسبعمائة .

---

(١) فى نسخة ى زيادة : ثم فتح الله الأندلس على المسلمين على يد بسر بن أرطاة وموسى ابن نصير ، وغنموا غنائم كثيرة لم يبلغها حصر حتى كتب موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك حين فتح الأندلس أنه ليس بالفتح ، إنما هو الحشر ، ووجدوا فيها مائدة سليمان بن داود وتاجه ، وفتحت فيها كنوز كثيرة ، وغلت الناس غلولا كثيرة ، فلما رجعوا بالغنائم فى البحر سمعوا قائلا لا يرون شخصه : اللهم غرّق بهم ، فضجوا ، وتقلدوا بالمصاحف ، فهاجت الريح وضربت السفن بعضها بعضاً ، فغرقوا أجمعين إلا رجلين ، لم يكونا من الغلول فى شىء ، فسلما . (انظر صحيفة ١١٦) .

ويقال : بل كان مع طارق إثنا عشر ألفا من البربر إلا ستة عشر رجلا من العرب ، وليس ذلك بالصحيح .

ويقال : إن موسى بن نصير خرج من إفريقية غازيا إلى طَنْجة ، وهو أول من نزل طنجة من الولاة ، وبها من البربر بطون البُتْر والبَرانِس ممن لم يكن دخل في الطاعة.

فلما دنا من طنجة بث السرايا ، فانتهت خيله إلى السُوس الأَدْنَى ، فوطئهم وسباهم ، وأدّوا إليه الطاعة ، وولى عليهم واليا أحسن فيهم السير .

ووجّه بُسْر بن أبي أطارة إلى قلعة من مدينة القيروان على ثلاثة أيام ، فافتتحها ، وسبى الذُرّية وغنم الأموال . قال ، فسميت قلعة بُسْر ، فهى لا تعرف إلا به إلى اليوم .

ثم إن موسى عزل الذى كان استعمله على طنجة ، وولى طارق بن زياد ، ثم انصرف إلى القيروان ، وكان طارق قد خرج معه بجارية له ، يقال لها أم حكيم ، فأقام طارق هنالك مُرابطا زمانا ، وذلك فى سنة ثنتين وتسعين .

وكان المجاز الذى بينه وبين أهل الأندلس عليه رجل من العجم ، يقال له يَلْيَان صاحب سَبْتَه[1] ، وكان على مدينة على المجاز إلى الأندلس ، يقال لها الخضراء — والخضراء مما يلى طنجة — وكان يُلْيان يؤدى الطاعة إلى لُذْريق صاحب الأندلس ، وكان لذريق يسكن طُلَيْطِلَة[2] .

---

(١) سبتة : مدينة فى المغرب الأسبانى على مضيق جبل طارق ، وقد تجهز عندها طارق ابن زياد بالوسائل البحرية لقطع البرزخ فى سنة ٧١١ م ، وينسب إليها جماعة من أعيان أهل العلم ، منهم ابن مرانة السبتى أستاذ ابن العربى الفرضى .

(٢) طليطلة : مدينة فى أسبانيا قرب مدريد فتحها طارق بن زياد سنة ٧١٤ م ، واستردها إلى الأسبان ملك قشتالة سنة ١٠٨٥ م ، وبها آثار عربية فخمة .

فراسل طارق يُليانَ ولاطفه حتى تهاديا .

وكان يليان قد بعث بابنته إلى لُذْريق صاحب الأندلس، ليؤدّبها ويعلمها، فأحبلها ، فبلغ ذلك يليان ، فقال : لا أرى له عقوبة ولا مكافأة إلا أن أدخل عليه العرب .

فبعث إلى طارق : إنى مدخلك الأندلس ، وطارق يومئذ بتِلْمسين[1] ، وموسى بن نصير بالقيروان .

فقال طارق : فإنى لا أطمئن إليك حتى تبعث إلىّ برَهِينة .

فبعث إليه بابنتيه ، ولم يكن له ولد غيرهما ، فأقرهما طارق بتلمسين ، واستوثق منهما .

ثم خرج طارق إلى يليان، وهو بسَبْتَة على المجاز ، ففرح به حين قدم عليه ، وقال له : أنا مُدْخلك الأندلس .

وكان فيما بين المجازين جبل يقال له اليوم جبل طارق فيما بين سبتة والأندلس .

فلما أمسى جاءه يليان بالمراكب فحمله فيها إلى ذلك المجاز ، فأكْمَنَ فيه نهاره ؛ فلما أمسى ردّ المراكب إلى من بقى من أصحابه ، فحُملوا إليه حتى لم يبق منهم أحد ، ولا يشعر بهم أهل الأندلس ، ولا يظنون إلا أن المراكب تختلف بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم .

وكان طارق فى آخر فَوْج ركب ، فجاز إلى أصحابه ، وتخلّف يليان ومن كان معه من التجار بالخضراء ، ليكون أطيب لأنفس أصحابه وأهل بلده .

وبلغ خبر طارق ومن معه أهلَ الأندلس ومكانهم الذى هم به ، وتوجه

---

(١) تلمسين : مدينة فى الجزائر ، وصوابها تلمسان ، وهى مدينة قديمة اختطها ملوك المغرب الملثمون ، وإليها ينسب أبو الحسين خطاب بن أحمد التلمسانى الشاعر .

طارق ، فسلك بأصحابه على قنطرة من الجبل إلى قرية يقال قَرْطَاجنّة[1] ، وزحف يريد قُرْطُبة ، فمرّ بجزيرة فى البحر ، فخلّف بها جارية له ، يقال لها أم حُكيم ، ومعها نفر من جنده ، فتلك الجزيرة من يومئذ تسمى جزيرة أم حكيم.

وقد كان المسلمون حين نزلوا الجزيرة وجدوا بها كرّامين ، ولم يكن بها غيرهم ، فأخذوهم ، ثم عمدوا إلى رجل من الكرّامين فذبحوه ، ثم عضّوه وطبخوه ، ومن بقى من أصحابه ينظرون ، وقد كانوا طبخوا لحما فى قُدورٍ أُخَر . فلما أدركت طرحوا ما كانوا طبخوه من لحم ذلك الرجل ولا يُعْلَم بطرحهم له ، وأكلوا اللحم الذى كانوا طبخوه .

ومن بقى من الكرّامين ينظرون إليهم ، فلم يشكوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم ، ثم أرسلوا من بقى منهم ، فأخبروا أهـــل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس ، وأخبروهم بما صُنِع بالكرّام .

قال : وكان بالأندلس كما حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم وهشام بن اسحق بيتٌ عليه أقفال ، لا يلى ملك منهم إلا زاد عليه قُفْلاً من عنده ، حتى كان الملك الذى دخل عليه المسلمون ، فإنهم أرادوه أن يجعل عليه قُفْلاً كما كانت تصنع الملوك قبله ، فأبى ، وقال : ما كنتُ لأضع عليه شيئا حتى أعرف ما فيه .

فأمر بفتحه ، فإذا فيه صور العرب ، وفيه كتاب ، إذا فتح هذا الباب دخل هؤلاء القوم هذا البلد .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : فلما جاز تلقته جنود قُرْطبة واجترأوا عليه للذى رأوا من قلة أصحابه ، فاقتتلوا ، فاشتد قتالهم ، ثم انهزموا ، فلم يزل يقتلهم حتى بلغوا مدينة قُرْطُبة .

---

(١) قرطاجنة : مدينة بالأندلس ، وكانت تعرف بقرطاجنة الحلفاء ، وقد خربت من ماء البحر ، وكانت قد شيدت على مثال قرطاجنة إفريقية .

وبلغ ذلك لُذْريق ، فزحف إليهم من طُلَيْطلة ، فالتقوا بموضع يقال له شَذُونة[1] على وادٍ ، يقال له اليوم وادى أمّ حكيم ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل الله عز وجلّ لذريق ومن معه .

وكان مُغيث الرومىّ غلامُ الوليد بن عبد الملك على خيل طارق ، فزحف مغيث الرومىّ يريد قرطبة ، ومضى طارق إلى طليطلة ، فدخلها ، وسأل عن المائدة ، ولم يكن له همٌّ غيرها ، وهى مائدة سليمان بن داود التى يزعم أهلُ الكتاب .

قال : وحدثنا يحيى بن بكير ؛ حدثنا الليث بن سعد قال : فُتح لموسى بن نصير الأندلس ، فأُخِذ منها مائدةُ سليمان بن داود عليه السلام والتاجَ .

فقيل لطارق : إن المائدة بقلعة يقال لها فِراس ، مسيرة يومين من طليطلة ، وعلى القلعة ابن أخت للُذْريق . فبعث إليه طارق بأمانه وأمان أهل بيته ، فنزل إليه ، فأمّنه ووفى له .

فقال له طارق : إدفع إلىّ المائدة .

فدفعها إليه وفيها من الذهب والجوهر ما لم يُرَ مثله .

فقلع طارق رِجْلاً من أرجلها بما فيها من الذهب والجوهر ، وجعل لها رِجْلاً سواها ، فقوّمت المائدة بمائتى ألف دينار ، لما فيها من الجوهر ، وأخذ طارق ما كان عنده من الجوهر والسلاح والذهب والفضة والآنية ، وأصاب سوى ذلك من الأموال مالم يُرَ مثله ، فحوى ذلك كله .

ثم انصرف إلى قرطبة وأقام بها .

وكتب إلى موسى بن نصير يعلمه بفتح الأندلس ، وما أصاب من الغنائم ،

---

(١) شذونة : مدينة فى الجنوب الغربى لاسبانيا فى إقليم وادى يأش ، وكانت قاعدة ولاية إقليم إشبيلية أيام المسلمين ، وكانت حاميتها من عرب فلسطين .

فكتب موسى إلى الوليد بن عبد الملك يُعْلمه بذلك وتحلّه نفسه ، وكتب موسى إلى طارق ألا يجاوز قرطبة حتى يقدم عليه ، وشتمه شتماً قبيحاً .

ثم خرج موسى بن نصير إلى الأندلس فى رجب سنة ثلاث وتسعين بوجوه العرب والموالى وعُرفاء البربر حتى دخل الأندلس ، وكان مَغيظاً على طارق ، وخرج معه حبيب بن أبى عبيدة الفِهرىّ ، واستخلف على القيروان ابنه عبد الله ابن موسى ، وكان أَسَنّ ولده .

فأجاز من الخضراء، ثم مضى إلى قرطبة[1] ، فتلقّاه طارق، فترضاه ، وقال له : إنما أنا مولاك ، وهذا الفتح لك .

فجمع موسى من الأموال مالا يُقدر على صفته ، ودفع طارق ، كل ما كان غنم إليه .

قال : ويقال بل توجه لُذْريق إلى طارق ، ولُذريق يومئذ على سرير مُلكه ، والسرير بين بَغْلين يحملانه ، وعليه تاجُه وقُفّازه ، وجميع ما كانت الملوك قبله تلبسه من الحِلْية .

فخرج إليه طارق وأصحابه رجّالةً ، كلهم ليس فيهم راكب ، فاقتتلوا من حين بزغت الشمس إلى أن غربت ، وظنوا أنه الفناء ، فقتل الله لُذْريقَ ومن معه ، وفتح للمسلمين ، ولم يكن بالمغرب مقتلةٌ قط أكثر منها ، فلم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام ، ثم ارتحل الناس إلى قرطبة .

قال : ويقال إن موسى الذى وجّه طارقا بعد مدخله الأندلس إلى طُلَيطلة ، وهى النصف فيما بين قرطبة وأَرْبُونة ، وأربونة أقصى ثغر الأندلس .

---

(١) قرطبة : مدينة فى أسبانيا أسسها الفينيقيون ، واستعمرها الرومان ، ثم صارت عاصمة الخلفاء الأمويين فى الأندلس ، فازدهرت فى أيامهم ، وقد شيدوا فيها المبانى العظيمة.

وكان كتاب عمر بن عبد العزيز ينتهى إلى أربونة ، ثم غلب عليها أهل الشِرْك ، فهى فى أيديهم اليوم ، وأن طارقا إنما أصاب المائدة فيها .

وكان لُذريق يملك ألفى ميل من الساحل إلى ماوراء ذلك ، وأصاب الناس غنائم كثيرة من الذهب والفضة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال : إن كانت الطِنْفِسَة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب تنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزَبَرْجَد ، وكان البربر ربّما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفأس ، فيضرب وسطها ، فيأخذ أحدهما نصفها والآخر نصفها لأنفسهم ، وتسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال . لمّا فتحت الأندلس جاء إنسان إلى موسى بن نصير فقال : ابعثوا معى أدلّكم على كنز . فبعث معه؛ فقال لهم الرجل : انزعوا هاهنا . فنزعوا .

قال . فسال عليهم من الزَبَرْجَد والياقوت شىء لم يروا مثله قطّ ، فلما رأوه تهيّبوه ، وقالوا : لا يصدّقنا موسى بن نصير . فأرسلوا إليه حتى جاء ونظر إليه .

حدثنا عبد الملك ، حدثنا الليث بن سعد أن موسى بن نصير حين فتح الأندلس كتب إلى عبد الملك ، إنها ليست بالفتوح ولكنه الحشر .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال: لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم ، فغلّوا فيها غلولا[1] كثيراً ، حملوه فى المراكب وركبوا فيها ؛ فلما وسطوا البحر سمعوا مناديا يقول : اللهمّ غرّقْ بهم . فدعوا الله وتقلدوا المصاحف .

---

(١) الغلول : الخيانة فى المغنم .

قال : فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصفة ، وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسّرت وغُرِق بهم .

وأهل مصر ينكرون ذلك ويقولون : إن أهل الأندلس ليس هم الذين غُرِقوا، وإنما هم أهل سَرْدَانية .

وذلك أن أهل سردانية كما حدثنا سعيد بن عُفَير لما توجّه إليهم المسلمون عمدوا إلى ميناء لهم فى البحر، فسدّوه، وأخرجوا منه الماء ، ثم قذفوا فيه آنيتهم من الذهب والفضة ، ثم ردّوا عليه الماء بحاله، وعمدوا إلى كنيسة لهم ، فجعلوا لها سَقْفاً من دون سقفها ، وجعلوا ما كان لهم من مال بين السَقْفَيْن .

فنزل رجل من المسلمين يغتسل فى ذلك الموضع الذى سكّروه ، ثم أعادوا عليه الماء ، فوقعت رجله على شىء فأخرجه ، فإذا صَحْفَة من فضة ، ثم غاص أيضا فأخرج شيئا آخر .

فلما علم المسلمون بذلك حبسوا عنه الماء ، وأخذوا جميع تلك الآنية ، ودخل رجل من المسلمين ومعه قوس بُنْدُق إلى تلك الكنيسة التى رفعوا بين سَقْفَيْها مالهم ، فنظر إلى حَمام ، فرماه ببُنْدُقة ، فأخطأه ، وأصاب شبحة خشب ، فكسرها ، وانهال عليهم المال ، فغَلَّ المسلمون يومئذ غلولا كثيراً ، فإن كان الرجل ليأخذ الهرّ فيذبحها، ويرمى بما فى جوفها ، ثم يحشوه بما غَلَّ ، ثم يخيط عليه ويرمى بها إلى الطريق ليتوهّم من رآها أنها ميتة ، فإذا خرج أخذها ، وإن كان الرجل ينزع نَصْل سيفه فيطرحه ويملأ الجفن غُلولا ويضع قائم السيف على الجفن .

فلما ركبوا السفن وتوجهوا سمعوا مناديا ينادى ، اللهمّ غرق بهم ؛ فتقلدوا المصاحف فغرقوا جميعاً إلا عبد الرحمن الحُبُلى وحنش بن عبد الله السَبَأى فإنهما لم يكونا نَديا[1] من الغلول بشىء .

(١) فى نسخة ح أخذا .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة قال : سمعت أبا الأسود قال: سمعت عمرو بن أوس يقول ، بعثني موسى بن نصير أُفَتِّشُ أصحاب عَطاء بن رافع مولى هزيل حين انكسرت مراكبهم ، فكنت ربما وجدت الإنسان قد خبأ الدنانير فى خِرْقة فى شىء بين خِصْيَتَيْه ، قال : فمرّ بى إنسان مُتَّكِئاً على قَصَبة ، فذهبت أفتشه ، فنازعنى ، فغضبت ، فأخذت القصبة ، فضربته بها، فانكسرت ، وانتثرت الدنانير منها ، فأخذت أجمعها .

حدثنا عبد الملك حدثنا الليث بن سعد قال : بلغنى أن رجلا فى غزوة عطاء ابن رافع أو غيره بالمغرب غَلّ ، فتحمّل بها حتى جعلها فى زِفْت ، فكان يصيح عند الموت، من الزفت من الزفت .

قال . وأخذ موسى بن نصير طارق بن عمرو ، فشدَّه وَثَاقاً وحبسه ، وهمّ بقتله ، وكان مُغَيِّث الرومى غلاما للوليد بن عبد الملك ، فبعث إليه طارق ، إنك إن رفعت أمرى إلى الوليد، وأن فتح الأندلس كان على يدىّ ،وأن موسى حبسنى يريد قتلى ، أعطيتك مائة عبد ، وعاهده على ذلك .

فلما أراد معتب الانصراف ودّع موسى بن نصير ، وقال له : لا تعجل على طارق ولك أعداء ، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره ، وأخاف عليك وَجْدَه ، فانصرف معتب وموسى بالأندلس .

فلما قدم معتب على الوليد أخبره بالذى كان من فتح الأندلس على يدى طارق ، و بحبس موسى إياه، والذى أراد به من القتل، فكتب الوليد إلى موسى، يُقسم له بالله ، لئن ضربته لأَضربنّك ، ولئن قتلته لأقتلن ولدك به . ووجّه الكتاب مع معتب الرومى .

فقدم به على موسى الأندلس ، فلما قرأه أطلق طارقا وخلى سبيله ،ووفى طارق لمعتب بالمائة عبدٍ التى كان جعل له .

وخرج موسى بن نصير بغنائمه وبالجوهر والمائدة ، واستخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى ، وكانت إقامة موسى بالأندلس سنة ثلاث وتسعين ، وأربع وتسعين ، وأشهر من سنة خمس وتسعين .

فلما قدم موسى إفريقية كتب إليه الوليد بن عبد الملك بالخروج إليه ، فخرج واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى ، وسار بتلك الغنائم والهدايا حتى قدم مصر ، ومرض الوليد بن عبد الملك، فكان يكتب إلى موسى يستعجله ، ويكتب إليه سليمان بالمكث والمقام لموت الوليد ، ويصير ما مع موسى إليه .

وخرج موسى حتى إذا كان بطبرية أتته وفاة الوليد ، فقدم على سليمان بتلك الهدايا ، فسُر سليمان بذلك .

ويقال . إن موسى بن نصير حين قدم من الأندلس لم ينزل القيروان ، خلّفها ونزل قصر الماء ، وضحّى هنالك ، ثم شخص وشخص معه طارق .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : قفل موسى بن نصير وافدا إلى أمير المؤمنين فى سنة ست وتسعين ، ودخل الفسطاط يوم الخميس ست ليال بقين من شهر ربيع الأول .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال : فبينما سليمان يقلّب تلك الهدايا إذ انبعث رجل من أصحاب موسى بن نصير يقال له عيسى بن عبد الله الطويل من أهل المدينة . وكان على الغنائم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله أغناك بالحلال عن الحرام ؛ وإنى صاحب هذه المقاسم ؛ وأن موسى لم يُخْرِج خُمْسًا من جميع ما أتاك به .

فغضب سليمان وقام عن سريره ، فدخل منزله ، ثم خرج إلى الناس فقال : نعم ، قد أغنانى الله بالحلال عن الحرام ، وأمر بإدْخال ذلك بيت المال .

وقد كان سليمان قد أمر موسى بن نصير برفع حوائجه وحوائج من معه ، ثم الانصراف إلى المغرب .

قال : ويقال : بل قدم موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك ، والوليد مريض ، فأهدى إليه موسى المائدة ، فقال طارق ، أنا أصَبْتُها .

فكذّبه موسى .

فقال للوليد : فادع بالمائدة ، فانظر هل ذهب منها شيء .

فدعا بها الوليد ، فنظر ، فإذا بِرِجْل من أرجلها لا تشبه الرجل الأخرى .

فقال له طارق : سَلْه يا أمير المؤمنين ، فإن أخبرك بما تستدل به على صِدْقه فهو صادق .

فسأله الوليد عن الرِجْل .

فقال : هكذا أصبتُها .

فأخرج طارق الرجل التى كان أخذ منها حين أصابها ، فقال : يستدل أمير المؤمنين بها على صِدْق ما قلتُ له ، وأنى أصبتها .

فصدّقه الوليد ، وقبل قوله ، وأعظم جائزته .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : وكان عبد العزيز بن موسى بعد خروج أبيه قد تزوّج أمرأة نصرانية، بنت ملك من أهل الأندلس ، يقال إنها ابنة لُذْريق . ملك الأندلس الذى قتله طارق ، فجاءته من الدنيا بشيء كثير لا يوصف .

فلما دخلت عليه قالت : مالى لا أرى أهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدون لك كما كان أهل مملكة ابى يعظمونه و يسجدون له ؟

فلم يدر ما يقول لها ، فأمر بباب ، فنُقِب له فى ناحية قصره ، وجعله قصيراً ، وكان يأذن للناس ، فيدخل الداخل إليه من الباب حين يدخل مُنَكِّسًا رأسه لقصر الباب ، وهى فى موضع تنظر إلى الناس منه .

فلما رأت ذلك قالت لعبد العزيز : الآن قَوِى ملكك .

وبلغ الناس أنه إنما نقب الباب لهذا .

وزعم بعض الناس أنها نصَّرته ، فثار به حبيب بن أبي عبيدة الفِهْريّ وزياد ابن النابغه التميمي، وأصحاب لهم من قبائل العرب ، واجتمعوا على قتل عبد العزيز الذي بلغهم من أمره ، وأتوا إلى مؤذنه فقالوا : أَذِّنْ بلَيْلٍ لكي نخرج إلى الصلاة .

فأذن المؤذن ، ثم ردّد التثويب ، فخرج عبد العزيز ، فقال لمؤذّنه : لقد عجلْت وأذّنت بليل .

ثم توجّه إلى المسجد وقد اجتمع له أولئك النفر وغيرهم ممن حضر الصلاة ، فتقدم عبد العزيز، وافتتح يقرأ . «إذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ » ، فوضع حبيب السيف على رأس عبد العزيز ، فانصرف هاربا حتى دخل داره ، فدخل جنانا له ، واختبأ فيه تحت شجرة ، وهرب حبيب بن أبي عبيدة وأصحابه ، واتبعه زياد بن النابغة ، فدخل على أثره ، فوجده تحت الشجرة ، فقال له عبد العزيز : يا ابن النابغة ، نَجِّنِي ولك ما سألت .

فقال : لا تذوق الحياة بعدها .

فأَجْهز عليه ، واحتزّ رأسه .

وبلغ ذلك حبيبا وأصحابه ، فرجعوا .

ثم خرجوا برأس عبد العزيز إلى سليمان بن عبد الملك، وأمّروا على الأندلس أيوب ابن أخت موسى بن نصير ، ومرّوا على القيروان وعليها عبد الله بن موسى ابن نصير ، فلم يعرض لهم ، وساروا حتى قدموا على سليمان برأس عبد العزيز بن موسى ، فوضعوه بين يديه ، وحضر موسى بن نصير ، فقال له سليمان :

أتعرف هذا ؟

قال : نعم أعرفه صوّاماً قوّاماً ، فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيراً منه .

وكان قتل عبد العزيز بن موسى كما حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير عن الليث بن سعد فى سنة سبع وتسعين .

قال : وكان سليمان عاتبا على موسى بن نصير، فدفعه إلى حبيب بن أبى عبيدة وأصحابه ليخرجوا به إلى إفريقية ، فاستغاث بأيوب بن سليمان فأجاره ، وشفع له إلى أبيه .

ويقال : إن سليمان أخذ موسى بن نصير ، فغرم له مائة ألف دينار ، وألزمه ذلك ، وأخذ ما كان له ، فاستجار بيزيد بن المهلّب ، فاستوهبه من سليمان ، فوهبه له وماله ، وردّ ذلك عليه ولم يلزمه شيئا .

ومكث أهل الأندلس بعد ذلك سنين لا يجمعهم وال .

وعزم سليمان على الحجّ، فأخرج موسى بن نصير على نصب جحره، فخرج حتى إذا كان بالمرّ[1] توفى ، وكانت وفاته فى سنة سبع وتسعين فيما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد .

ثم ولى إفريقية محمد بن يزيد القرشى ، ولاّه سليمان بن عبد الملك بمشورة رجاء بن حَيْوة ، وصرف عبد الله بن موسى سنة ست وتسعين .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث قال : أُمِّر محمد بن يزيد على إفريقية سنة سبع وتسعين ، فلم يزل محمد بن يزيد واليا حتى توفى سليمان بن عبدالملك ، وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين ، فعُزِل ؛ ووَلِى مكانه اسماعيلُ بن عبيد الله فى المحرّم سنة مائة على حربها وخراجها وصدقاتها ، وكان حسن السيرة ، ولم يبق فى ولايته يومئذ من البربر أحد إلا أسلم ، فلم يزل واليا عليها حتى توفى عمر بن عبد العزيز؛

---

(١) المَرّ : بطن من بطون إضم ، والمراد مكان نزولهم .

وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، فعزل وولى مكانه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجّاج ، ولّاه يزيد بن عبد الملك فى سنة إحدى ومائة .

وعبد الله بن موسى بن نصير يومئذ بالمشرق ، فقدم مع يزيد بن أبى مسلم إلى إفريقية حتى إذا كان قريباً منها تلقاه الناس ، فلما دخل القيروان عزم يزيد بن أبى مسلم على عبد الله بن موسى بن نصير أن ينصرف إلى منزله ، فمضى عبد الله إلى داره ، وأمر يزيد الناس باتباعه حتى ظنوا أنه شريك معه .

فلما أدبر عبد الله ألحقه يزيد رسولاً ، بأن أعد من مالك عطـــاء الجند خمس سنين .

ثم إن يزيد بن أبى مسلم أخذ موالى موسى بن نصير من البربر ، فوشم أيديهم وجعلهم أخماسا ، وأحصى أموالهم وأولادهم ، ثم جعلهم حَرَسَه وبطانته ، وأخذ محمد بن يزيد القرشى ، فعذّبه وجَلَده جلدا وجيعاً ، فاستسقاه ، فسقاه رَماداً .

وكان محمد بن يزيد قد ولى عذاب يزيد بن أبى مسلم بالمشرق فى زمان الحجاج ، فقال له يزيد : إذا أصبحتُ عذّبتك حتى تموت أو أموت قبلك .

وكان قد بنى له فى السجن بيتاً ضيقاً ، فجعله فيه ، وكساه جُبّة صوف غليظة ، وطبع عليها بخاتم من رصاص .

فلما تعشّى يزيد بن أبى مسلم أُتى فى آخر طعامه بعنب ، فتناول منه عنقوداً ، وأهوى إليه رجل من حرسه — يقال له حَرِيز — بالسيف ، فضرب به حتى قتله ، وأخذ رأسه ، ورمى بها المسجد عَتَمَةً .

فأقبل غلام لمحمد بن يزيد ، فدخل عليه السجن ، فقال : أَبْشِر فإن يزيدَ قد قتل .

فقال له محمد : قد كذبت . وظن أنه دُسَّ إليه .

ثم أتبعه آخر من غلمانه ، ثم آخر ، حتى توافوا سبعة .

فلما تيقّن محمد بموت يزيد أعتق العبيدَ .

قال : ويقال ، بل كان حرس يزيد بن أبى مسلم حين قدم البربر ليس فيهم إلا بُتْرِىٌّ، وكانوا هم حرس الولاة قبله. البُتْر[1] خاصة، ليس فيهم من البرانس أحد.

فخطب يزيد بن أبى مسلم الناس فقال : إنى إن أصبحت صالحا وشمْتُ حرسى فى أيديهم كما تصنع الروم ، فأَشِم فى يد الرجل اليُمْنى اسمه ، وفى اليسرى حرسىّ ، فيعرفون بذلك من غيرهم .

فأنفوا من ذلك، ودبّ بعضهم إلى بعض فى قتله، وخرج من ليلته إلى المسجد لصلاة المغرب ، فقتلوه فى مُصَلّاه ، وكان قتله كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد فى سنة ثنتين ومائة .

فلما قتل يزيد بن أبى مسلم اجتمع الناس ، فنظروا فى رجل يقوم بأمرهم إلى أن يأتى رأىُ يزيد بن عبد الملك ، فتراضوا بالمغيرة بن أبى بُرْدة القرشىّ ، ثم أحد بنى عبد الدار .

فقال له عبد الله ابنه : أيها الشيخ، إن هذا الرجل قُتل بحضرتك، فإن قمْتَ بهذا الأمر بعده لم آمن عليك أن يُلزِمك أميرُ المؤمنين قتله .

فقبل ذلك الشيخُ .

فاجتمع رأى أهل إفريقية على محمد بن أوس الأنصارى ، وكان بتونس على غزو بحرها ، فأرسلوا إليه، فولّوه أمرهم.

وكتب إلى يزيد يخبره بما كان ، فبعث فى ذلك خالد بن أبى عمران ، وهو من أهل تونس ، فقدم على يزيد ، فقبل منهم ، وعفا عما كان من زَلّتهم .

---

(١) فرقة من طائفة الزيدية .

قال خالد بن أبي عمران . ودعاني يزيد خالياً فقال : أى رجل محمد بن أوس؟

فقلت : رجل من أهل الدين والفضل ، معروف بالفقه .

قال : فما كان بها قرشي ؟

قلت : بلى ، المغيرة بن أبي بردة .

قال : قد عرفته ، فما له لم يَقُم ؟

قلت : أبى ذلك ، وأحبَّ العزلة .

فسكت .

واتهم الناس عبدالله بن موسى بن نصير أن يكون هو الذى عمل فى قتل يزيد ابن أبى مسلم ، فولّى يزيد بن عبد الملك بِشْرَ بن صفوان الكلبيّ إفريقية ، وذلك فى سنة ثنتين ومائة ، وكان عامله على مصر .

فخرج إلى إفريقية ، واستخلف على مصر أخاه حنظلة ؛ فلما دخل إفريقية بلغه أن عبد الله بن موسى هو الذى دسّ لقتل يزيد بن أبى مسلم ، وشهد على ذلك خالد بن أبى حبيب القرشى وغيره .

فكتب بشر إلى يزيد بن عبد الملك ، فكتب يزيد إلى بشر بن أبى صفوان يأمره بقتل عبد الله بن موسى بن نصير .

وهَمّ بشر بتأخيره أياما ، فقال خالد بن أبى حبيب ومحمد بن أبى صَفوان: عجّل بقتله من قبل أن تأتيه عافيتُه من أمير المؤمنين .

وكانت أم عبد الله ابنة موسى بن نصير تحت الربيع ، صاحب خاتم يزيد ، فكلّم يزيد ، فأمر بعافيته ، وجعلت أخته للرسول ثلاثة آلاف دينار إن هو أدركه .

وأمر بشر بقتل عبد الله بن موسى ، فقتل ، وقدم الرسول بعافيته بعد أن قتله فى ذلك اليوم ، و بعث برأسه مع سليمان بن وَعْلة التميمى إلى يزيد ، فنصبه .

ثم وفد بشر بن أبى صفوان إلى يزيد بهدايا كان أعدّها له ؛ حتى إذا كان ببعض الطريق لقيته وفاة يزيد ؛ وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث ابن سعد ليلة الجمعة لأربع ليال بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقدم بشر بتلك الهدايا على هشام بن عبد الملك ، فردّه على إفريقية ، فقدمها ، وتتبّع أموال موسى بن نصير ، وعذّب عمّاله ، وولّى على الأندلس عَنْبَسة بن سُحَيْم الكلبىّ ، وعزل عنها الحرّ بن عبد الرحمن القيسىّ ، وقد كان بشر غزا البحر من إفريقية ، فأصابهم الهول ، فهلك لذلك من جيشه خلق كثير ، ثم توفى بشر بن صفوان من مرض يقال له الدُّبَيْلة[1] فى شوال سنة تسع ومائة .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : نُزِع بشر بن أبى صفوان عن إفريقية فى سنة خمس ومائة ، ورُدّ إليها فى سنة ست ومائة ، ومات فى سنة تسع ومائة .

واستخلف بشر بن صفوان حين توفى على إفريقية نُغَاش بن قُرْط الكلبى فعزله هشام ، وولّى عبيدة بن عبد الرحمن القيسى على إفريقية فى صفر سنة عشر ومائة .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : وولّى عُبَيدة بن عبد الرحمن إفريقية فى المحرّم سنة عشر ومائة . ؛ فلما قدم عبيدة إفريقية وجّه المُسْتَنير بن الحَبْحاب الحارشىّ غازيا إلى صقلية ، فأصابتهم ريح ، فغرقتهم ، ووقع المركب الذى كان فيه المستنير إلى ساحل أطرابُلُس .

فكتب عبيدة بن عبد الرحمن إلى عامله على أطرابلس يزيد بن مسلم الكندى يأمره أن يشده وثاقا ، ويبعث معه ثقة ، فبعث به وثاقا ، فلما قدم على عبيدة جلده

(١) جاء فى لسان العرب أن الدبيلة خراج ودمّل كبير يظهر فى الجوف ، فيقتل صاحبه .

جلداً وجيعاً ، وطاف به القيروان على أتانٍ ، ثم جعل يضرب به فى كل جمعة مرة حتى أبلغ إليه .

وذلك أن المستنير أقام بأرض الروم حتى نزل عليه الشتاء ، واشتدت أمواج البحر وعواصفه ، فلم يزل محبوساً عنده .

وكان عبيدة قد ولّى عبد الرحمن بن عبد الله العَكىّ على الأندلس ، وكان رجلا صالحاً ، فغزا عبد الرحمن إفْرَنْجَة ، وهم أقاصى عدوّ الأندلس ، فغنم غنائم كثيرة وظفر بهم ، وكان فيما أصاب رِجْلٌ من ذهب مفصَّصَة بالدرّ و الياقوت والزَبَرْجَد ، فأمر بها فكسرت ، ثم أخرج الخمس ، وقسم سائر ذلك فى المسلمين الذين كانوا معه .

فبلغ ذلك عبيدة ، فغضب غضبا شديدا ، فكَتَبَ إليه كتاباً يتواعده فيه . فكتب إليه عبد الرحمن : إن السموات والأرض لو كانت رَتْقًا لجعل الرحمن للمتّقين منها مخرجاً .

ثم خرج إليهم غازياً ، فاستشهد وعامّة أصحابه ؛ وكان قتله فيما حدثنا يحيى عن الليث فى سنة خمس عشرة ومائة .

فولّى عبيدةُ على الأندلس بعده عبدَ الملك بن قَطَن ، ثم خرج عبيدة إلى هشام بن عبد الملك ، وخرج معه بهدايا ، وذلك فى شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : كان قدوم عبيدة بن عبد الرحمن من إفريقية سنة خمس عشرة ومائة ، وفيها أُمّر ابن قَطَن على الأندلس ، وكان فيما خرج به من العبيد والإماء ومن الجوار المتخيّرة سبعمائة جارية ، وغير ذلك من الخِصْيان والخيل والدواب والذهب والفضة والآنية .

واستخلف على إفريقية حين خرج عقبة بن قطامة التُّجيبيّ ، فقدم على هشام بهداياه ، واستعفاه فأعفاه ، وكتب إلى عبيد الله بن الحَبْحاب ، وهو عامله على مصر يأمره بالمسير إلى إفريقية ، وولاّه إياها ، وذلك فى شهر ربيع الآخر من سنة ست عشر ومائة ؛ فقدم عبد الله بن الحبحاب إفريقية ، فأخرج المستنير من السجن ، وولاّه تونس ، واستعمل ابنه إسماعيل بن عبيد الله على السُّوس ، واستخلف ابنه القاسم بن عبيد الله على مصر ، واستعمل على الأندلس عقبة بن الحجّاج وعزل عبد الملك بن قطن .

ويقال : بل كان الوالى على الأندلس يومئذ عَنْبسة بن سُحَيم الكلبى ، فعزله ابن الحبحاب وولّى عقبة بن الحجاج ، فهلك عقبة بن الحجاج بالأندلس ، فردّ عبيد الله عليها عبدَ الملك بن قطن .

وغزّى عبيدُ الله حبيبَ بن أبى عبيدة الفهرىّ السُّوسَ وأرض السودان ، فظفر بهم ظفراً لم ير مثله ، وأصاب ما شاء من ذهب ، وكان فيما أصاب جارية أو جاريتان من جنس تسميه البربر إجّان ، ليس لكل واحدة منهن إلا ثدىٌ واحد[1] ، ثم غزّاه أيضاً البحر ، ثم انصرف .

وانتقضت البربر على عبيد الله بن الحبحاب بطنجة ، فقتلوا عامله عمر بن عبد الله المُرادىّ ، وكان الذى تولى ذلك مَيْسُرة الفقير البربرىّ ثم المِدْغرىّ ، وهو الذى قام بأمر البربر ، وادّعى الخلافة، وتسمى بها ، وبويع عليها ، ثم استعمل ميسرةُ على طنجة عبد الأعلى بن جريج الأفريقى ، وكان أصله روميًّا ، وهو مولًى لا بن نصير ، ثم سار إلى السُّوس وعليها اسماعيل بن عبيد الله فقتله ، وذلك أول فتنة البربر بأرض إفريقية .

فوجّه عبيدالله بن الحبحاب خالد بن أبى حبيب الفهرىّ إلى البربر بطنجة ، ومعه

(١) رواية غريبة .

وجوه أهل إفريقية من قريش والأنصار وغيرهم ، فقُتِل خالد وأصحابه ، لم ينج منهم أحد ، فسميت تلك الغزوة غزوة الأشراف .

ويقال إن خالداً لقى ميسرة دون طنجة ، فقتل ومن معه ، ثم انصرف ميسرة إلى طنجة ، فأنكرت عليه البربر سِيرَته وتغيُّره عما كانوا بايعوه عليه ، فقتلوه ، وولّوا أمرهم عبدَ الملك بن قطن المُحارِبيّ .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : كان بين مَيْسرة الفقير وأهل إفريقية[1] . . . وقتل إسماعيل بن عبيد الله وخالد بن أبى حبيب فى سنة ثلاث وعشرين ومائة ، فوجه إليهم ابن الحبحاب حبيب بن أبى عبيدة ، فلما بلغ تِلْمِسين أخذ موسى بن أبى خالد مولى لمعاوية بن حُدَيج ، وكان على تلمسين ؛ وقد اجتمع إليه من تمسك بالطاعة ، فاتّهمه حبيب أن يكون له هوًى ، أو قد دُس للفتنة ، فقطع يده ورجله ، وكان مقيما بتلمسين فى جيشه ، وقفل عبيد الله بن الحبحاب إلى هشام بن عبد الملك ، وذلك فى جمادى الأولى من سنة ثلاث وعشرين ومائة .

ثم وجّه هشام على إفريقية كلثوم بن عياض القيسى فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقدّم بَلْجَ بن بشر أمَامَه ، فلما قدم كلثوم إفريقية أمر أهل إفريقية بالجَهَاز والخروج معه إلى البربر ، وقطع على أهل أطرابلس بَعْثاً ، فخرج فى عدد كثير ، واستخلف على القيروان عَبد الرحمن بن عُقبة الغفارى ، وعلى الحرب مسلمة بن سوادة القرشى ، فثار عليه بعد خروج كلثوم ، يريد بَرْبر طنجة ، عُكاشة ابن أيوب الفزارىّ من ناحية قابِس ، وهو صُفْرِىّ[2] ، وأرسل أخا له ، فقدم سَبْرَت ، فجمع بها زَنَاتَة ، وحصر أهل سوق سَبْرَت فى مسجدهم ، وعليهم حبيب بن ميمون .

وبلغ الخبر صفوان بن أبى مالك وهو أمير على أطرابلس ، فخرج بهم ، فوقع على أخى الفزارى وهو محاصر أهل سَبْرَت ، فقاتلهم ، فانهزم الفزارى ، وقتل أصحابه من زَنَاتة وغيرهم ، وهرب إلى أخيه بقَابِس .

(١) بياض فى الأصل قدر كلمتين .

(٢) الصفرية : قوم من الحرورية ، ينسبون إلى زياد بن الأصفر ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو إلى خلوهم من الدين.

وخرج مسلمة بن سوادة فى أهل القيروان إلى عُكّاشة بن أيوب بقابس ، فقاتلهم ، فانهزم مسلمة ، وقتل عامة من خرج معه ، ولحق بالقيروان ، وتحصن عامّة من كان مع مسلمة من أهل القيروان ، وعليهم سعيد بن بَجْرَة الغسّانى .

ويقال إن كلثوم بن عياض حين قدم من عند هشام خلّف القيروان، ولم ينزل به ولم يدخله ، ونزل سَبِيبه ، وهى من مدينة القيروان على يوم ، فأفطر فيها، وكتب إلى حبيب بن أبى عبيدة ألاّ يفارق عسكره حتى يقدم عليه ، ثم شخص كلثوم غازيا حتى قدم على حبيب، ثم رحلا جميعا بمن معهما إلى طَنْجة، وكان كلثوم حين خرج إلى البربر قدّم بَلْج بن بشر القيسى على مقدّمته فى الخيل .

فلما قدم على حبيب رفضه وأهان منزلته ، ثم قدم كلثوم فتلقّاه حبيب ، فتهاون به أيضاً، ثم خطب كلثوم الناس على دَيْدَبان له[1] ، فطعن فى حبيب وشتمه وأهل بيته ؛ وكان عبد الرحمن بن حبيب مع أبيه حبيب ، ثم نفذ كلثوم وحبيب ، فلما انتهى إلى مطلوبه من أرض طنجة تلقته البربر بجموعهم ، وعليهم خالد بن حميد الزَّناتى ثم الهتورىّ ، عراة متجردين ، ليس عليهم إلا السراويلات، وكانوا صُفْرِيّة ، وجاءوا جَرِدين فأشار حبيب بن أبى عبيدة على كلثوم أن يقاتلهم ، الرجالة بالرجالة ، والخيل بالخيل .

فقال له كلثوم : ما أغنانا عن رأيك يا ابن أم حبيب .

فوجّه بَلْج بن بشر على الخيل ليدوسهم بها ، وكانت الخيل أوثق فى نفس كلثوم من الرجالة ، وأن بَلْجًا أسرى ليلة حتى واقعهم عند الصبح، واستقبلوه عراة متجردين ، فحملت عليهم الخيل ، فصاحوا وولّوا ورموا بالأَوْضاف[2] ، فانهزم بَلْج جريحاً، وتساقطت الخيول على كلثوم ، وقد تأهّب وعبّى أصحابه ، فأرسل إلى

---

(١) هو البرج المتنقل ، واللفظ فارسى .

(٢) المراد الخيل الراكضة ، ووضف البعير أسرع ، وأوضفته أوجفته فى الركض .

حبيب بن أبي عبيدة فقال : إن أمير المؤمنين أمرنى أن أوَلّيك القتال ، وأعْقِدَ لك على الناس .

فقال حبيب : قد فات الأمر .

وزحفت رجّاله البربر على إثر الخيل حتى خالطوا كلثوما وأصحابه ، فأقسم حبيب على ابنه عبد الرحمن ألا ينزل راجلا ، وأن يلزم بَلْجًا فيكون معه أسَفًا على بَلْج ، فإنه مقتول .

وهلك كلثوم وحبيب ومن معهما ، وانهزم الناس إلى إفريقية ، وكان قتل كلثوم فى سنة ثلاث وعشرين ومائة .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : قُتِل كلثوم فى سنة أربع وعشرين ومائة ، قتلهم مَيْسرة ، وانهزم بلج بن بشر وثعلبة الجذامى ، وبقية من أهل الشام إلى الأندلس ، فاتّبعهم أبو يوسف الهُوّارى ، وكان طاغية من طواغى البربر ، فأدركهم ، فقاتلهم ، فقُتل أبو يوسف ، وانهزم أصحابه ، ومضى بلج وثعلبة إلى الأندلس .

وكان كلثوم قد كتب إلى أهل الأندلس وعليها عبد الملك بن قَطَن الفهرى ، يأمرهم بإمداده والخروج إليه ، فوافاهم بَلْج وقد وقعوا إلى مجاز الخضراء ؛ وتقدم عبد الرحمن بن حبيب أمام بَلج إلى الأندلس ، فقدمها ، وأمر عبد الملك بن قطن ألا يسمع لبَلْج ولا يطيعه .

ثم قدم بَلْج فأقام بالجزيرة ، وكتب إلى عبد الملك بن قطن يعلمه أنه خليفة كلثوم ، وشهد له بذلك ثعلبة الجذامى وأصحابه ؛ وكان الرسول فيما بينهما قاضى الأندلس .

فسلّم عبد الملك بن قطَن الولايةَ لبَلْج على كرهٍ من عبد الرحمن بن حبيب ، فخرج عبد الرحمن من قرطبة كارها لولاية بلج .

ثم إن بَلْجًا لما قدم قرطبة حبس عبد الملك بن قطن فى السجن ، وثار عبد الرحمن بن حبيب ومعه أميّة بن عبد الملك بن قطن ، فجمعا لقتال بَلْج .

فأخرج بَلْج عبد الملك بن قطن من السجن وقال له : قُمْ فى المسجد فأخبر الناس أن كلثوما كتب إليك أنى خليفته .

فقام عبد الملك فقال : أيها الناس، إنى والى كلثوم ، وإنى محبوس بغير حق. فضرب بَلْج عنقه .

ثم قدم عبد الرحمن بن حبيب بجموع ، فخرج إليه بلج ومن معه من أهل الشام ، وكان بينهم نهر ،فلما كان الليل عبر عبد الرحمن إلى قُرْطبة،وخليفة بَلْج بها القاضى . وقد كان القاضى اتُّهم بدم عبد الملك بن قطن .

فأخذه عبد الرحمن بن حبيب فسمَل عينيه، وقطع يديه ورجليه،وضرب عنقه، وصلبه على شجرة ، وجعل على جثّته رأس خنزير ، و بَلْج لا يشعر .

ثم خرج من قرطبة ، فقاتله بَلْج ، فانهزم عبد الرحمن بن حبيب ، ثم جمع جمعا آخر، فقتل بَلْج ومن معه . و يقال إن بَلْجًا لم يقتل ، إنما مات موتا.

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال :مات بَلْج فى سنة خمس وعشرين ومائة بعد قتلة ابن قطن بشهر .

ثم افترق أهل الأندلس على أربعة أمراء حتى أرسل اليهم حنظلة بن صفوان الـكلبى بأبى الخطّار الـكلبى ، فجمعهم ، وسأذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله .

وقد كان كلثوم بن عياض كتب إلى عامله على أطرابلس ، صفوان بن أبى مالك يستمدّه ، فخرج إليه بأهل أطرابلس حتى قدم قابس[1] ، فانتهى إليه خبر كلثوم ومن معه ، فانصرف .

---

(١) قابس : مدينة فى تونس ، تجاورها الواحات المخصبة العامرة ، وقد أسس الفينيقيون فى موضعها مدينة فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وقد كان خرج إليه سعيد بن بَجْرة ومن تحصّن معه من أصحاب مسلمة بن سَوادة الجذامى ، وتنحّى الفَزارىّ إلى نهر يقال له الجمّة على اثنى عشر ميلاً من قابس ؛ فلما رجع صفوان بن أبى مالك تحصن سعيد بن بَجْرة وأصحابه بقابس .

وخرج عبدالرحمن بن عُقْبة الغِفَارىّ فى أهل القيروان إلى الفزارى ، فلقيه فيما بين قابس و بين القيروان ، فانهزم الفزارى ، وقتل عامة أصحابه .

ثم وجه هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان فى صفر سنة أربع وعشرين ومائة ، وكان عامله على مصر ، فلما قدم إفريقية كتب إليه أهل الأندلس وأهل الشام وغيرهم ، يسألونه أن يبعث إليهم واليا ، فبعث أبا الخطّار .

فلما قدمها أدّوا إليه الطاعة ، فوليها ، ودانت له ، وفرق جمع بَلْج بن بشر وعبد الرحمن بن حبيب ، وأخرج ثعلبة بن سلامة فى سفينة إلى إفريقية ، ثم أخرج بعده عبد الرحمن بن حبيب ، وأخرج مع ثعلبة أهل الشام ، فكانوا بالقيروان مع حَنْظَلة .

ثم إن حنظلة بن صفوان أخرج عبد الرحمن بن عقبة الغفارىّ إلى عكّاشة ابن أيوب الفِزارى ، وقد جمع جمعا بعد انهزامه من قابس ، فلقيه بمن معه ، فانهزم الفزارىّ ، وقُتل عامّة أصحابه .

ثم جمع أيضاً ، فلقيه عبد الرحمن بن عقبة ، فهزمه ، ثم جمع جمعاً آخر ، وقدم عبدالواحد بن يزيد الهوارى ثم المَدْهَمِىّ ، وكان صُفْرِيًّا مجامعاً للفزارى على قتال حنظلة بن صفوان ، فخرج إليها عبد الرحمن بن عقبة فى أهل إفريقية ، فقتل عبدالرحمن بن عقبة وأصحابه .

وكان مقتل عبد الرحمن بن عقبة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد فى سنة أربع وعشرين ومائة .

ثم مضى عبد الواحد بن يزيد فأخذ تونس واستولى عليها ، وسُلِّم عليه

بالخلافة ، ثم تقدم إلى القيروان ، وانتبذ الفزارىّ بعسكره ناحية ، وكلاهما يريد القيروان ، يتبادران إليها ، أيهما يسبق صاحبه فيغنم .

فلما رأى حنظلة ماغشيهم من جموع البربر مع الفزارى وعبد الرحمن احتفر على القيروان خندقا ، وزحف إليهم عبدالواحد ، وكتب إلى حنظلة ، يأمره أن يُخَلّى له القيروان ومن فيه ، فأسقط فى أيديهم وظنوا أنهم سيُسْبَوْن ، حتى إن كان حنظلة ليَبْعث إلى الرسول منهم ليأتيه بالخبر فما يخرج إلى مسيرة ثلاثة أميال إلا بخمسين دينارا .

فلما غشيه عبد الواحد ، وكان القيروان على شبيه بمرحلة ، بمكان يقال له الأصنام ، ونزل الفزارى من القيروان على ستة أميال ، وكان مع عبد الواحد أبو قُرّة العقيلى ، وكان على مقدمته ، فكتب حنظلة إلى الفزارى كتابا يرغّبه فيه ، ويُمَنّيه رجاء ألا يجتمعا عليه ، فلا يقوى عليهما ، وخاف اجتماعهما ، وكان عكاشة أقرب إلى حنظلة .

فصبّح عبد الواحد الأصنام بجموعه ، وزحف حنظلة إلى الفزارى لقربه منه ، وخرج معهم بأهل القيروان ، فخرج قوم آيسون من الحياة للذى كانوا يتخوفونه من سبى الذرارى وذهاب النساء والأموال ، وجعل عليهم محمد بن عمرو بن عقبة ، فلقيهم بالأصنام ، فهزم الله عبد الواحد وجَمْعه ، وقتل ومن معه قتلا ما يُدْرى ماهو ، وهرب من هرب منهم .

فلما فتح لحنظلة عاجَلَ عكّاشةُ الفزارىّ من ليلته ، فقاتله بالقَرْن ، ولم يكن بلغ عكاشة هزيمة عبد الواحد ، فهزمه الله ومن معه من أصحابه ، وهرب عكاشة حتى انتهى إلى بعض نواحى إفريقية ، فأخذه قوم من البربر أسيراً حتى أتوا به إلى حنظلة ، فقتله .

وكان عبدالواحد ومن معه صُفْرِيّة ، يستحلّون سبى النساء ؛ وكان قتل عكاشة وعبد الواحد كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث سنة خمس وعشرين ومائة .

وقد كان حنظلة عند ما كان من حلول عبد الواحد بالأصنام ، وعكاشة بالقَرْن، وقُرْبا من القيروان كتب إلى معاوية بن صفوان عامله على أطرابلس ، يأمره بالخروج إليه بأهل أطرابلس ، فخرج حتى انتهى إلى قابس ، فبلغه ما كان من هزيمة عبدالواحد وعكاشة ، فكتب إليه حنظلة ، في بربر خرجوا بنِفْزَاوة[1] ، وسبوا أهل ذمتها ، أن امض إليهم .

فسار إليه بمن معه ، فقاتلهم ، فقتل معاوية بن صفوان ، وقتل الصُفرّية ، واستُنْقِذ ما كانوا أصابوا من أهل الذمة ، فبعث حنظلة إلى جيش معاوية ذلك زيدَ بنَ عمرو الكلبيّ ، فانصرف بهم إلى أطرابلس .

وكان عبد الرحمن بن حبيب بتونس ، وكان ثعلبة بن سلامة الجُذاميّ مع حنظلة ، فلما بلغ من بإفريقية من أهل الشام قتلُ الوليد بن يزيد خرج عامة قوّادهم ، وخرج ثعلبة بن سُلامة إلى المشرق .

وكان قتل الوليد كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة .

فخرج عبدالرحمن بن حبيب بتونس، وجمع لقتال حنظلة بن صفوان و إخراجه من إفريقية ؛ فلما بلغ ذلك حنظلة أرسل وجوه إفريقية إلى عبد الرحمن يدعوه إلى الدعَة والكف عن الفتنة ، فساروا ، فلما كانوا ببعض الطريق بلغتهم ولاية مروان بن محمد ، فأرادوا الانصراف .

و بلغ عبدالرحمن أن حنظلة قد أرسل إليه رسلا ، وكانوا خمسين رجلا ، وأنهم يريدون الانصراف ، فأرسل إليهم خيلا ، فأصرفتهمَ إليه ، ووَجدَ عبد الرحمن عليهم لخروجهم إليه ، وكانوا قد كاتبوه قبل ذلك سرًّا من حنظلة ؛ فلما بلغتهم ولاية مروان نزعوا عن ذلك ، فبعث بهم إلى تونس فى الحديد .

وكتب عبدالرحمن إلى حنظلة أن يخلّى له القيروان وأن يخرج منها ، وأجّله

---

(١) نفزاوة : مدينة بالجزائر فى شمال إفريقية ، مشهورة بنخلها وثمارها ، ويطلق اسم نفزاوة فى الجزائر على مجموعة من الواحات ، فيها الآبار الإرتوازية.

ثلاثة أيام ، وكتب إلى صاحب بيت المال ، ألا يعطيه ديناراً ولا درهما إلا ماحلّ له من أرزاقه .

فلما قرأ حنظلة الكتاب همّ بقتاله ، ثم حجزه عنه الورع . وكان وَرِعاً ؛ فخرج بمن خَفّ معه من أصحابه من أهل الشام ؛ وذلك فى جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومائة ؛ ودخل عبد الرحمن بن حبيب القيروان فى جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة .

ثم بعث عبد الرحمن أخاه ابن حبيب عاملا على أطرابلس ؛ فأخذ عبدالله بن مسعود التُجيبى ؛ وكان إباضياً[1] ورئيساً فيهم ؛ فضرب عنقه ، واجتمعت الإباضية بأطرابلس ؛ فعزل عبد الرحمن أخاه ، وولّى حميد بن عبد الله العَكّى .

وكان على الأباضية حين اجتمعت عبد الجبار بن قيس المُرادىّ ،ومعه الحارث بن تليد الحضرمى ، فحاصروا حميد بن عبدالله فى بعض قرى أطرابلس ، ووقع الوباء فى أصحابه ؛ فخرج بعهد وأمان .

فلما خرجوا أخذ عبد الجبار بن قيس نُصَيْرَ بن راشد مولى الأنصار فقتله ، وكان من أصحاب حميد ، وكانوا يطلبونه بدم عبدالله بن مسعود التجيبى المقتول ، واستولى عبد الجبار على زناتة وأرضها .

فكتب عبد الرحمن بن حبيب إلى يزيد بن صفوان المعافرى بولاية أطرابلس ، ووجّه مجاهد بن مُسْلم الهوارىّ يستألف الناس ، ويقطع عن عبدالجبار هوّارة وغيرهم .

فأقام مجاهد فى هوارة أشهراً ، ثم طردوه ، فلحق بيزيد بن صفوان بأطرابلس ، فوجه عبدالرحمن بن حبيب محمد بن مقرون فى خيل ، وكتب إلى يزيد بن صفوان بالخروج معه ، فخرجوا ، فلقيهم عبد الرحمن بن قيس والحارس بن تليد بمكان من أرض هوّارة ، فقتل يزيد بن صفوان ومحمد بن مفروق ، وانهزم مجاهد بن مسلم إلى أرض هوارة

(١) الإباضية فرقة من الخوارج أصحاب عبد الله بن إباض التيمى ، ولهم هوى ينسبون إليه .

فقفل عبد الرحمن بن حبيب واجتمع إليه جمع كثير، فزحف بهم إلى عبد الجبّار والحارث بن تليد، فلقيهم بأرض زناتة، فانهزم عمرو بن عثمان وأصحابه، واستولى عبد الجبّار والحارث على أطرابلس كلّها.

ثم خرج عمرو بن عثمان إلى دَغُوغاَ، ومعه مجاهد بن مسلم، واتبعه الحارث ابن تليد، فوجّه عمرو من دَغُوغا إلى أرض الصحراء، فأدركه الحارث، فتقدم عمرو إلى سُرْت، فأدركته خيل الحارث، فقتلوا نفراً من أصحابه، ونجا عمرو على فرسه جريحا، واحتوى الحارث على عسكره، واستفحل أمر عبد الجبّار والحارث؛ ثم اختلف أمرهما، وتفاقم ما بينهما، فاقتتلا، فقتل عبد الجبّار والحارث جميعا.

فولّى البربر على أنفسهم إسماعيل بن زيادة النَفُوسى، فعظم شأنه وكثر بيعه، فخرج إليه عبدالرحمن بن حبيب حتى إذا كان بقابس قدّم ابن عمه شعيبَ بن عثمان فى خيل، فلقيه اسماعيل، فقتل إسماعيل وأصحابه، وأسر من البربر أسارى كثيرة.

وكان عبدالرحمن مقيما فى عسكره ولم يشهد الواقعة، فنهض حتى فتح له إلى سوق أطرابلس ومعه الأسارى، وكتب إلى عمرو بن عثمان، فقدم عليه من أرض سُرْت، وقدّم الأسارى، فضرب أعناقهم وصلبهم، واستعمل على أطرابلس عمرو بن سُويد المرادىّ، وأمره أن يُنَفِّلَ.

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع: ٩٩/٧٥٧٥

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: ٣٩٠٤٠٩٦